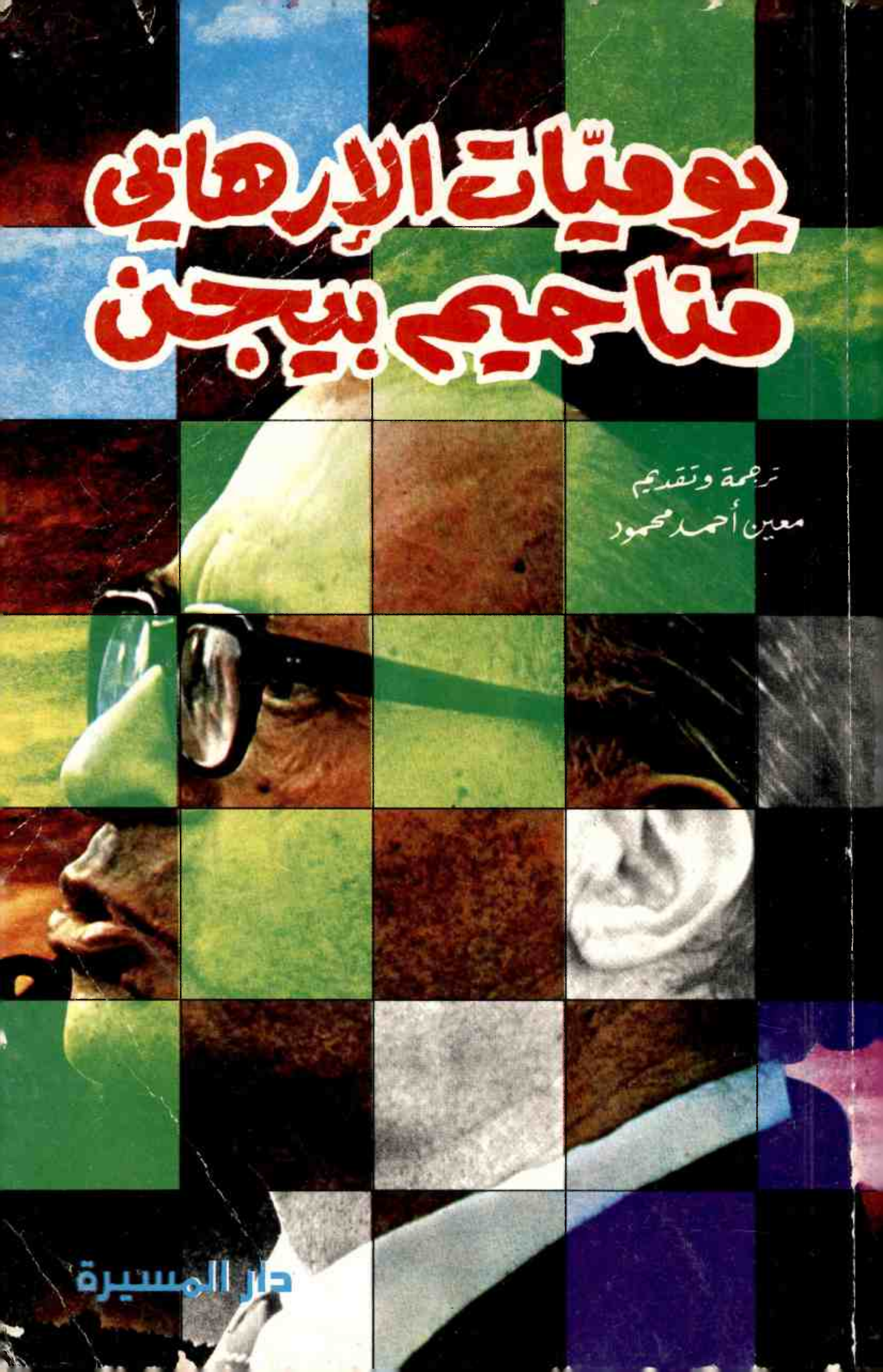


يوميّات الإرهابي مناحيم بيجن

ترجمة وتقديم
معين أحمد محمود

دار المسيرة

يَوميّات الإرهَـابي
مـنـاحيـم بيجـن

يَوميّات الإرهـابي مناحيم بيجـن

ترجمة وتقديم

معين أحمد محمود



دار المسيرة

بـيروت

الطبعة الاولى
بيروت ـ آب ١٩٧٧



مقدّمة

« العالم لا يشفق على المذبوحين ... لكنه يحتـرم المحاربين ... »
هذه العبارة تلخص كل رؤية « مناحيم بيجن » السياسية التي ترجمها منذ ان تعرف على الفيلسوف الصهيوني المتطرف « فلاديمير جابوتنسكي » الى سلسلة طويلة من القتل ... و « التبشير » بالقتل !

ويعترف « بيجـن » ان طائرا توارتيا اوحى لـه بتشكيـل عصابة « الارغون » الشهيرة . وان النبي داود حرضه علـى نسف الفندق الذي يحمل اسمه في القدس ... وقرر ذات يـوم ان يقتل « بن غوريون » ثم راح يشنق الجنود البريطانيين ويغني لزهرة البرتقال !

هذا هو « مناحيم بيجن » او الجريمة التي تمشي على قدمين ... والتي ستعود من جديد الى « لائحة الشرف » في الشرق الاوسط !!

حين اتصل مندوب الاذاعة الصهيونية بسيف الدين الزعبي النـائب « العربي » في قائمة « المعراخ » صباح الاربعاء ١٨ ايار ١٩٧٧ ليسأله رأيه في اسباب الهزيمة الانتخابية التي مني بها التجمع ، اجـاب الزعبي وهـو الشخصية العربية الاكثر تداخلا في البنية السياسية (لاسرائيل) : « ان السبب الوحيد هو سوء طالع العرب » .

ونحن هنا لسنا بصدد مناقشة هذا الرأي الذي يعكس بكل بساطة

الخيبة العميقة التي اصابت المساعي الحثيثة باتجاه السلام ، لكن الواضح ان وصول « مناحيم بيجن » الى قمة السلطة في (اسرائيل) يعني ، على حد قول الشاعر الفلسطيني ورئيس بلدية الناصرة ، توفيق زياد ، « العمل على تطبيق الجانب الجهنمي من التوراة » ...

وبالطبع ، فان قول توفيق زياد يستند الى حيثيات ميدانية نابعة ، اما من الهوية النظرية ، او من الهوية « البراغماتية » ـ أي العملية المتحركة ـ لـ « بيجن » ...

فهذا اليهودي ، القادم من مدينة « بريست ليتوفسك » الروسية الى فلسطين ، لكي يحول ارضها ، كما يقول في كتابه « التجربة والامل »، الى « امبراطورية تتفجر عسلا .. وبطولة » . كان تلميذا شديد التعصب للمنظر الصهيوني المتطرف « فلاديمير جابوتنسكي » الذي اشتهر بعباراته التحريضية الصلبة « السياسة هي فن القوة » ... « عندما تضرب الفولاذ بمطرقة فان الجميع يتهيبون صوت الدوي، وعندما تستعمل القفاز فان احدا لا ينتبه الى وجودك » ... « ان الاحذية الثقيلة هي التي تصنع التاريخ » !

هذه الشعارات اجتذبت « مناحيم بيجن » الى حد قوله في الكتاب نفسه : « كان التنكر او حتى تجاهل افكار جابوتنسكي يعني الخيانة اذ لم يكن من الممكن ان نستمر في السير حفاة فيما يكتظ التاريخ بالتضاريس المدببة ».

لكن « بنجن » او « بيغي » كما يطلق عليه بعض أصدقائه لم يكن يعتقد انه سيصبح ذات يوم « عراب العنف » في الصهيونية ... فقد كان يحلم ، منذ طفولته ، ان يصبح حاخاما ... لا لأن ذلك يخفي بعض مشاكله المرضية ـ اصيب بذات الرئة ولم يشف تماما ـ وانما لانه كان يريد ان ينقذ اليهودية من محنتها الايديولوجية ... وهذا التطلع « الرسولي » كان وليد احتكاك قوي وطويل بباحث يهودي يدعى « ايرما

روبول » الذي كان يقدم التراث اليهودي الى يهود اوروبا الشرقية بشكل يمتزج فيه الحنين بالتحريض .

كان « بيجن » يعتقد ، نتيجة ذلك الاحتكاك ان القرن العشرين يتجاذبه عاملان ايديولوجيان مركزيان هما التصاعد التكنولوجي بانعكاساته الفكرية ثم الانتشار المركزي الذي يسقط التوراة ، بالدرجة الاولى ، من ذمة التاريخ ... وكان في اعتقاده ان اليهودية التي كانت في حالة ارتباك حقيقي ، نتيجة لليأس والحصار ، قد تجد في احد هذين العاملين ، او في كليهما معا ، منفذا للخلاص ... أي التوحد ، اما مع الاخلاقية التكنولوجية او مع الفلسفة الماركسية .. وعلى هذا الاساس فانه كان يتحتم على كل يهودي متنور ان يسعى الى تكوين ما دعاه «بيجن» نفسه بـ « الحائط المقدس » ربما تيمنا « بحائط المبكى » للحؤول دون انهيار يائس للتماسك اليهودي « الذي قاوم شراسة التاريخ اكثر من خمسة وعشرين قرنا » .

« القلنسوة » الحاخامية هي الحل : ان يتحول « بيجن » الى واعظ ذي كلمات مسننة يقنع اليهود بأن سقوطهم في جاذبية الفلسفة القائمة انما يعني « ان نبصق على اضرحة الاسلاف » ... وننزع من العالم نقطة الارتكاز التي يستند اليها » !

الا ان التطلعات الحاخامية السلمية لم تدم طويلا ، فقد تعرف الى « فلاديمير جابوتنسكي » واعجب بـه اعجابا شديدا الى الحد الذي دفعه الى القول في « التجربة والامل » : « في هذه اللحظة رفع الستار عن الفصل الحقيقي من حياتي ... كان علينا ان نعمل اسناننا لا كلماتنا ، في جلد التاريخ » !

و ... التاريخ كان في نظره ، على ما يبدو ، « الشعب الفلسطيني » !

ففي مقال كتبه عام ١٩٤٤ وكان للتو قد اسس عصابة « الارغون »

الارهابية قال : « من العبث القول بالمشاركة والتعايش ... ان هنــاك حقيقة جوهرية لا يمكننا التخلي عنها ، لان في ذلك التخلي عــن انفسنا ؛ وهي ان هذه الارض هي ارضنا وواجبنا ان نقضي علــى الاغتصاب الذي سادها رغما عنا » .

ولم يكن « دافيد بن غوريون » اقل منه تصلبا ، وان كان يشار الى انه كان اكثر تعقلا ... ففي اجتماع عقد بين الرجلين في ١١ تموز ١٩٤٦ ، عرض « مناحيم بيجن » برنامجا للقتل اطلق عليه اسم «برنامج التحرير»، وهو يقوم على اساس شن غارات صاعقة وواسعة النطاق على عدد مــن المجتمعات العربية يتم خلالها قتل اكبر عدد ممكن مــن العــرب ، يدفع العرب الآخرين الى الهجرة القسرية عبر الحدود ... الا ان «بن غوريون» نصحه « بشدة » بأن يرجيء تنفيذ برنامجه هذا الــى مــا بعــد التحرير الكامل ، لان من شأن عمليات من هذا القبيل ان تحرج الانتداب البريطاني الذي سيجد نفسه « مضطرا » الى اتخاذ اجراءات متصلبة لا بد لها ان تعدل جذريا الجدول الزمني الذي وضعه « وايزمان » واطلق عليه « ورقة الخلاص » .

ويقول « مناحيم بيجن » « ان انشاء منظمة الارغون » لــم يكــن قرارا شخصيا فقد جاء اليه الوحي ذات ليلة بعد ساعات من التفكير على شكل غيمة ساطعة جدا اطل منها رأس طائر يشبه تلك الطيور التي تحدثت عنها التوراة ثم ما لبثت الغيمة ان تحولت الــى « قطيع » من النسور ذات المناقير الفولاذية .. ومما قاله له الطائر التوراتي لتكــن علــى رأس هذه الطيور .. ولتبني بيتا لبني اسرائيل » . هذا ما ذكره « بيجن » للصحفي الفرنسي « دانيال موتور » الذي وضع كتابا حــول « الانبياء المعاصرون اليهود » .

ويعترف « بيجن » ان فلسفة جابوتنسكي كانت السائدة في منظمة « الارغون » الا انه استعان ايضا ببعض الجوانب « الخلاقة » في فلسفة « هرتزل » في فهمه للانسان ، فقــد كــان « تيودور هرتــزل » يعتبر ان الانسان هو « مخلوق سطحي ساذج لا عقل لــه يخضع لارادة العباقرة

ويضحي بنفسه من اجل الرموز والطلاسم ... وهو حيوان خال من البراءة » ...

وقد طبق « بيجن » الفهم الهرتزلي للانسان في عملية التشكيل النفسي لاعضاء « الارغون » ويقول « هارون بليدي » احد الارهابيين الكبار في هذه المنظمة (انتحر عام ١٩٥٩ لأسباب لم يعلن عنها) ان «بيجن» يتعامل مع « الارغونيين »وكأنه نبي حقيقي ... كان كل صباح تقريبا يجلس ، قبل ان يتخذ أي قرار ، جلسة تأملية تمتد حوالي الساعة ، ثم يتحدث بعد ذلك مشيرا الى ان الوحي كان يقدم له ، على الطبيعة ، اجزاء من التوراة محرضا اياه على انقاذ بني اسرائيل ..

ويروي « بليدي » ان احدى فرق « الارغون » اسرت ذات مرة اربعة من الجنود البريطانيين ، وقد تبين من التحقيق ان احدهم ينتمي الى ام يهودية ، وعندما مثل الرجل بين يدي « بيجن » ظل هذا يحدق به حوالي المئة دقيقة ، وعندما لم يظهر أي اثر للخوف على وجه الجندي البريطاني سحب « بيجن » مسدسه واطلق عليه النار ... ويقول « بليدي » ان « بيجن » كان يأمل ان يعتري الذعر الجندي البريطاني الاسير فيعلن توبته امامه وانضمامه الى « الارغون » وبهذا يوهم « بيجن » افراد المنظمة بقدراته الغيبية ، الا ان شيئا من هذا لم يحدث ، فقد حافظ الجندي البريطاني على رباطة جأشه ... وان لم يتمكن من المحافظة على حياته !

وعندما امر « بيجن » بتفجير فندق « الملك داود » في القدس ، كان يشغل باله هاجس واحد ، كيف ينسف فندقا يحمل اسم نبي يهودي ؟ ويقول « بليدي » ان اثارا مرضية ظهرت على وجه « بيجن » الى ان جاء ذات يوم وقد سطع فوق وجهه شعاع غريب ، وراح يردد : « لقد شاهدت النبي داود هذه الليلة وقال لي : لا تتردد في صنع مجد اسرائيل . ان اسمي لا يعرف الطمأنينة الا اذا كانت قلوبكم مطمئنة » . وكانت هذه كلمة السر التي جعلت فندق « الملك داود » ينهار بعد أقل من اربع ساعات فوق مئة نزيل ...

وقال « بليدي » ، الذي وضع مذكراته عام ١٩٥٨ ، أي قبل عام واحد من انتحاره (وقد اختفت هذه المذكرات فجأة من الاسواق) ان « مناحيم بيجن » كان يمتلك نزعة رهيبة للقتل والتمثيل بالجثث ، وفيما كان احد اعضاء « الارغون » يتقيأ وهو يرى جنديين بريطانيين مشنوقين على شجرة برتقال ، كان « مناحيم بيجن » يردد بمرح ، الاغنية العبرية المعروفة « هلمي لاقدم لك زهرة برتقال » !

وكشف « بليدي » النقاب عن ان « بيجن » وصل الى نقطة كان يريد فيها اغتيال « بن غوريون » وقد وصفه بأنه : « هر يحاول ان يثبت للناس، دون جدوى ان له حنكة الثعلب » . ... لكن « بيجن » نفى هذا القول ووصفه بأنه نتاج خيال مريض عرف به « بليدي » منذ ان كان عضواً في الارغون ثم طرد منها لانه حاول القيام بانقلاب داخل المنظمة !

والرجل الذي عرض الانتداب البريطاني ثمناً له يساوي عشرة آلاف جنيه استرليني لم يقتصر ، في نشاطاته الارهابية ، على فلسطين فحسب ، بل انه انسحب بها على اليهود انفسهم في اكثر من بلد لارغامهم على الهجرة الى « اسرائيل » ويقال ... انه هو الذي نظم عملية اطلاق النار على يهود العراق لدفعهم الى الهجرة الى (ارض الميعاد) ...

وفي كانون الاول ١٩٤١ ، وصلت سفينة ماشية قديمة متهالكة موشكة على الغرق الى ميناء استانبول حاملة ٧٦٩ مهاجرا يهوديا غير شرعيين لا يحملون تأشيرة دخول بريطانية من البلقان ، فمنعتهم السلطات التركية من النزول ... واقترحت السلطات البريطانية ارسالهم لأي مستعمرة بريطانية ، لكن « الوكالة اليهودية » كانت مصممة على ان يذهب المهاجرون الى فلسطين فقط ... ودخلت الوكالة ، لمدة شهرين ، في مفاوضات طويلة مع السلطات البريطانية من اجل الحصول على تأشيرات ... وفي نهاية الامر وافقت هذه السلطات على اصدار تأشيرات دخول للاطفال بين ١١ و ١٦ سنة .

وحينما ترك القارب في ٢٤ شباط ١٩٤٢ حدث انفجار فيه ولم

يلبث ان غرق ولم ينج الا شخص واحد ... وقد اعلنت الوكالة ان الحادث كان انتحارا جماعيا ، والقت باللوم علــى السلطات البريطانية ... الا ان تحقيقا اجري بهذا الصدد اثبت قيــام اعضاء منظمة « الارغون » بتنفيذ هذه العملية لاثــارة الرأي العام ضد بريطانيا وللتحريض على الغاء القيود المفروضة على الهجرة اليهودية الى فلسطين !

وهذا ما حدث ايضا بالنسبة للسفينة « باتريا » التي قتل فيها ٢٤٠ مهاجرا يهوديا. فقد كانت هذه السفينة تحمل في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٤٠ بعض المهاجرين اليهود « غــير الشرعيين » تمهيدا لترحيلهم الــى جــزر « موريشيوس » ... وفجأة ضرب جرس الانذار وطلب الــى الركاب ان يقفزوا طلبا للنجاة ، ثم سمع صوت انفجار ، وكالعادة اعلنت « الوكــالة اليهودية » ان الحادث نتيجة انتحــار جمــاعي ... الا ان رساما يهوديا مغمورا ، يدعى « موشي اهاشيم » ذكر في عــام ١٩٥٤ انــه شاهد رجلا يصعد الى متن السفينة قبل اقلاعها بشكل مشبوه ثم ينزل منهــا وهو يعدو ... ويقول : « اهاشيم » انه شاهد الشخص نفسه في (اسرائيل) ، وعندما سأل عنه قيل له انــه يهودي من اصل مجري ، وقد قام بعمليات « رائعة » خلال « حرب التحرير » عندما كان عضوا في « الارغون » !

بعد انتهاء حرب ١٩٤٨ واعلان قيام الدولة الصهيونية وحل منظمة الارغون ودمجها في الجيش الاسرائيلي بدأ « بيجن » حياة سياسية لا تقل عن حياته العسكرية تطرفــا . ولقــد تميــز بيجن عــن معظــم الساسة الاسرائيليين بأنه يقول علنا ما يدور في عقل كل قائد اسرائيلي . فهو لا يحب الدخول في اللعبة السياسية التي تفرض التحايل والكتمان احيانا ، بــل يجاهر بآرائه المتطرفة ، ويقود المعارضة داخل اسرائيل .

اسس بيجن حزب « حيروت » في آواخر العام ١٩٤٨ . ثــم ترأس كتلة جاحال التي ساهم في تكوينها في العام ١٩٦٥ بضم حيروت الى حزب الاحرار . ولم يشغل بيجن او حزبه اي منصب وزاري الا في الوزارة التي تشكلت عشية حرب حزيران ١٩٦٧ ، اذ دخل على رأس كتلة جاحال التي حصلت على ست حقائب وزارية . في الانتخابات التي جرت في ٢٨ تشرين

الثاني ١٩٦٩ ، زادت قوته داخل الكنيست بازدياد تطرف الاسرائيليين وازدياد النهم في ضم الاراضي المحتلة . وقد انسحب هو وكتلته من الوزارة عقب قبول الحكومة الاسرائيلية لمبادرة روجرز في آب ١٩٧٠ . واستمر في معارضته لانسحاب اسرائيل من الاراضي العربية التي احتلتها عام ١٩٦٧ . ولقد حاولت جولدا مائير ، رئيسة الوزراء آنذاك ، ابقاءه في الحكومة . فلقد كانت تخشى قدرته على اثارة الشعب ونفوذه القوي لدى عناصر كثيرة داخل المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ولدى الاحزاب الدينية .

ويعتبر « بيجن » من اشهر « الصقور » في اسرائيل ومن مؤيدي « اسرائيل الكبرى » . وهو لا يعترف بوجود الشعب الفلسطيني ويرفض حتى استعمال كلمة فلسطين ، ويرى ان في ذلك نسفا لحق اسرائيل في البقاء حيث هي . ويعتبر ان اقامة دولة فلسطينية عبارة عن عمل انتحاري للشعب اليهودي .

وبعد حرب ١٩٧٣ استغل « بيجن » حالة الضياع والنقمة التي عاش فيها الاسرائيليون . وكان يعقد الاجتماعات الانتخابية قبيل انتخابات الكنيست في ٣١ كانون الاول ١٩٧٣ ، ويدغدغ عواطف الجماهير بديماغوجية ، ويوجه اللوم لحكومة تكتل المعراخ الحاكم المسؤولة عن « التقصير » الذي عرض امن اسرائيل لخطر جدي ، محاولا اكتساب المزيد من المؤيدين لكتلة « ليكود » التي تشكلت بزعامته في ايلول ١٩٧٣ . واصبحت اكبر كتلة معارضة في الكنيست . ومن المؤكد ان بيجن نجح في هذا المجال وعرف كيف ينتزع بعض المواقع من خصومه السياسيين . ولقد تمسك بيجن بعد حرب ١٩٧٣ بجوهر استراتيجيته التوسعية المبنية على العنف القمعي ، ولكنه عدل اساليبه التكتيكية . ويلاقي بيجن وسياسته تأييدا واسعا في اسرائيل ، ولكنه شخصية غير مقبولة عالميا ، حتى في العالم الغربي . ويعتبره البريطانيون ارهابيا دمويا ، ولا تنظر اليه الاوساط الاميركية كمحاور ناجح .

نجحت كتلة « ليكود » التي يقودها « بيجن » في انتخابات ١٧/٥/

١٩٧٧ للكنيست التاسع وحصلت على ٤١ مقعدا من اصل ١٢٠ مقعدا ، الامر الذي وضع « بيجن » في الصف السياسي الاول ، واهله لان يكون مرشحا لرئاسة الحكومة بعد انتظار دام ٢٩ سنة .

ولقد طرح « بيجن » بعد نجاحه مفهومه عن الحل السياسي لازمة الشرق الاوسط والمتمثل بالنقاط التالية :

١ ـ المفاوضات المباشرة مع الدول العربية المعنية .

٢ ـ الاستعداد للانسحاب من بعض اراضي الجولان وسيناء مقابل الصلح والاعتراف العربيين باسرائيل .

٣ ـ عدم الاستعداد للتخلي عن شبر واحد من قطاع غزة والضفة الغربية والرغبة في ضمهما لدولة اسرائيل نهائيا على اعتبارهما جزءا « محررا » من « ارض اسرائيل الكبرى » .

٤ ـ ضرورة العمل على اقناع الولايات المتحدة بأن الاحتفاظ بالضفة الغربية وقطاع غزة مسألة هامة لحفظ السلام ، وانه لن يكون هناك أي سلام بدون الاحتفاظ بالاراضي الفلسطينية المحتلة المذكورة .

وبعد ،

فاننا نقدم للقارىء العربي كتاب « مناحيم بيجن » الذي اطلق عليه اسم « الثورة » لنعرف حقيقة الخطر الاسرائيلي وكيفية تنظيم الاسرائيليين ، واستعدادهم المتواصل ، واسباب نجاحهم ،واساليب الارهاب والافناء التي اتبعوها وسيتبعونها حتى يحققوا مطامعهم التوسعية .

وعلى العرب ان يطبقوا الاعلام العصري الذي يقول : «اعرف عدوك» . وفي الماضي كان الرقيب يشطب كل خبر او مادة تتعلق بالكيان الصهيوني ، حتى الصورة كانت ممنوعة ، وكان الرقيب يقطعها ، لان معركة اسرائيل

هي اعتراف بوجودها . ولما كانت اسرائيل غير موجودة بالمنطق الرائج في ذلك الزمان ، فلماذا نظهرها ونعطيها نعمة الوجود . فاسرائيل هي دولة العصابات ، وهكذا كان التصور الاعلامي لكيفية محاربة اسرائيل .

اما اليوم فيجب ان يتغير الموقف ، وعلى العربي ان يكون عربيا اكثر، وعربيا افضل كلما اطلع بشكل عميق ، على حقائق الوضع في الدولة العدوة . خصوصا وان العربي اصبح موجودا في كل مكان . فهو في كل عاصمة اوروبية ، فهو في الولايات المتحدة، واطراف امريكا، ولم تعد الامور اسرارا بالنسبة اليه ، ولم تعد الوقاية هي الاسلوب الصحيح في منع جرثومة التساهل مع اسرائيل تمتد الى العربي .

والمعرفة قوة ، . . .

لا خيانة . . . ولا تعني الاعتراف بالخصم ، بقدر ما يعني التسلح بالعلم والحقائق في المواجهة التي لا تقتصر على العسكرية وحدها ، بل تشمل السياسة والاعلام والثقافة ايضا .

ومن اجل هذا نقدم هذه الرسالة الى المواطنين العرب الذين يحبون بلادهم ولن يتخلوا عنها ، وسيقاتلون في سبيلها الى النهاية . . .

ومن اجل الظفر في هذا القتال يستعدون ويتكاتفون ويتعلمون ، ومما يتعلمونه ، ويجب ان يتعلموه ان عدوهم ضار ، متكالب ، لا يعرف الشفقة او الرحمة ، ولا يرضى عن هدفه بديلا ، وهو مستعد ان يصنع كل شيء في سبيل هذا الهدف . . .

ومن اجل هذا نقدم كتاب « مناحيم بيجن » الذي تحدث فيه عن عمله العسكري في فلسطين ، واطلق عليه اسم « الثورة » واراد ان يقدمه دليلا ثوريا ، فجاء كتابه دليلا للارهاب والثورة المضادة .

معين احمد محمود

نذيـــر .. ووعيـــد

كتبت هذا الكتاب اولا لشعبي اليهودي لئلا ينسى ـ كما نسي ويا للكارثة من قبل ـ هذه الحقيقة البسيطة .. وهي انه توجد اشياء أثمن من الحياة وافظع من الموت ... لكنني كتبت هـذه الكتاب لغـير اليهود ايضا ... لئلا يكونوا غير راغبين في ان يدركوا ، او ميالين الـى التغاضي عن حقيقة انه من خلال الدم والنار والدموع والرماد ، قد ولد نوع جديد من الكائنات البشرية ، نوع لم يعرفه العالم على الاطلاق خلال اكثر مـن ١٨٠٠ عام ، هو « اليهودي المحارب » ... ذلـك اليهودي الـذي اعتبر العالم انه مات ودفن الى الابد ، قد بعث !

والآن .. هـل كـانت اعمالنـا توحـي بالكراهية الشديدة للحكم البريطاني في ارض اسرائيل المسماة بفلسطين ؟! ان الجواب الصريح هـو « نعم » .

ولكن هل كانت هذه الكراهية للشعب البريطاني بكامله ؟ ان الجواب الصريح هو « لا » .

فمن المعروف ان على كل محارب ان يكره شيئا ما او شخصا مـا ، وكان علينا ان نحارب هؤلاء اولا ، وقبل كل شيء ، ضعف شعبنا المشتت في جميع انحاء الدنيا ... ذلك الضعف الذي كان يسهل لبعض الناس قتلنا وذبحنا .

وكان علينا ان نكره ونحارب ايضا ـ كأي امة ذات كرامة ـ الحكم الاجنبي في ارضنا .

فهل هناك من يشجب الكراهية للشر . المنبعثة من محبة الحق ؟!

ان الذي يحب الحرية يجب ان يكره العبودية ، والذي يحب شعبه يجب ان يكره اعداء شعبه ، والذي يحب وطنه يجب ان يكره اعداء شعبه ، والذي يحب وطنه يجب ان يكره كل دخيل . وبكلام ابسط : اذا كنت تحب امك ، الا تكره الرجل الذي يحاول قتلها ؟! الا تكرهه وتحاربه حتى ولو قدمت حياتك في سبيل ذلك ؟

انني اكتب هذا الكتاب لاظهار الحقيقة . والحقيقة تضطرني ان اسأل نفسي امام القارىء ، العدو والصديق ، السؤال التالي : اذا وجد شعبك مرة ثانية في حالة تشبه تلك التي اضطرتك ان تحارب بالطرق السرية وتلاحق وتضطهد وتعرض للموت ، في هذه الحالة هل تقوم مرة ثانية بعمل ما فعلت سابقا ؟

الجواب الاكيد هو ... نعم !!

مناحيم بيجن

رئيس « الارغون زفاي ليومي » *

* الارغون زفاي ليومي تعني حرفيا : « المنظمة القومية العسكرية » . (المترجم) .

الطريق إلى الحرّيّة

كان ذلك في ليل اول نيسان ١٩٤١ في البناية القديمة المسماة « لوكيشكي » في « ويلنوا » . فتحت ابواب الزنزانات واخرج المساجين اذلاء ، اثنين اثنين ، حليقي الرؤوس ، واقتيدوا الى طاولة صغيرة في وسط الممر الطويل المظلم وكان يجلس خلفها رجلان امامهما اكوام من الاوراق المبعثرة . في تلك الليلة كنت احد المدعوين الى الطاولة الصغيرة في الممر المظلم في « لوكيشكي » كنت واحدا من الآلاف الذين جرفهم تيار الخراب والاسى الذي اجتاح اوروبا عندما بدأ النازيون يحاولون السيطرة على العالم ويذبحون اليهود . تقدمت الى الطاولة مع زملائي ، وعندما وصلت اعلنت ان اسمي هو مناحيم بيجن ودلفوفتش بيجن . لم ينظر الرجلان الي ، بل فتش احدهما بين الاوراق المبعثرة ثم وجد الشيء الذي كان يفتش عنه . فقرأ بصوت عال : « ان اللجنة الاستشارية الخاصة للشؤون الداخلية تجد ان مناحيم ودلفوفتش بيجن عنصر خطر في المجتمع ، وبذلك تحكم بسجنه في معتقل اصلاحي للعمال لمدة ثماني سنوات » .

وصرخت من دون وعي : « اول نيسان !! »

ورمقني الرجل الصارم بنظرة مخيفة ، ثم ما لبث ان قال بلطف « ارجوك ان توقع على هذه الورقة » ووقعت ، كغيري ، لنقضي ثماني

سنوات في معتقل مجهول من الشمال . لقد كان كل شيء غامضا غريبا !!

حدث ذلك في اوج الفترة القليلة بأيامها الطويلة بلياليها التي كنت متهما فيها بالعمل لبريطانيا العظمى .

ان ايام السجن كالحلم السريع ، بل لعلها اكثر ايام الانسان تنظيما . فهي مليئة بالانتظار والامل . من الفجر الى غياب الشمس يقف السجين ابدا ينتظر شيئا ما أي شيء . والشعور بالانتظار قوي جدا لانه موجه نحو الاشياء البسيطة والبدائية في حياة الانسان ، تبدأ بالطعام الرديء وتنتهي بازالة الادوات الصحية من الزنزانة . وبقدر ما كان الطعام رديئا كانت لهفتنا اليه تزداد ، وكانت الادوات الصحية تزال مرتين في اليوم من زنزانتنا ـ وكان ذلك حدثا عظيما . واذا اضفت الارهاق العقلي ـ الذي يستعيد منه كل قادر على التفكير ـ تتكون لديك صورة واضحة عن ايام السجن . لا ! انها ليست تلك الايام التي تتصورها لنفسك عندما تكون حرا ـ ايام لا تبدأ ولا تنتهي ـ بل هي ايام قصيرة جدا كحلم خاطف .

اما الليالي فمختلفة جدا . لانها طويلة جدا ! لا اعني بذلك الليالي التي يدعونك فيها لكي تنام ـ والنوم في السجن ، اذا كان على فراش ضيق من الحديد او على بلاط الارض الفسيح ، شيء لذيذ ومريح .

ولكنني اعني ليالي الارق في السجن ، في « لوكيشكي » تلك الليالي المليئة بالمناقشات الحادة بين المساجين ، المناقشات التي تبدأ دائما بعد ان ينام السجان لساعة او ساعتين ، ولكنها لا تنتهي ابدا .

وفي تلك المناقشات اللانهائية اخذت دوري في بحث الثورة الروسية ، بريطانيا والصهيونية ، هرتزل مؤسس الصهيونية ، جابوتنسكي الزعيم اليهودي الذي انشأت تعاليمه الارغون زفاي ليومي ، وايزمن ومقابلته لموسليني ، حركات الشباب اليهودي ،ماركس وانجلز ، بوخارين وستالين ، الرأسمالية والاشتراكية والشيوعية ، لغز الحياة والموت ، الحرب الاهلية الاسبانية ، والفلسفة المادية وغيرها من المواضيع

الهامة . وكانت المناقشات تأخذ طابع السؤال والجواب ، وكان سائلي دائما شاب طويل وسيم لطيف . لم يكن يشك بتجريمي بقدر ما كنت اعتقد في ان اتهاماته لا اساس لها من الصحة . ولذلك لم يكن هناك أي داع للشهود والادلة ، فالوقائع التي لم اكن احلم في انكارها كانت كافية ، منذ طفولتي علمني والدي ـ الذي قتله الالمان وهو ينشد النشيد اليهودي الوطني ، الهاتكفا ـ ان اليهود يجب ان يرجعوا الى ارض اسرائيل التي لا تعني الجهة الغربية من الاردن فقط بل تتضمن ايضا الجبهة الشرقية كلها. وكان يؤكد دائما اننا لا نهاجر الى ارض اسرائيل ، بل نحن نرجع اليها . وعندما كبرت اصبحت عضوا نشيطا في « البيتار » ، و « البيتار » منظمة للشباب اليهودي وضع فيها فلاديمير جابوتنسكي ، اعظم شخصية يهودية بعد هرتزل ، كل حبه وذكائه . وفي السنة التي سبقت اعلان الحرب اصبحت رئيسا لتلك المنظمة في بولندا حيث كان الملايين من الفقراء اليهود يحلمون بصهيون . وكنت اعمل مع رفاقي لتثقيف الجيل الطالع لننشىء في ارض اسرائيل طليعة القوة اليهودية ... الارغون زفاي ليومي التي تعني « المنظمة القومية العسكرية » ، بقيادة الرجل الغامض « دافيد رزابيل » ورفيقه الصامت الصارم « ابراهام شتيرن » . وبدأت المنظمة بمهاجمة اولئك الذين كانوا يحاولون تحطيمنا . كانت تجمع السلاح وتدرب المتطوعين ، وتستحب سياسة ضبط الاعصاب التي اتبعها الزعماء اليهود المتهادنين في وجه الهجمات العربية ، وتفتح الطريق ولو بالقوة امام آلاف الشباب للدخول الى ارض اسرائيل . ان هذه الاعمال واجبة علينا نحو شعبنا الذي كان على شفير الهاوية ، وقد حاولنا ان نقوم بواجبنا .

اما سائلي في المناقشات فقد كان ينظر الى عملنا من ناحية اخرى . فقد كان يقول لي :

« ان الصهيونية في جميع اشكالها خدعة كبرى « فليس صحيحا انكم ستقيمون دولة يهودية في فلسطين ، او انكم ستأتون بألوف اليهود الى هناك. ان هذه الاهداف غير واقعية، وزعماؤكم يعرفون ذلك. ان الحديث عن الدولة اليهودية يخفي وراءه الحقيقة التي تقوم على تحويل الشباب

اليهود من صفوف الثائرين في اوروبا لتضعهم تحت تصرف الاستعمار البريطاني في الشرق الاوسط .

هذه مهمة الصهيونية ، اما الباقي ففطاء مصطنع للخداع . اما من جهتك انت ، مناحيم بيغن ، فأما ان تكون عالما بالحقيقة وواحدا من المخادعين الذين يعملون في خدمة بريطانيا والبورجوازية العالمية ، او ان تكون واحدا من السذج الذين يساعدون ، من دون قصد ، على تحويل الجماهير عن كفاحهم هنا ضد الاستغلال . وفي كلا الحالتين تكون مجرما كبيرا .

وحاولت ان اقنعه ان اساس الصهيونية يرجع الى آلاف السنين قبل ظهور الاشتراكية والرأسمالية وان اساسها موجود في علاقة اليهودي الروحية بأرض اسرائيل وان هذه العلاقة مجسدة في صلوات ملايين اليهود . ولكنني لم افلح في اقناعه ابدا ، فقد كان يجيبني :

« ان الذي تقوله يؤيد رأيي انا . من المؤكد انه كان هنالك شعور بالعطف نحو فلسطين عند اليهود وذلك ناتج عن نوع خاص من الثقافة والنشأة ، ولكن هذا الشعور هو نفسه الذي استغله هرتزل للقيام بالدور الذي اعطته اياه البورجوازية العالمية . انكم تنتزعون المثقفين من هنا لتدفعوا بهم الى هناك ، ثم نجد منكم من يفاخر بأنكم تبنون مستعمرات في فلسطين . المجانين ! كيف صنعوا ذلك . . . أليس بالاموال الاميركية . لا يا بيغن ان البلاغة لا تغير الواقع . هذه القصص التي تحدثونها . . . هذه الصهيونية ما هي الا خدعة » .

وفي احدى الليالي دار نقاشنا حول الثورة كحل للمشكلة اليهودية . واصر سائلي على ان نصر الثورة سيحل مشكلة القومية ومنها المشكلة اليهودية . واندفع يقول : « ولكن الثورة تحتاج الى محاربين وليس الى جبناء يهربون الى دولة لا وجود لها . لماذا لم تشترك في « الجبهة الشعبية » التي قد توقف سيل الرجعية » .

وحاولت ان اشرح له اتجاهنا فقلت :

« تخيل انك مار في طريق ورأيت بيتا يحترق . فماذا تفعل ؟ من المؤكد انك ستستدعي فرقةالمطافىء، ولكنك اذا سمعت صراخطفل او امرأة داخل البيت أتنتظر حتى تأتي الفرقة ام تهرع الى المساعدة ؟

« لنفترض ان الثورة هي الحل النهائي ألا ترى اننا كالنساء في البيت المحترق ؟ انت تعرف ماذا فعلت بنا الحملات المضادة للسامية ، فهل تنتظر حتى تصل فرقة المطافىء؟ وماذا لو تأخرت ؟ لا . . . ان شعبنا يجب ان يخلص الآن . »

وكانت مناقشتنا تستمر ليلة بعد ليلة ، وكان سائلي يحتفظ دائما بهدوئه ولطفه وكان احيانا يخلط بين المناقشة والمزاح فيقول مثلا : « انك مثل بقية المساجين ، بدلا من ان تجلس على مؤخرتك وتفكر برأسك تفعل العكس تماما !! » .

ولكنه في بعض الاحيان يثور حتى يفقد اعصابه فيضرب الطاولة بقبضته ويستعمل الفاظا كنت اذكره ان القانون السوفياتي يمنعها . وفي احدى الليالي ذكرت مقطعا من القانون السوفياتي يقول : ان الدولة السوفياتية ترحب بجميع اللاجئين الذين يأتون اليها هاربين من الاضطهاد نتيجة لدفاعهم عن حريات الشعوب .

وقلت معلقا : وبذلك ليس لكم أي حق في ان تحتفظوا بي هنا . بل بالعكس يجب ان ترحبوا بي . وراء الحدود نحن نضطهد ونعذب لاننا يهود ولاننا نحارب في سبيل حريتنا ، ولذلك يجب ان ترحبوا بنا عندكم اجمل ترحيب » .

عند هذه الكلمة احمر وجه الروسي سائلي ، ولم يعد بعد ذلك الموظف اللطيف بل رفع قبضته صارخا :

« ما هذا الهراء . . . اتجرؤ على ذكر مقاطع من الدستور ايها المحامي الاحمق ، انك تفعل مثل ذلك الخائن عدو الانسانية والجاسوس

الدولي بوخارين . انك تتكلم مثل بوخارين الذي كان يذكر مقاطع انجلز وماركس ليثبت رأيه . ولكن ستالين علمنا ان نأخذ هذه التعاليم كوحدة لا تتجزأ ولا يجوز نقل قطعة منها فقط » .

وحاولت ان اقنعه انني لم اخذ مقطعا فقط بل فقرة كاملة من الدستور . ولكنه لم يقنع واصر على مقارنتي « بالجاسوس الدولي » بوخارين .

وهكذا مرت الايام الى ان جاء اول نيسان ١٩٤١ المشار اليه في اول الفصل . ومر شهران بعدها فأمرونا في لوكيشكي ان نجمع امتعتنا ونتهيأ للذهاب الى مكان ما . وحملنا الى سيارة سوداء تسع ثلاثة او اربعة اشخاص، وكنا نحن اثنا عشر رجلا. وعندما فتحت ابواب السجن لتخرج السيارة الى الطريق همس احدهم « انها بداية الطريق الى ارض اسرائيل » .

هل كانت همسته ايمانا خياليا ؟ ربما ولكن الايمان احيانا اقوى من الحقيقة ...

أرض آبائنا

كان القطار الذي أقلنا الى شمال روسيا قطارا خاصا لشحن البضائع . وعند وصولنا الىمنتصف الطريق بلغتنا اخبار هجوم هتلر على روسيا وكنا نرى في طريقنا فرق الجنود تنقل الى الجبهة . وعند وصولنا الىهدفنا كانت الساعة تشير الى الثانية صباحا .

انا لا اريد ان أكتب عن الدموع ولكن عن الثورة . ولا عن المساكين ولكن عن الثوار ، ولا عن روسيا بل عن ارض اسرائيل اما العذاب الذي صادفته فهو نقطة صغيرة في بحر من الدموع والدماء تمزق فيه اكثر من ستة ملايين يهودي .

غير اني اريد ان اذكر حقيقتين اساسيتين . اولا ، انه بالرغم من ان الكثيرين من اليهود تعذبوا او ماتوا في روسيا الا انه كان لها الفضل في انقاذ مئات الالوف منهم من ايدي النازيين . وثانيا ان روسيا اقتنعت ، ولو مؤقتا ، ان نضالنا في فلسطين لم يكن مسرحية لارضاء بريطانيا بل كان في سبيل هدف جدي كالموت ، وبذلك ساعدتنا على تحقيق الخطوة الاولى من استقلالنا .

ولكننا يجب ان لا ننسى ان هناك مشكلة دائمة تواجه الانسانية وهي التوفيق بين الحرية الفردية والنضال في سبيل العدل الاجتماعي . ان

حرية الفرد تقتضي ابتعاد الدولة وعدم تدخلها في حياته ، ولكن ازالة الفرد من الاجتماعية غير ممكن بدون تدخل المجتمع ، أي الدولة . وهكذا تستمر الانسانية في بحثها الطويل عن الحل لهذه المشكلة الكبرى . ومع ان هناك من يعتقد انه وجد الدواء الشافي لعلل المجتمع الا انني اعتقد انه لم يوجد بعد . لقد قدم الشعب السوفياتي تضحيات كثيرة في هذا السبيل - منها مثلا تضحيته بحريته الشخصية - ولكنه لم يستطع الوصول الى هدف معين . فحدود الالم الانساني التي يعتبرها البشر في باقي اجزاء العالم كحالة نهائية ... كشيء تصبح فيه الحياة بعده جحيما لا يطاق ، هذه الحدود قد اتسعت وامتدت في روسيا بلا قياس . ومع ان هذا الالم ليس تجربة سعيدة بأي حال ، الا اننا يجب ان لا ننسى كيف قاومت روسيا قوات النازي الحديدية واستطاعت ، في النهاية ان تتغلب عليها .

لا ... ليست المدنية شيئا ضروريا للانسان . انه يستطيع ان يتخلى عنها اذا أجبر على ذلك . والغريب انه كلما ازداد الانسان بعدا عن التمدن ازدادت رغبته للحياة . والانسان وحش رهيب ولكن حتى في أفظع حالاته الوحشية تسيطر عليه رغبته في الحياة ... انه يستطيع ان يعتاد أي شيء الا الموت .

ومن بين صور هؤلاء البشر المعذبين رسخت في ذهني صورة واحدة لرجل لا اعتقد انه يعيش حتى الآن . اسمه كارين وقد كان لمدة من الزمن عنصرا مهما في السياسة الروسية فقد كان السكرتير العام للحزب الشيوعي في اوكرانيا ، والمحرر المساعد لجريدة البرافدا . ولكنه اعتقل سنة ١٩٣٧ وحوكم بتهمة تعد من اكبر التهم في روسيا ... الولاء لتروتسكي . وفي سنة ١٩٤١ حكم عليه بالسجن ثماني سنوات في معتقل اصلاحي . وقد أكد لي كارين انه ليس من انصار تروتسكي وانه كان يحاربه بشدة وانه كتب افتتاحية في البرافدا قبل اعتقاله بأيام يهاجم فيها تروتسكي ، وعندما قال للقضاة ذلك في دفاعه اجابوه ان التروتسكيين امروه بكتابة هذا المقال ليغطي تعاونه معهم .

ومع هذا فقد بقي كارين مندفعا في ايمانه بالشيوعية. واذكر انه في

أحد الايام ـ عندما قال احد السجناء انه يتمنى ان تنتصر المانيا ـ هجم عليه كارين صارخا مهددا . وكان هذا الرجل ايضا عدوا لدودا للصهيونية ، مع انه يهودي . وكان يقول انها اداة بيد الاستعمار خلقتها البرجوازية وان فلسطين هي ارض العرب وان بريطانيا تستعمل الصهيونية لازعاج العرب الثائرين واستغلالهم .

ولكن حدث في احد الايام ما حطم نفسية كارين القوية . فقد حدث بعد ان تشاجر السجناء المدعوين « باليوركي » . وصرخ بهم ناعتا كارين باليهودي القذر . فأثر ذلك على معنوية كارين ولم يجد من يشكو له همومه غيري .

لقد كان اكثر المساجين يكرهونه لانه من « الانتلجنسيا » أي طبقة المثقفين واكثر المساجين من طبقة « اليوركي » البدائية . وقد كنا نسمع قصصا كثيرة عن اعمال اليوركي الوحشية وخشونتهم وكرههم للانتلجنسيا كراهية تصل في بعد الاحيان الى القتل .

واتباعا للنظام القائم في معتقلات روسيا تقرر نقلنا الى مكان آخر . وقد كان النقل شاقا ومرهقا الى درجة ان جميع المساجين يحاولون بشتى الطرق البقاء حيث هم وعدم الانتقال الى مكان آخر الا انه لم يكن باليد حيلة فركبنا في قارب قديم نحو معتقلنا الجديد .

وفي الليل رأيت العرق البارد يتصبب على جبين كارين وهو يخبرني ان ماله قد سرق من جيبه ولم يستطع ان يجهر بما حدث له خوفا من ان يقتله اليوركي فلذلك اقنع المسكين نفسه ان اليوركي سرقوا نقوده لانهم اعتقدوا انه وشى بهم الى الحارس واخبره انهم يلعبون الورق وكان يعتقد المسكين ان اليوركي يريدون قتله فأصبح في حالة نفسية محزنة . وحدث مرة ونحن في المركب ان اقترب مني وقال : « انظر هذا اليوركي انه يريد ان يقتلني » والتصق بي . والتفت الى حيث أشار فرأيت يوركي يتقدم زاحفا وفي يده شيئا ما لم نستطع رؤيته . وعندما اقترب منا التصق بي كارين حتى اصبح كأنه قطعة مني وصرخ : « انه يريد قتلي » . ولكن

اليوركي لم يأبه له لانه في ذلك الوقت لم يكن يفكر فيه ، فقد استمر بزحفه مارا بنا واتجه نحو بعض رفاقه ليلعب معهم بالورق ، ولكن كارين لم يهدأ بل ظل يعتقد ان اليوركي لن يغفر له صراخه وسيقتله .

وفي الليل سألني : « مناحيم هل تذكر اغنية لوشوف . ولفظ هذه الكلمة الاولى العبرية التي سمعتها منه باللهجة الاشكنازية فلم افهم في باديء الامر أي اغنية يعني . فاعتراه الغضب وقال : « كيف لا تذكر .. انها الاغنية التي كان يغنيها الصهيونيون في « اوديسا » عندما كنت صغيرا .. غنها لي فقد تكون هذه ايامي الاخيرة، ولن اراك بعدها... غنها غن « لوشوف » . وكان في المركب بضعة يهود لم يكونوا من السياسيين مع انه كان بينهم اثنان من منظمة « البيتار » . ومع هذا فقد استطعنا ان نغني . وغنينا « لاشوف » أي « الهاتكفا » .

ها نحن الان حفنة من اليهود ، بيننا واحد لم يحلم بصهيون ولا عمل لصهيون بل علم طوال حياته ان الصهيونية اداة للرجعية . طوال حياته كان يخدم مبدأ آخر باخلاص وتضحية حتى اصبح عضوا كبيرا في الحزب الشيوعي ومحررا مساعدا في جريدة الحزب اليومية . كم يبعد الان عن صهيون ؟ ومع هذا ، وفي الساعات التي اعتقد انها ساعاته الاخيرة طلب منا ان ننشد اغنية صهيون ! وانشدنا ، ومن اعماق المركب القديم ارتفعت أصواتنا .. « ان نعدو الى ارض ابنائنا » ..

وقد كنا على ذلك المركب عندما جاء الامر بالافراج عن المواطنين البولونيين المعتقلين فقد وقع سيكورسكي اتفاقية مع ستالين . وكان اسمي ، حسب الترتيب الهجائي الاول بين الذين سيفرج عنهم . ولما ذكر اسمي صرخ احد « اليوركي » :

ـ هذا ليس بولونيا .. انه يهودي » .

مسكين هذا اليوركي ... هل تتوقع من جاهل مثله ان يميز بين الجنسية الرسمية والقومية ؟!

واقتربنا من الشاطىء وانتقلنا الى مركب صغير جاء لينقلنا . فلقد اصبحنا أحرارا !!

ومضينا في الطريق الى الحرية من الشمال الى الجنوب . فتشت عن اختي ، التي كانت منفية ايضا ، واخيرا وجدتها صدفة . ثم وجدت بعض اصدقائي . ثم ارسلت البرقية الاولى الى اسرائيل . وكان الرد الاول من زوجتي .

وبعد اشهر من الحيرة وعدم الاستقرار انخرطت في الجيش البولوني حيث اخذنا ننتقل من بلد الى اخر .

قطعنا جبال الفرس الى ان وصلنا بابل ، ثم بغداد ، ثم بحيرة الحبانية ، ثم تقدمنا الى شرق الاردن ، ارضنا حيث تمتد الحقول كالبحر الواسع وتبدو لك الارض خالية خاوية الا من بدوي يقود بعض جماله ، ولكنك كلما اقتربت من نهر الاردن تزداد مقابلتك للناس . وعندما توقفت السيارة هناك قليلا، نزلت منها وارتميت على العشب الاخضر واستنشقت عبير هواء بلادي .

من هناك بدأت صفحة جديدة في حياتي . لقد كان العمل السري شيئا جديدا علي قبل ان انفذ الى اعماقه . لم أكن اعرف شيئا عن العمل السري الا ما قرأته في كتاب بسيط . لقد كنت افضل دائما العمل المكشوف على العمل السري ، ولكن . . . هكذا قدر الله لي فلتكن مشيئته!

وبدأت عملي ونضالي لا في جيش من البولونيين بل مع فرقة الثوار اليهود نعمل بقوة لنبني طريق الحرية للشعب اليهودي !!



نحن نكافح .. فنحن إذن نحيـا

خلال الحرب العالميـة الاخيرة ، حـددت مصير الشعب اليهـودي حقيقتان : الحقيقة الاولى هي ان هتلر قد قرر ابادة اليهود ، ومعنى هذا ان على بريطانيا ان تبر بوعدها لليهود فتفتح لهم ابواب فلسطين. والحقيقة الثانية ، ان بريطانيا ادركت ان الدولة اليهودية المنتظرة لـن تكون ألعوبة بين أيدي ساستها الاستعماريين ، فقررت ان تمنع اليهود من الالتجاء الى الوطن القومي الموعود .

ان النسيان مـلاك طيب القلب ... ان خفقـة جناحية قد تشفي جروحا وامكانيات الدول والشعوب على النسيان هي بنفس قوة امكانياتهم على التذكر ... ولذلك يجب ان لا ندهش اذا رأينا بعض الناس قد نسوا مذابحنا في المانيا ، ولكننا نحن لم نجرؤ علـى النسيان لذكريات المجازر التي وقعت لنـا ، لان النسيان في غير مصلحة مستقبلنا ، بـل وفي غير مصلحة العالم ايضا !

ان اليهود لا يستطيعون القول ان البريطانيين لم يريدوا مساعدتهم ، بل الاصح انهم ارادوا ان يمنعوا غيرهم من مساعدة اسرائيل علـى القيام بفلسطين . والسبب واضح فان مطامع السياسة البريطانية في فلسطين قديمة جدا ، ومن اقوال « كرومر » كلمته التاريخية من انه عندما تسقط الدولة العثمانية وهي لا بد ساقطة ــ فيجب ان تكون فلسطين مـن حصة

بريطانيا ! ومطامع الانكليز في هذه المنطقة الهامة من الشرق ظهرت في القرن التاسع عشر عندما عطفت على اليهود الذين كان السلطان يضطهدهم ... والسؤال هو : هل بريطانيا هي الدولة الوحيدة التي تتستر وراء المضطهدين باسم العدل والحرية لتصل لغايتها السياسية ؟!

والجواب طبعا لا ...

وعندما استلم هتلر الحكم في المانيا بدأ اضطهاده لليهود يزداد قوة وشدة ومع الايام بقي الانكليز على سياستهم : الحد من الهجرة .

والآن ما العمل ؟ وما الحل ؟ يجب ان ندخل هؤلاء المهاجرين رغم انف بريطانيا !

عندئذ قامت جمعية « الارغون زفاي ليومي » بمساعدة بعض منظمات الشباب ، على تهريب آلاف المهاجرين الى الداخل ، ولم تتوقف هذه العمليات بالرغم من الضغط الشديد الذي كانت تقوم به بريطانيا لدى دول اوروبا الشرقية لتمنع المساعدات التي كان يؤديها كثير من الموظفين الرسميين لمنظمات اليهود في عملهم . ولكن العمليات استمرت وأدرك الانكليز اننا لن نستسلم . وكانوا يأمرون السفن التي تحمل المهاجرين بالرجوع الى مراكز ابحارها ، وكانت بعض هذه السفن تنصاع للامر ، وبعضها يغرق على الطريق ، والبعض الآخر يرفض الامر بالرجوع ... مما اضطر بعض الارهابيين الى وضع قنبلة لمنع الباخرة « باتريا » من الرجوع .

اما اليهود في اوروبا فكانوا يعيشون في ظلام رهيب ... مليون وخمسمائة الف يهودي ذبحوا مرة واحدة !! ملايين من الرجال والنساء قتلوا ، اغرقوا ، احرقوا ، او دفنوا احياء . ولكن العالم لم يتحرك ، فقد تعود على هذه المجازر ! ان العالم لا يشفق على المذبوحين ، انه يحترم الذين يحاربون فقط . هذه هي الحقيقة !

هاتان الحقيقتان الاساسيتان : اضطهاد المانيا لليهود ، ومنع الهجرة، كانتا السبب المباشر لثورتنا في ارض اسرائيل ، واشدد على كلمة « المباشر » لان في كل ثورة او حرب اسبابا هي جوهرية اصيلة يجب أن نفرقها عن الاسباب المباشرة التي تتجدد وقت الثورة فقط . ان الثورة كانت لا بد آتية ، فشعبنا يريد ان يكون حرا في أرض لا يحكمه فيها اجنبي !! ولقد بعث الدم في ثورتنا الحياة ، دم شعبنا المسفوك على الارض الغريبة اشعل الثورة في قلوبنا واعطى الثائرين قوة ولم يطلب الثائرون من المحكمة العسكرية الرأفة او العطف ابدا ، وكانوا اما يلوذون بالصمت حتى لا يعطوا معلومات ، او يكملون المعركة داخل المحكمة ويهاجمون القضاة ويتهمون بدلا من ان يدافعوا !!

وعندما بدأنا المعركة اقسمنا ان لا تراجع . لقد بدأنا عملا لم نستطع ان نرى نهايته . كان حاضرا مريرا اما مستقبلنا فغامض . لقد كان علينا فقط ان نؤمن ان عملنا وتضحياتنا ودماءنا وآلامنا هي التي ستضمن لنا النصر . ما الفائدة من كتابة البيانات ؟ ما قيمة الخطابات ؟ اذا هاجمك ذئب في غابة ، فهل تحاول ان تقنعه بالخطب ان لا يمزقك ؟ هل ترفع اليه بيانا ؟

لا .. لم يكن هناك الا طريق واحد ... اذا لم نناضل فسنتحطم فطريق الخلاص الوحيد هو النضال .

عندما قال : « ديكارت » انا افكر ، اذن انا موجود .. كان يتكلم عن تفكير عميق. ولكن هنالك فترات في تاريخ الشعوب لا تستطيع معها التفكير فقط لتبرهن عن وجودها . قد يفكر الشعب ، ولكن اشغال ابنائه بالتفكير فقط قد يحولهم الى قطيع من العبيد . ففي بعض الاوقات ترى كل شيء حولك يصرخ : « ان كرامتك كانسان تتوقف على محاربتك للشر ... نحن نكافح .. فنحن اذن نكون » .. !

الإستراتيجية اليهودية

كان الهدف الاول في خطة ثورتنا هو الحكومة البريطانية ، وقد أدت هذه الخطة الى نتائج محددة ، ولم نضع هذه الخطة ارتجالا ، بل بنيناها باتقان وجهد ، ووضعت في قالبها النهائي في ظل نار الحرب ونور التجربة .

وقد ارتكزت خطتنا على ثلاثة اسس قوية ... دراسة دقيقة للاساليب التي تتبعها الحكومة المستبدة في البلاد ، ودراسة واعية للحالة الدولية وتحقيق كامل في وضع بريطانيا في نهاية الحرب العالمية الثانية .

ان للحكومة البريطانية خبرة واسعة في حكم الشعوب وخصوصا الشعوب المتأخرة . وقد فحصنا هذه الخبرة ووجدنا ان البريطانيين على العموم يتجنبون اقامة حكمهم بالقوة لذلك يعتمدون على نفوذ هيبتهم . وقد اقتنعنا من التاريخ وتجاربنا ، بأننا اذا تمكنا من تحطيم هيبة الحكومة البريطانية ، فان زوال حكمها سيتبع ذلك اوتوماتيكيا ، وعندئذ هاجمنا باستمرار نقطة الضعف هذه !

وفي جميع مراحل ثورتنا استرسلنا في توجيه الضربات الى هيبة الحكومة البريطانية بتصميم عنيد وبلا انقطاع .

ومن المؤكد ان وجود حركة مقاومة سرية كفيلة في النهاية لدك هيبة نظام استعماري يعيش على اسطورة قوته الكبيرة . ان كل هجوم يفشل

الاستعمار في رده هو هجوم موفق وضربة لكيانه . وقد كانت اكثر هجماتنا ناجحة . ولكن صادف الفشل بعض الاعمال ـ وقد تعلمنا كيف نتجنبها مع اننا كنا نعلم ان هذه العمليات فشلت بالمعنى العسكري وحده، اما من الناحية السياسية فقد كان كل هجوم عملا نافعا ، وقد كان هناك حوادث واعمال صغيرة اصابت هيبة الحكومة في الصميم بضربات مؤذية ، فكانت اكثر نجاحا من الاعمال العسكرية ـ وكان لبعض اعمالنا العسكرية أثر كبير في تقويض هيبة الحكومة مثل جلد الضباط الانكليز بالسياط علنا في شوارع تل ابيب ، والقاء القبض على الضباط البريطانيين لمنع قتل زملائنا الاسرى ، مع ان ذلك لم يحل دون قتل اكثرهم ، الا انه أدى الى انزواء رجال الحكومة وخوفهم .

وكثيرا ما كان يواجهنا كثيرون بالقول ان الحكومة البريطانية لو ارادت لانتقمت منا بسحقنا جميعا ! وهكذا نعرض بأعمالنا جميع افراد الجالية اليهودية للخطر . ولكننا كنا نعلم ان الانكليز لا يمكنهم الاقدام على مثل هذا العمل . ولم نكن في اعتقادنا هذا نعتمد على انسانية الحكومة ، فقد شاهدنا جنود المظليين الانكليز في مستعمراتنا ، وقرأنا النشرات الداخلية التي كانت توزع على الجنود الانكليز والتي تحرض على معاملتنا بعنف ولكن اعتقادنا كان نتيجة تفكير سليم . ان مجموعة الاهالي المدنيين اليهود لا يمكن القضاء عليها في الحال ، وكانت الحكومة تعرف ان عملية الابادة لن تكون من جانب واحد أي انه لن تسفك دماء يهودية فحسب ، بل دماء انكليزية ايضا ، وقد قال الكولونيل الانكليزي « باترسون » مرة لضباط يهود « لا تنسوا ان الانكليز لا يحبون الموت » .

وقد وجدنا في تجاربنا المستمرة ما اكد هذا القول . وفوق ذلك لم تكن ارض اسرائيل بالبقعة النائية التي تمر فيها الحوادث من غير ان يكترث لها العالم ، بل كانت مركزا للاهتمام العالمي . هكذا جعلتها ثورتنا وفي هذه الشهرة العالمية وجدنا العامل الثاني الذي يبعد احتمال قيام حملة منظمة للقضاء على يهود فلسطين . ولذلك كنا نحاول زيادة عدد المهتمين بما قد يجري في ارض اسرائيل ، فان هذا الاهتمام الذي حققه كفاحنا كان بمثابة طوق نجاة خفي يحيط بالجالية اليهودية .

الجيش السرّي

وألفنا الجيش واطلقنا عليه اسم « الارغون » وقسمناه الى اربعة اقسام رئيسية : اولها جيش الثورة ، والثاني وحدات الصاعقة ، والثالث قوة الدعاية الثورية ، وفي وحدات الصاعقة كنا نختار نخبة من الشباب المدربين ذوي الوجوه السمراء مهمتهم ان يعملوا في المناطق العربية من فلسطين ، وفي اراضي البلاد العربية الاخرى . اما قوة الدعاية الثورية فكان عملها الدعاية في الداخل والخارج ، وجمع المعلومات اللازمة عن اي طريق . وقد لعبت هذه القوة دورا هاما في تكوين ثورتنا ، فهي التي جندت آلاف الشبان اليهود في الخارج فدربتهم على احدث اساليب القتال ثم نقلتهم الى اسرائيل في اللحظة الحاسمة ... وهي التي كانت تشتري الاسلحة والذخائر من أي مصدر رغم ما كان يصادفها من صعوبات جمة ، وهي التي ابقت انظار العالم موجهة الينا تحمينا من بطش الانكليز .

وكان علينا ان نوفر اكبر قدر من مواردنا المالية لاغراض الكفاح ، ولهذا لم يكن عدد المتفرغين لخدمة الارغون اكثر من اربعين شخصا اما الآلاف الاخرى فكانت تواصل عملها اليومي كالمعتاد على ان تكون دائما وفي اي وقت تحت تصرفنا . وكان المتفرغون يتقاضون مرتباتهم على اساس حاجتهم وعلى اساس رتبهم . فكان السائق البسيط صاحب الاسرة والاولاد ، يأخذ مرتبا اكبر من الذي يتقاضاه عضو هيئة القيادة الاعزب . وبهذا ، لم تزد نسبة المرتبات التي تدفعها « الارغون » عن ١٤ بالمئة من ميزانيتها ، ولولا ذلك لما استطعنا ان نقوم بأي عمل على الاطلاق !! .



النظـــام الداخـــلي

وكان نظامنا الداخلي يعتمد على شرطين اساسيين وهما : اولا الطاعة والنظام ، وثانيا السرية المطلقة . وكنا ندرك ان النظام والطاعة هما كـل شيء بالنسبة لجيش من الثوار يحيط بـه الاعداء من كل جانب ، ولذلك لم نتهاون ابدا في أي اثر يتعلق بها فكانت القيادة العليا تسيطر على جميع اعمال المنظمة السياسية والعسكرية ، وكانت هيئة اركان الحرب التابعة لها تضع الخطط اللازمة لتنفيذ الاوامر ونقلها الى قواد المناطق المختصين . وقد حدث عندما وجدت احدى وحداتنا فرصة مؤاتية لمهاجمة معسكر انجليزي في « رحابوت » ان خشي قائدها انتظار اوامر المسؤولين خوفا من ضياع الفرصة ، فقام بالهجوم ونجحت العملية نجاحا باهرا واستولت الوحدة على كميات من البنادق والمدافع الرشاشة والذخيرة . ولكن هذا كله لم يشفع عند هيئة القيادة العليا ، ولم يعف ضباط الوحدة من العقاب الشديد رغم سرورنا العظيم بنجاح العملية .

اما السرية المطلقة ، فكانت السـلاح الـذي احبط مجهودات قلـم الاستخبارات البريطاني وحمى ظهورنا من الخيانة . وكان نظامنا يقضي بأن لا يعرف أعضاؤنا بعضهم بعضا ، حتى كان جنودنا وضباطنا لا يلتقون الا عند التفتيش الاخير قبل بدء العملية التي سيشتركون فيها . واكثر ما كان يعرفه الجندي في الارغون هو زملاءه في الوحدة الصغيرة التي يعمل فيها . اما رجال القيادة فلم يكن يعرفهم احد . وكنا نؤكد دائما في اذهان

جنودنا ان اعـداء السريـة شيئان فقط وهمـا : التبجـح ، والفضول . فالتبجح يكشف السر لمن لا يعرفه ، والفضول يؤدي الى انتزاع السر ممن يعرفه . ولهذا كان شعارنا الذي نردده كل يوم ولحظة : لا تسأل .. ولا تتكلم .

وكان الكسب الاكبر الذي كسبناه من نظامنا هذا ، ان سمعة المنظمة احيطت في كل مكان بهالة من الرعب الـذي لا مثيل لـه الا في الاساطير . وكانت هذه الهالة الرهيبة تساعد كثيرا على تحقيق انتصارات مـا تمت لولاها . فقد كان يكفي مثلا ان نضع بالقرب من أي مكان يشغله الانكليز صحائف مكتوب عليها « الغام » حتى يبادروا الى اخلاء المكان فورا . وكثيرا ما كانت تنتابهم فوضى شاملة تسهل علينا مهمتنا . وقد كان اروع مـا حققته لنا سمعتنا الرهيبة هذه هو حادث قطار حيفا الذي استولينا عليه بالرغم من قلة عددنا .

رجـل .. وأسمـاء كثيرة !!

كنا قـد اعددنـا العـدة لنخطتف السير مكمايل المندوب السامي البريطاني في فلسطين .

وكانت خطتنا تتلخص في الهجوم على بيته في القدس ونسف جناحه الخاص ثـم دخول البيت وخطف الرجل ثم نقله الى شقة صغيرة فـي « بتاح تكفا » واعلان استلامنا للحكم . وكنا قـد اهتممنا فـي ترتيب الشقة التي سينزل فيها الرجل فجئنا بالاغطية الانيقة والفراش النظيف واثثناها به انتظارا للمندوب الذي سنخطفه . ولكننا ، بعد درس وتمحيص دقيقين قررنا عدم القيام بهذه العملية الخطرة . ولمـا بقيت الشقـة في « بتاح تكفا » مفروشة وخالية انتقلت اليها بعد ان كنت اقيم في اوتيل « مسافوي » في تل ابيب تحت اسم « بن زفي » !!

وبعد وقت قصير ، تركت شقتي النظيفة لانتقل مـع زوجتي وولدي الـى بيت صغـير فـي « هازيدوف » حيث اصبـح اسمـي « اسرابيل هلبيرون » !

وهازيدوف حي على طريق كفار سيركين يقطنه العمال اليهود ويقع في منطقة « بتاح تكفا » ومقابل البلدة العربية « فجة » .

بقيت في هذا المكان سنة كاملة دون ان يعرفني احد . وقد عرفني احد السكان ولكنه بقي صامتا . وادعينا اننا نعيش على تبرعات تدفعها لنا احدى الجمعيات اليهودية مما يجعلني في غنى عن العمل ، اما مشكلة عدم خروجي من البيت فقد قلنا للجيران انني استعد لتقديم امتحان القانون لاستطيع ممارسة مهنة المحاماة في فلسطين . وقد صدقنا الجميع بما في ذلك « ميكاللي » صاحب البيت الذي كنا نعيش فيه حتى انه اعتقد انني من الذي لا يفهمون شيئا في الحياة خارج الكتب .

والعجيب في ميكاللي انه كان عضوا في الارغون وكان يعرف القواد « ميريدور » و « دانيال » و « بنجامين » وكان يراهم في بعض الاحيان ، عندما يأتون لزيارتي ، ولكنه مع ذلك كان يظن انهم يأتون لاستشارات قانونية تتعلق بأعضاء العصابة المحاكمين !!

وعلى ضوء الشموع ، لانه لا يوجد أي كهرباء في الحي ، كان الرفاق يزورونني فنقيم اجتماعاتنا . وكنا احيانا نتمشى في الطريق ونخرج الى البرية متظاهرين بالنزهة ، وكنا في هذه النزهات نأخذ أهم القرارات .

كنا لا نزال في ذلك الحي حين قررت الحكومة القيام بحملتها التفتيشية الكبرى في الخامس من ايلول عام ١٩٤٤ . وقد طوق الجيش « بتاح تكفا » وكان احد ضباطهم يقول : « ان بتاح تكفا الدامية مليئة بالارهابيين » وكان هذا الضابط على حق ، فبتاح تكفا كانت ملجأ حصينا لشبابنا ، وكانت حقول برتقالها الكثيرة مخبئا ضخما لاسلحتنا وعتادنا ، وكان شبابها ورجالها ، بالرغم من التهديد والعذاب ، يصرون دائما على الصمت المطبق .

وفي ذلك اليوم ، الخامس من ايلول ، اعتزم الجيش ان يفتش كل مكان في بتاح تكفا ومنعوا التجول . وفي الفجر ايقظني جاري الذي لا يعرفني واخبرني ان الجنود يفتشون بتاح تكفا وانهم لا بد واصلون الينا . وكان ينام عندنا في تلك الليلة « دانيال » رفيقي في « الارغون » . وبعد التفكير قررنا ان نبقى في مكاننا ولا نهرع الى بساتين البرتقال حتى لا

يكشفنا الاعداء ونحن في الطريق وحتى نزيل أي شك قد يثار من قبل جيراننا في الحي . فخرجنا، انا ودانيال الى حديقة المنزل نتجاذب اطراف الحديث . وهناك رأينا قريبا منا ، الجنود بدباباتهم واسلحتهم يستريحون في طريقهم الى بتاح تكفا .

وقد انهارت اعصاب جارتنا مسز « سيجلا » لهذا المنظر، ولما ارادت زوجتي تهدئتها صرخت المرأة : « طبعا يا مسز « هلبيرين » انت لا يهمك شيء ، اما انا ... فعندي بطاقة « عسكرية » !! واستمر الجيش في تفتيش بتاح تكفا ولكنه ، لاسباب مجهولة ، رجع الى ثكناته في الظهيرة دون ان يفتش حي هازيدوف ،الذي هو حينا فتنفسنا الصعداء !!

ولم تكن اقامتي في « هازيدوف » بلا فائدة . فكثيرون من الذين تخلو عنا عادوا الينا ليعملوا مع الثورة وكثر عددنا ، وقويت الثقة ، واهم من ذلك فقد استيقظ الايمان النائم بقوتنا . فأصبحنا نكره او نحب ولكن احدا لم يستطع حتى الآن ان يسخر منا ، وكل عمل سري يجتاز المرحلة التي لا بد منها من الهزء والسخرية ويتخلص منها عندما يكون قد انتهى من النصف الاصعب من الطريق .

وفي هذه الفترة كتبت منشور « نحن نؤمن » وفيه صرحت بايماننا القوى بأن من دمائنا ستنبت شجرة الحرية . وكتبت ايضا غيره من المناشير .

وفي هذه الفترة ايضا نسفنا مركز قيادة البوليس البريطاني في القدس ، واجبرنا البوليس ان يبتعد عن المبكى ، ودمرنا قلعة «تيجارت» وهاجمنا نقطة البوليس بين يافا وتل ابيب وصادرنا كميات وافرة من الملابس من مخازن الحكومة تحت سمع رجال الحكومة وبصرهم .

ولكن ، قرب نهاية هذه الفترات بدأت الغيوم تتجمع ، وبدأت عاصفة الاضطهاد الداخلي علينا . فقد تضايقت سلطات الانتداب من اعمالنا وضغطت على الوكالة اليهودية وقد وعدت الوكالة اليهودية بمساعدة

الحكومة والعمل بشتى الطرق لحل جماعة « الارهابيين » وبدأت الحالة تسوء ، وكثر الجواسيس من حولنا . وعلمت ان بعض سكان الحي الشيوعيين بدأ يشك في شخصي .

ولذلك ودعنا حي هازيدوف وانتقلنا الى شارع يشوع بن نون في تل ابيب حيث اصبحت « اسرايیل ساسوفر » وقرر اصدقائي ان انمي لحية وادعي انني اكبر من عمري بعشر سنوات على الاقل ، وان اظهر بمظهر رجال الدين الاتقياء . وقد دعاني احد جيراننا من رجال الدين ان أقوم بالصلاة في الكنيس بمناسبة وفاة رجل قريب ، ومن يومها اصبح عملي في الكنيس من اعمالي اليومية . وكان اعضاء الكنيس بسطاء جدا فلم يسألوني الا اسئلة بسيطة اقتنعوا بعدها انني رجل كسول خامل لا اعمل شيئا واتناول مصروفي من امرأتي ولذلك كان يشفقون عليها كثيرا !!

وفي هذه الفترة اشتدت الحملة علينا حتى من اليهود انفسهم . فقد سلموا ميريدور للسلطات البريطانية ، خطفوا « اليعازر » ، ولاحقوا الكثيرين من ضباطنا ، فتحتم علينا ان نتعمق في سرية عملنا اكثر .

ولكن في تلك الفترة ايضا انتهت حملة اليهود ضدنا ، وولدت «حركة النضال الموحد» وقمنا بعمليات مشتركة رائعة فنسفنا المركز العسكري البريطاني لفلسطين في فندق الملك داود واستطعنا ان ننقذ اثنين من شبابنا من حبل المشنقة وقمنا بالهجوم تلو الهجوم على المستعمر وهبت الثورة في شعلة رهيبة .

وفي اوائل سنة ١٩٤٧ اضطررت لترك شارع يشوع بن نون . فقد علمت مخابراتنا ان السلطات بدأت تراقب الحي ، وفوق ذلك فقد قرب عقد الايجار على الانتهاء ، وفهمنا من صاحب المنزل انه يريد بناء فندق بجانب المنزل وليس من السهل ان يعيش رجل سري بجانب فندق كبير . ثم ان قيادة الهاغانا ، قد عرفت مكاني وشخصيتي الجديدة ، وهذا لا يهم ما دمنا نعمل الآن متعاونين ، ولكننا قد نفترق من جديد ؛ وعندها يكون من الخير لي ولعائلتي ان لا يعرفوا مكاني . وهكذا

انتقلت الى شارع يوسف الياهو في وسط تل ابيب باسم الدكتور « يوناح كيونيغ شوفر » وكانت معي زوجتي وابني وابنتي الصغيرة التي ولدت قبل ايام وسميناها « حسيا » .

وهناك برز عامل جديد ساعد على انطوائي وعدم ظهوري وهو ان صاحبة البيت عندما رأتني لاول مرة لاحظت ان وجهي يميل الى الاصفرار وظنت اني مريض بالسل . فما لبثت ان ذهبت الى تباح تكفا ، لتفتش وتستعلم عن صحتي وهناك وجدت بالصدفة رجل من عائلة «كينغ شوفر» اخبرها ان احد جدوده مات بالسل . فتأكد لديها ظنها واخبرت الجيران انني مريض بالسل وهكذا اصبح الجميع يبتعد عني ، وهذا ما كنت ارجوه .

وكان الجميع ، حتى الاساتذة في مدرسة ابني ، يشكون كثيرا من اسمنا الطويل الصعب ، فكنا نجيبهم ببساطة ان اجدادنا اسماءهم هكذا فكيف نبدلها ؟!

وفي هذه الشقة رزقنا بابنتنا الثانية « لية » فقد ولدت في وقت كانت القنابل العربية من يافا ترعد في سماء تل ابيب . وكانت هذه الشقة المكان الاخير الذي اختفينا به ، فقد انتقلنا بعد ذلك الى العمل المكشوف . وعندما القيت خطابي العلني الاول من القدس دهش جميع الجيران، وحتى ابني « نبي » دهش كثيرا لانه لم يعرف انني اعمل في الارغون ، ولأنه ايضا كان يكره الارغون ويميل الى الهاغاناه ، ولكنه في النهاية ، وبعد ان شرحنا له كل شيء ، بدأ هادئا رضيا . ولكنه كان يسألني دائما سؤالا مثيرا . . . عن «ابن عمي اسرايل » وهو يعني اسرايل اينشتاين أعز اصدقائي وكنت اجيبه دائما انه في امريكا وسيعود . ولكنه لم يكن في امريكا فقد ذهب ولن يعود .

فقد كان اسرايل محط اسراري في ساعات الشدة ومع انه لم يكن في القيادة العليا للارغون . الا انه كان يعرف جميع الاسرار ويشرف على ادارة صحيفتنا « حيروت » واخيرا ارسلناه في رحلة الى اوروبا لتدريب

شبابنا المتطوعين هناك . ولكن، بعد وصوله الى روما بأيام نسفت المفوضية البريطانية هناك . وامسكت السلطات هناك بزعماء الارغون ، وكان بينهم اسرايل . وفي ذلك الوقت كان للبريطانيين نفوذ واسع في ايطاليا فطلبوا استلام المساجين باعتبارهم رعايا بريطانيين . ولما كان اسرايل متأكدا ان السلطات الايطالية ستسلمه حاول الفرار وقتل وهو يقوم بالمحاولة .

وقد عشنا في اماكن كثيرة متعددة وتحت اسماء مستعارة ، وكنت دائما احاول ان اكون بسيطا في اعمــالي حتــى لا اجلب الانتبــاه ، وقد نجحت .

ووقف السير « ادوارد كريغ » ، الوزير السابق لبريطانيا في الشرق الاوسط، في مجلس اللوردات وقال : ان السبب الاول لفشلنا في فلسطين هو فشل ادارة مخابراتنا » .

وهذا صحيح !!

الحرب الأهليّة .. مستحيلة

لقد تنبأ الانكليز بأنهم عندما يتركون فلسطين فالحرب بين العرب واليهود ستنشب في الحال وقد صدق ظنهم . وتنبأ ايضا بأن حربا عالميا اهلية ستقع بين اليهود انفسهم . ولكنهم هنا كانوا على خطأ . فالعوامل التي انقذتنا من هذه الحرب الاهلية هي :

اولا : اننا لم نعلم رجالنا الحقد على خصومنا السياسيين ، فالحقد المتبادل هو الذي يؤدي الى حرب اهلية . والسبب الثاني يتعلق بامتلاك السلطة – أي اننا حاربنا فقط في سبيل تدعيم دولة يهودية ولم نحارب من اجل تسلم سلطة الحكم . فقد ثرنا لكي نحرر شعبنا لا لنحكمه . لقد تحكمت مبادئنا فينا ، فقد كنا مستعدين ان نضحي بحريتنا الشخصية ونترك عائلاتنا ونتحمل اكثر انواع العذاب ، وحتى حياتنا كنا مستعدين لتقديمها اذا كانت مبادئنا تطلب منا ذلك . اما من هو الذي سيحكم هذه الدولة التي نقدم في سبيل بنائها هذه التضحيات فذلك لم يكن مهما . فالشيء الاساسي هو ان نبني الدولة ونفتح ابوابها لنستقبل آلاف المهاجرين ونتنسم الحرية بعد سنين طويلة من الاضطهاد والحكم الاجنبي . ولو اردنا السلطة لحاربنا من اجلها ، ولأصبحنا فريقين متحاربين ولم يكن حربنا مع العرب ليوقف حربنا مع بعضنا البعض لان من يطلب السلطة يتعاون حتى مع العدو لتدعيم سلطته ، ولكننا لم نفعل ذلك وحاربنا العرب ونحن يد واحدة لان فريقنا لا يطلب سلطة ... ولم نكن نكره بعضنا بعضا .

هل لنا الحق ؟

في صباح ٢١ تشرين اول سنة ١٩٤٤ حاصرت معتقل « اللطروف » قوات الاحتلال البريطانية ونقلت حوالي ٢٥١ معتقلا يهوديا الى طائرات كبيرة لنقلهم الى ارتيريا في افريقيا .

وكان هذا العمل أشد الضربات قساوة من بين تلك المحاولات الكثيرة التي حاول بها المستعمر زعزعة صفوفنا .

وقد برر الانكليز عملهم هذا بقولهم انهم يخشون ان تحاول « الارجون » اخراج هؤلاء المعتقلين وتهريبهم . وكان هذا الادعاء مثلا للاعذار البريطانية السقيمة ، فقد كان القصد الاساسي لعملهم هذا قصم ثورتنا واطفاء شعلتها وكان لهذا الهدف نواح عديدة . فقد اراد الانكليز اولا ان يحطموا معنوية المعتقلين انفسهم ، وكان من بينهم محاربين وضباط ممتازين . وكانوا ايضا يريدون تعذيب عائلات هؤلاء المعتقلين . ثم انهم ارادوا ان يرهبوا الشباب اليهودي ويبعدوهم عن منظماتنا .

انا لا استطيع ان انكر ان معنوياتنا عندئذ اصبحت ضعيفة جدا ، واصبحنا في صراع معنوي عنيف مع انفسنا . وكان هناك سؤال واحد يلح علينا . وهذا السؤال هو : « هل لنا الحق في ان نسبب كل هذا الخراب والعذاب لرفاقنا الكثيرين ؟ » .

وتذكرت نفسي عندما كنت سجينا ، وتذكرت الالم والعذاب والوحشة التي كانت تقض علي مضجعي . وتذكرت ايضا ان هذه هي حالة هؤلاء المائتين والواحد والخمسين منفيا الآن . فلا عجب اذن ان يكون رد الفعل الوحيد لمنظمتنا هو العمل بأية طريقة ، وبأي ثمن لارجاع هؤلاء المنفيين ولمنع نفي غيرهم .

كنا نكره المساومة والمفاوضة . فلو اخبرنا الحكومة يومها اننا سنتوقف عن القتال لما ارجعوا المنفيين الى معتقل اللطرون فقط بل لاعتقوهم من سجنهم ايضا . ولكننا صممنا على القتال حتى النهاية لكي نفهم الحكومة ان عملها هذا لم يؤثر فينا ابدا بل زادنا ثورة واشتعالا .

ليلة بعد اخرى اذعنا البيانات والمناشير مهاجمين ترحيل المعتقلين الى افريقيا . وقمنا بهذا العمل بالاشتراك مع منظمة « شتيرن » . وبعد ذلك قررنا ان ندع الكلام للمدفع والرصاص لولا ان حادثا مفاجئا قلب خططنا رأسا على عقب . ففي اول تشرين الثاني سنة ١٩٤٤ بينما كنت مع زميلي يعقوب ميرادور ننتظر « ناثان فريدمان » و «ايتشاك يسرنيتنركي» من قيادة « شتيرن » لكي نتفق على العمليات المشتركة ، اذ بيعقوب يفتح المذياع لنسمع خبرا من القاهرة مفاده ان اللورد مين قد قتل هناك . وكان ذلك العمل فاتحة للهاغاناة وللوكالة اليهودية لتضطهدنا وتحاربنا بجميع الطرق السرية او الظاهرة .

وقد اجتمعت جميع « المدارس الفكرية » الصهيونية لتقرر طبيعة الحملة علينا . وقد عارض الحاخام « فيشمان » من الحزب الميزراحي و « بيتشاك جرانبوم » من المستقلين مبدأ الحملة علينا . وحبذ الاعضاء المنفصلين من الماباي «العمل المستقل» أي الخطف والعمليات المشتركة ، ولكنهم عارضوا الاتفاق مع البوليس والمخابرات البريطانية .

اما بن غوريون رئيس الماباي فقد اعرب عن رأيه في خطبة مفصلة القاها في مؤتمر « الهتسدروت » قال فيها انه لا يوجد أي سبب يمنع اليهود من ان يتعاونوا مع السلطات البريطانية في سبيل الهدف المشترك،

وقدم فيها مشروعا يرتكز على اربع نقاط « لمكافحة الارهاب وقمعه » وهي :

اولا : الطرد من العمل لكل من له علاقة بنا عن أي طريق وليس فقط اولئك الذين يحملون السلاح معنا ، بل الذين يوزعون نشراتنا ايضا . اما اذا كان موزع المناشير طالبا في المدرسة فيجب طرده منها .

ثانيا : عدم ايواء او حماية أي ارهابي حتى ولو كان في احرج الساعات .

ثالثا : عدم الرضوخ للتهديد والمقاومة اذا اقتضت الحال ، لان تهديداتنا كانت تذهب ببعض الناس الى المطالبة بعدم ملاحقتنا .

رابعا : التعاون مع السلطات البريطانية بما انها تهدف ايضا الى قمع حركة الارهاب ! فمن الجهل عدم قبول مساعدة السلطات في قضية متشتركة كهذه ... فمن دون مساعدتنا للسلطات ، ومن دون مساعدات السلطات لنا لا نستطيع ان نقضي على هذا الوباء .. » .

وقد انتصر هذا الرأي الذي قدمه بن غوريون ودافع عنه زميله الاشتراكي « هاشومير هاتزير » . وهنا بدأ العمل المكشوف ضدنا وبدأ شباب الهاغانا يتجمعون في المدن الكبيرة . وقسمت البلاد الى مناطق على رأس كل منها قائد يعاونه ضابط بريطاني بحيث تضمنت هجماتهم المنظمة كل شارع وكل منعطف .

وبدأ فصل الطلاب من المدارس وطرد العمال من المصانع لا لسبب الا لأنهم مشبوهون . وكان يعقب هذا العمل الرامي الى اشاعة الذعر بين العائلات الخطف والتسليم للسلطات. فكان افراد الهاغانا يخطفون الشباب ويسجنونهم في اماكن مظلمة باردة ويعذبونهم . ثم يسلمونهم للسلطات . عبر لوائح عديدة بأسماء اعضاء الارغون وكانوا يسلمونها ايضا اشخاصا عديدين ما كان البريطانيون يحلمون في ان يقبضوا عليهم يوما ما .

وقد قال ريتشارد كروسمان ، البوليس السري السابق في فلسطين ، في مجلس العموم البريطاني انه يعلم ان الهاغاناه والوكالة اليهودية سلمتا للسلطات البريطانية حوالي ١٥٠٠ عضو من الارغون . ومع ان هذا العدد مبالغ فيه بعض الشيء الا انه يظهر مدى تواطؤ الهاغاناه والوكالة اليهودية وتعاملهما مع السلطات البريطانية .

فكيف نواجه هذه المشكلة ؟؟ لقد كان الضرر اللاحق بنا من هذه الاعمال كبيرا جدا ، فالى متى سنحتمل ؟!

ان العمل السري يوجب الاختفاء والوحدة وهذه الوحدة تمكننا من التفكير العميق ، وفي بعض الاحيان تكون الغرفة المظلمة تحت الارض برجا عاليا تبصر من خلاله كل شيء حولك. ولولا هذا التفكير العميق الذي دفعنا الى ان نؤمن بأن الغد المأمول قريب لما كافحنا حتى الموت ولبقيت حكومة الانتداب تضحك منا حتى النهاية .

وكنا نستطيع ان نختار احد الحلول الكثيرة المعروضة للبحث ، منها التسليم لزعماء الوكالة اليهودية . وهناك نوعان من التسليم ، كما ان هناك نوعان من الحرب ... الحرب الجائرة الهجومية التي تجلب العار على من يعلنها ، والحرب الدفاعية التحريرية التي تشرف القائمين عليها ، ففي كلتا الحالتين دماء وعذاب . ان الفرق في الهدف وكذلك بالتسليم . فتسلم الهاغاناه السياسي والمعنوي المحتمل للسلطات في ٢٩ حزيران ١٩٤٦ جلب العار على كل من عمل له . اما تسليم المدافعين الهاغاناة والارغون عن القدس القديمة سنة ١٩٤٨ فلم يكن مخجلا .

وكما ان هناك خيط من الحقيقة في القول القديم « الويل للمهزومين » هناك خيط من الحقيقة ايضا في قولنا بعض الاحيان « الويل للمنتصرين » فالحياة سلسلة طويلة من الثورات والتسليم يصعب التفريق بينها . فالرجل يستسلم لمبادئه ولوالده وهذا « الاستسلام » في بعض الاحيان يسبب الثورات وهذه الافعال ورد الفعل هي التي تعطي للحياة قيمة كبرى .

لقد رفضنا انذار الوكالة اليهودية والهاغاناه لا بدافـع الغيرة على سمعتنا او المحافظة على كرامتنا ، فلو استسلمنا لما شعرنا بالخجل ابدا فقد قمنا بكل ما يقتضيه واجبنا نحو شعبنا ، فرفعنا علم الثورة وقدمنـا التضحيات بحياتنا ودمائنا وحرياتنا . فاذا جاءت قوة داخلية تفوقنا عددا وعدة ، فأي عار فـي الاستسلام ؟ بالعكس ، ان العـار عندها يكون على « المنتصرين » .

ولكننا نظرنا للقضية من ناحية اليهودية العالمية . فقد كان اضطهاد اليهود في اوروبا على اشده وكانت ابواب الارض المقدسة مقفلة بوجوه المهاجرين ، فكان علينـا ان نفعل شيئا لتغيير الحالة . فاذا استسلمنا للوكالة اليهودية المستسلمة بدورها للسلطات البريطانية لبقيت بريطانيا حاكمة سعيدة ولما تغير شيء .

اما من الناحية الداخلية فقد اعلنت انـا ، اننا مستعدون للسير وراء بن غوريون واطاعة اوامره اذا حارب السلطات القائمة .. فالمشكلة عندنا لم تكن مشكلة زعامة بل مشكلة حرية يجب ان ندافع عنها بأية طريقة .

اننا لن نطيـع اوامر بـن غوريون المتحالف مـع بريطانيا ، ولكننا مستعدون ان نطيع اوامر بن غوريون اليهودي المحارب في سبيل حرية شعبه اذا عمل فعليا وحمل السلاح في وجه اعدائنا .. وقد اطعناه بعد بضع سنوات عندما بدأ نضاله ضد الاعداء .

وعندما درسنا المشكلة قررنا ان لا نخدع انفسنا ، ونخدع شباب امتنا . فماذا نبرر وقف قتالنا ؟ هل فتحت الابواب للمهاجرين ؟ لم يكن هناك مبرر لوقف القتال . بل ان الحالة السياسية الراهنة توجب العنف في القتال ، لا وقفه . فالتسليم اذاً سيجلب علينا العار في الخارج وفي الداخل . فلو استسلمنا لاصبحت الثورة النفسية ــ وهي المحرك للثورة السياسية والعسكرية ــ دخانا في الهواء . اذاً يجب ان نرفض الانذار .

اما السبب الثـاني لرفض الانذار فكـان في طبيعة علاقتنا بمنظمة

« شتيرن » . فقد عتبنا على قادة هذه المنظمة لعدم اخبارنا عن مهمة بعث تزوري وحكيم الى القاهرة مع اننا كنا نقوم بأعمالنا معا. وقد كان قتل اللورد موين في القاهرة حجة تذرع بها اعداؤنا ليضطهدوننا. فسرى الهمس المنظم وغير المنظم بأن بريطانيا ستنتقم من اليهود لمقتل وزيرها فخلق الهمس جوا من الحقد على القاتلين وجماعتهم . لذلك وجدنا انفسنا مضطرين ان نقف مع زملائنا ، جماعة شتيرن ونساندهم في احلك اوقاتهم ، وقد عجبت بعدما علمت ان شباب شتيرن يتنزهون في تل ابيب دون ملاحقة. ولكنني عرفت السبب بعد بضع سنين من النضال المشترك اذ اخبرت ان شتيرن اقسمت للحكومة انها لن تقوم بأعمال عنيفة ابدا !!

وكان الحل الثاني للمشكلة هو ان نرفض الانذار وننحني للعاصفة لفترة ما ، ثم نعود للقتال ، أي بصراحة كنا نريد ان نخنث بوعدنا . ولكن هذا الرأي استبعد ولم يقترحه احد في الاجتماع .

وكان الحل الثالث هو ان نرد اللطمات المنهالة علينا . وقد كان لهذه الفكرة كثير من المؤيدين المتحمسين ، وقد دعموا آراءهم هذه بحجج قانونية ومنطقية . فللسرية قوانين خاصة ، منها ان المخبر او الواشي يجب ان يدفع حياته ثمنا لوشايته . فهل من المعقول ان نحجم نحن حاملي لواء الثورة عن القيام بتنفيذ عمل بديهي تعترف به الثورة السرية وتدركه .

وفوق ذلك ، فاذا اكتشف معذبونا اننا سنضعف ونحجم ، فسيزيدهم ذلك قوة وشجاعة وامعانا في اضطهادنا . ولم يكن رجالنا ليشكوا في شجاعة رجال الهاغاناة ، ولكنهم كانوا يناقشون القضية بالنسبة للزعماء .

كنا نبحث كل هذه القضايا مع تسليم كل عضو جديد منا للسلطات البريطانية . الا اننا رفضنا جميع الحلول المقترحة السابقة وقررنا شيئا جديدا . لم نقرر وقف القتال ولا ارجاءه ولا الاستمرار فيه ، ولكننا اعلنا اننا لن نرد على الاعتداءات علينا . وبالرغم من ان هذا القرار كان مخالفا

لدم الشباب المتحمس الا انهم اطاعوه ولـم يخرقوه مـرة واحدة حتـى انتهاء مدة الانتداب وابتداء العمل المشترك بيننا وبين شتيرن والهاغاناه .

والذين دافعوا عن هذا الرأي لم يجدوا اسبابا منطقية لتبريره ولكن الايمان ، الايمان بأن قوات اسرائيل ستجمع كلمتها لتدافع فـي سبيل هدف واحد في القريب العاجل ، هذا الايمان دفعهم لاقرار هذا القرار . لقد كان الايمان كلاما لمنطق هو الدافع الذي صرخ فينا « لا حرب اهلية ... بأي ثمن » . وقد تكون الغريزة اساس المنطق .

واستمرت الحالة المؤسفة كما هي ، وقد قلنا انه ليس هناك حرب اهلية ، والواقع ان هذه الحرب كانت قائمة من جهة واحدة . ولكننا لم نرد الهجوم لاننا كنا موقنين ان مضطهَدين ومضطهِدين الماضي سيمشون الى معركة قريبة متكاتفين موحدين في سبيل امتهم وشعبهم .



حادثة "التلينا"

لم يعد سرا ان باخرة الاسلحة هــذه كانت ضحية مؤامرة مدبرة . وعندما وقف بن غوريون في اول اجتماع للبرلمان اليهودي ليقول : « ان لي ضلعا في هذه الباخرة القريبة من‌هنا» قاطعه احد نواب الماباي قائلا: «ولكن من الذي شجعك على ذلك» . صمت بن غوريون صمتا افصح من الكلام فقد دبر حادث « التلينا » في صمت وحذر ثم احرقت وغلفها الدخان .

والحقيقة المؤسفة هي ان « التلينا » تأخرت فــي الوصول . فلو وصلت حال انتهاء الانتداب البريطاني ــ أي فــي نصف ايــار ١٩٤٨ ــ لتغيرت حالة دولتنا تغيرا تاما . فقد كنا عندئذ نستطيع ان نقدم للدولة وللجيش ثماني او عشر فرق مسلحــة تسليحا كامــلا . وكنــا نستطيع بهجومنا الاول ان نحتل الرملة . فقد كانت هذه القرية العربية مطوقة من قبل رجال الارغون ، بعد الاتفاق مع الهاغاناه لكي يسحب العدو قواه من جبهة اللطرون ، وموشكة على السقوط. وقد اثرت قذائف مدافعنا المورتر ٣ انش في اضعاف معنويات اهل القرية ، وكــاد بعض شبابنا ان يحتل ضواحي القرية لولا ان قلة السلاح منعت ذلك . فقد كنا في حاجة الــى بعض مئات من البنادق والذخيرة ولم يكن ذلك متوفرا لنــا او للهجاناه في ذلك الحين . كنــا في حاجة فقط الــى ٦ بالمائة مما تحمل « التلينا »

لقــد كــان احتــلال الرملــة متوقفــا فقط علــى كمية بسيطة

من الاسلحة ولاستطاعت القــوات اليهودية المتحـدة ان تحطـم الجبهة العربية ولأثرت على الحالة الاستراتيجية بحيث يتغير الموقف في القدس وخصوصا القدس القديمة . فلـو وقعت الرملة لو قعت اللد ايضا فكنـا بذلك نستطيع ان نحطم قوى العدو في جبهته المركزية في المرحلة الاولى من الغزو بدلا من عمل ذلك فقط بعد « الهدنة » الاولى . وكانت القوى اليهودية حرة ، عندها كي تقوم بهجوم شامل على »المثلث» . باختصار ، كنا نستطيع ان نكون اليوم على الضفة الثانية من نهر الاردن .

ولكن القدر اراد غير ذلك . فقد كانت « التلينا » برجالها التسعمائة، والخمسة آلاف بندقية وثلاثمائة مدفع برن وخمس مصفحات مسلحة ، وغيرها من المعدات الحربية على اهبة الابحار منذ الاسبوع الثـاني مـن حزيران .

ولكننا لم نسمع عن ابحارها من فرنسا الا في راديو لندن . وقد صعقت عند سماعي النبأ لأنه في نفس اليوم بدأ تنفيذ الهدنة ! وظننا ان اذاعة لندن تقوم بلعبةبريطانية للفت نظر هيئة الامم الى سفر هذه الباخرة الذي يعد في العرف الدولي خرقا للهدنة . فأرسلنا برقية الى مندوبنا في باريس ، « صموئيل كاتزر » نقول له فيها ان لا يرسـل الباخرة ، وان ينتظر . وقد اجاب صموئيل كاتزر بأن برقيتنا وصلت بعد ابحار الباخرة بيوم واحد وانه لا يستطيع الاتصال بهـا ثم نصحنا بالاتصال « بالتلينا » رأسا .

وكانت رسالتنا فـي الراديـو « لألتلينا » « ابتعدوا ... انتظروا التعليمات » . ولم نعرف اذا كانت برقيتنا وصلتها ام لا ، ولكننا عرفنا بعدئذ ان راديو الباخرة لا يعمل الا من ناحية واحدة ـ أي انه كان يتلقى الاشارة ولكنه لم يكن يستطع الاجابة ـ .

وحال ارسالنا الاشارة للباخرة اتصلنا بوزارة الدفاع الاسرائيلية واخبرناها كل التفاصيل عن الباخرة وماتحتويه ، وقلنا للوزارة ان عليها وحدها الآن ان تقرر اذا كان يجب استقبال الباخرة او ارجاعها . وكان

قرار الوزارة ان نستقبل الباخرة ، وقد اخبرني ذلك اسرايل جاليلي بعد حديثنا الليلي في مركز قيادة الارغون . وقد ابتهجنا جدا للقرار فقد ازيحت المسؤولية عن عاتقنا على الاقل ، فقد كانت الحكومة تعرف الحالة الراهنة وتقدرها ولم يكن هناك الا هذا الحل فقد كانت الذخيرة تنقصنا ، وكان سلاحنا قليلا . كنا بحاجة ماسة الى ما تحمل «التلينا» . اما من ناحية قرارات هيئة الامم فكنا نستطيع ان ندبر ذلك . ففي مثل هذه الحالات لا وجود للاخلاق والمثل العليا . لقد كنا في حالة حرب وكانت المشكلة مشكلة حياة او موت . ولم يكن احد ليساعدنا . وقد شكرنا الله على ان حكومتنا قدرت الظروف .

وأرسلنا الاشارة الى « التلينا » المنتظرة . وبدلا من « ابتعدوا » ارسلنا « تقدموا . . . بأقصى سرعة » .

هذه الحقيقة يجب ان تؤكد جيدا لانه من هذه النقطة بدأ ستار الدخان يلف هذه القصة . لقد اصدرت بعد ذلك الحكومة المؤقتة ـ الاسرائيلية ـ بيانات تقول فيها ان الحكومة ، حبا منها في المحافظة على قرارات الامم المتحدة ، وعلى العرف الدولي وقوانين الهدنة عملت على تحطيمها واغراقها .

ولذلك يجب ا ناكرر : لقد كانت الحكومة تعرف كل شيء عن هذه الباخرة . . . كانت تعرف القصة كلها من اولها . . ولقد كانت الحكومة هي التي قررت استقبال الباخرة ، ولولا ذلك لما طلبنا اليها التقدم .

وبعد قرار الحكومة باستقبال الباخرة عقد اجتماع في وزارة الدفاع حضرته جميع القوى وتقرر فيه توزيع الاسلحة . وقد كانت الارغون في ذلك الاجتماع منظمة معروفة معترف بها . وعندما ثار جدل حول المبادرة بانشاء جيش موحد قلت : ان المشكلة لا تتوقف علينا بل على الحكومة .

وقد تعاونا مع الجيش تعاونا تاما حتى ان بن غوريون استعرض

جيشنا الممثل في يافا واعجب به الى درجة انه ارسل لقائد حاميتنا هناك طلبا ، ليتعاون مع قائد الجيش الرسمي في يافا .

ثم اتفقنا على ان نندمج في الجيش وبدأت بعض وحداتنا تندمج فعلا . ولذلك فقد كنا هيئة رسمية معترف بها في الاجتماع في وزارة الدفاع لتقرير واستقبال « التلينا » وتوزيع اسلحتها .

وقد كنا حسب الخطة القديمة ـ أي على اساس ان الباخرة ستصل في اواخر عام ١٩٤٧ ـ قد قررنا ان ترسو الباخرة في منطقة بتاح تكفا ـ تل ابيب ، او بناحية شارع « فريدسان » على وجه التفصيل . وقد قررنا ذلك لانه بذلك الزمن تكون القوات البريطانية قد انسحبت من تلك المنطقة كخطوة اولى للانسحاب من فلسطين .

ولكننا في الاجتماع عدلنا الخطة الاولى . فقد اقترح خبير في وزارة الدفاع ارساء الباخرة عند « كيفات اولفا » او « كفار فتكين » بجانب نتانيا حتى لا يجلب انتباه رجال هيئة الامم المتحدة . وقد وافق رجالنا على ذلك لان الشيء الاهم لديهم كان وصول الاسلحة وانزالها ولم نكن نشك في شيء لاننا لم نكن ندبر شيئا . ولذلك ارسلنا الى الباخرة اشعارا نوضح لها فيه اتجاهها ونطلب منها التقدم الى « كفار فتكين » .

وعن بحث قضية توزيع الاسلحة طلبنا اعطاءنا خمس هذه الاسلحة لارسالها لحاميتنا في القدس ثم توزيع الباقي على القوات المشتركة .

لكي نتفهم قصة « ألتلينا » يجب ان ارسم صورة عامة للحالة العسكرية قبل وصول الباخرة بقليل ثم حال وصولها . فقد كانت المدة انتقالية . كانت القدس وحدة منفصلة عنا ولم تكن سيادة اسرائيل قد امتدت اليها لان القيادة الرسمية اليهودية ، التي ارتضت قرارات هيئة الامم المتحدة ، استمرت في اعتبار القدس مدينة دولية . وفوق ذلك طلب بن غوريون في الاجتماع التنفيذي للهستدروت عدم البحث في قضية احتلال القدس . ولذلك لم يؤلف جيش يهودي في القدس بالرغم من انه قد تأسس وكان يعمل في مناطق اخرى . فبقي في القدس الهاغاناه

بقيادة قائدها هناك « دافيد شالتئيل » والارغون التي عملت بالاتفاق مع الهاغاناه ، وشتيرن التي لم تتفق رسميا مع الهاغاناه .

ولكن القدس المحاصرة من القوات العربية التي كانت تقذفها بالقنابل كانت تصرخ طالبة السلاح خصوصا بعد حادثة « النبي دانيال » حيث استسلمت وحدة كبيرة من الهاغاناه مع سلاحها الكامل للعرب .

كان رفاقنا بالارغون يصرخون طالبين السلاح . وكنا نحن نصرخ لمثلينا في اوروبا طالبين السلاح ايضا . ولكن العملاء السريين لاعدائنا كانوا يعرفون دائما موعد سفر البواخر فيؤخروها او يوقفوها . ولذلك فقد ارسلنا اسلحة صنعناها داخل اسرائيل مع اننا كنا بأشد الحاجة الى السلاح ولم يكن لدينا أي فائض منه . ولكننا لم نرسل لهم من الاسلحة التي استولينا عليها من المعسكرات البريطانية ، فلو ارسلناها لهم لساعدتهم نوعا ما ، ولكن لم نكن نستطيع عندئذ ان نحتل يافا .

وقد قامت فرقتنا بالاعمال الرائعة بالرغم من قلة السلاح خصوصا ونحن قد اعطينا الحق لحامية يافا والقدس ان تقوم بوضع خططها بنفسها ولا تنتظر اوامر القيادة العليا نظرا لصعوبة الاتصال والانتقال من منطقة الى اخرى .

وقد قام رجالنا بأعمال مشرفة في معركة القدس القديمة . كانت الحامية مؤلفة من مائة رجل من الارغون ومائتين من الهاغاناه مع اسلحة بالية وذخيرة قليلة . واستمرت المعركة اسابيع . وقد حدث اول الامر سوء تفاهم بين شبابنا وشباب الهاغاناه بشأن توزيع الطعام . ولكن مع مضي الوقت واشتداد الخطر المشترك تقاربت القلوب . فعقدت الاجتماعات المشتركة ونفذت الاعمال المشتركة حتى ان احد رجالنا اعطى درسا لبعض شباب الهاغاناه حول وضع الالغام مما كان له الاثر الكبير في الدفاع عن الحي اليهودي والمحافظة على المراكز الهامة .

قبل ١٤ ايار استطعنا ان نتسلل بجدعون ، تلميذ الرياضيات والقائد

الحكيم ، الى القدس القديمة ومعه كثير من الرجال والضباط والاسلحة . ولكن ، بعد ١٤ ايار توقف الاتصال بين القدس القديمة والجديدة لانهما حوصرتا . وقد أقام جدعون هناك مكانا لعمل القنابل اليدوية مما كان له اثر كبير في رد هجمات العدو، بالرغم من الحالة السيئة ، فقد اتخذ موقف الهجوم بدل الدفاع واستطاع مع بعض الرجال ان يحتل مركزا استراتيجيا هاما وهو كنيسة الارمن التي تشرف على الحي اليهودي . ثم اضطروا الى الانسحاب بعد ان طالبهم الكاهن بذلك ثم هاجمهم العرب .

واصبح سكان الحي اليهودي في القدس في حالة يأس شديد حتى ان احد الحاخاميين اليهود طالب بالتسليم ، ولكن الهاغاناه والارغون عارضتا ذلك . وازدادت الحالة سوءا حتى ان قسما كبيرا من الاهالي ومنهم النساء والاطفال طلبوا واصروا ان نوقف المعركة وننسحب ، اما المساعدة التي اتتنا من اقتحام البالماخ للحصار فلم تفدنا شيئا . فقد كانت المساعدة تتضمن ثمانين من فرقة الحرس الاهلي وكانوا لا يتقنون استعمال الاسلحة ولم يستطيعوا مع ذلك رفع المعنويات .

ونتيجة لاشتداد قذائف العدو التي كانت تأتينا من « طريق اريحا » ازداد عدد القتلى والضحايا . وطالب جدعون بالنضال حتى آخر رصاصة، ولكنه في مثل تلك الحالة السيئة لم يكن ليستطيع ذلك فقد نفذت الذخيرة ونفذ الطعام وجرح قائد الهاغاناه وجرح جدعون ، ومع ذلك استمر رجالنا في الدفاع المستميت .

اما الحصن الذي صمد حتى اللحظة الاخيرة فقد كان « نيسان بك » الذي يحرسه الارغون . ولكن رجالنا لم يستطيعوا المقاومة بعد ان قتلوا او جرحوا او تعبوا ... وسقطت القدس القديمة مدينة داود ، في ايدي الاعداء .

ولكننا حاولنا ان نسترجع القدس القديمة بعد الهدنة الاولى . ولكنه لبعض الاسباب تأخر الهجوم حتى اليوم الاخير قبل الهدنة الثانية . فقبل الهدنة الثانية بساعات صدر الامر لاربع فرق من الهاغاناه ، ثلاثة

من الارغون ، وواحدة من « شتيرن » بالهجوم . وكانت فرق الارغون تتضمن الجماعة التي اشتركت قبل ساعات بحصار « المالحة » قرب القدس وفقدت ثمانية عشر محاربا . ولكن هذا الهجوم الثاني ايضا انتهى بالحزن والنحيب . فلم تستطع الهاغاناه او شتيرن ان تخترق الاسوار . غير ان رجال الارغون اخترقوا السور الذي امامهم وفتحوا طريقا للنصر ولكن ساعات وقف القتال كانت قد حانت واضطر رجالنا للانسحاب . وهكذا بقيت القدس القديمة تنتظر التحرير الذي لن يكون بدونه أي سلام في القدس ، او في ارض اسرائيل كلها .

ولكن قبل ان تسقط القدس قمنا بأعمال كثيرة رائعة . ففي القدس نفسها استطاع رجالنا ان يخترقوا باب العمود وباب الخليل ويكبدوا العدو خسائر فادحة . وهاجم رجالنا ايضا قرية « شعفاط » التي كانت مركزا يحطم منه العرب قافلاتنا . وفي ٩ نيسان قام رجالنا ، مع رجال شتيرن باحتلال دير ياسين .

وقد كانت دير ياسين احدى الحلقات التي تربط القدس من الغرب. ومنها كانت القوات العربية تنتقل من عين كارم وبيت لحم الى القسطل حيث تهاجم القوافل اليهودية على الطريق الوحيد من القدس الى الساحل ، وبعد احتلال دير ياسين اعلن القائد العام للهاغاناه في القدس ان الاحتلال لم يكن له أية قيمة عسكرية وانه بالعكس ، يضر بالخطة الموضوعة للمحافظة على القدس .

وقد اضطررنا ، للاسف ، ان نجابه شالتئيل بخطاب من شالتئيل نفسه ! فقد ارسل لنا قائد الهاغاناه في القدس اشارة برسالة وصلته من قائد الهاغاناه لمنطقة القدس تقول :

« علمت انكم تريدون احتلال دير ياسين . واود ان انوه ان هذا الاحتلال هو احدى الخطوات في مشروعنا العام . اما انا فليس عندي أي اعتراض على هذه العملية على ان تكونوا قادرين على المحافظة على احتلال القرية بعد ذلك. اما اذا لم تستطيعوا ذلك فاحذركم من ان نسف القرية

سيدفع سكانها الى الهرب . ويدفع بالقوات المعادية الى احتلال القرية . وستزيد تلك الحالة الخطرة بفشل نضالنا العــام . ثم اذا احتلت القوات المعادية المكان . فان ذلك سيحطم المشروع .. » .

وعندما نشرنا الرسالة توقفنا عنــد الثــلاث نقط الاخيرة بعد كلمة « المشروع » لان المصلحة الوطنية فرضت علينــا ذلــك . ولكننــا اليوم نستطيع ان نكشف الحقيقة ونضع مكــان النقط الثــلاث « لبنــاء مطار عسكري ! » وقد بنــي المطار في ديــر ياسين واستعمل كوسيلة وحيدة للاتصال بين القدس المحاصرة والساحل .

وهكذا يكون تصريح شالتئيل ، بعد احتلال دير ياسين مناف للحقيقة فلم يكن احتلال القرية مضرا بالخطة العامة للدفاع عن القدس بل كان ، كما قال هو نفسه في رسالته : « خطوة اولى في الخطة العامة . فقــد احتللنا دير ياسين بعلم وموافقة الهاغاناه » .

وقد قامت دعاية عالميــة ضدنا تعلن اننــا ارتكبنا الفظائع في دير ياسين . والحقيقة هي اننا انذرنا اهالي القرية قبــل الهجــوم . ونظرا لاشتداد المعركة التي خسرنا فيها الكثير من رجالنا اضطررنا الى استعمال القنابل اليدوية مما أدى الى موت الاهالي الذين رفضوا ان ينسحبوا من القرية ــ واعتقد ان هؤلاء كانــوا قليلين ــ . وبالمناسبة ، فقــد ارسلت الوكالة اليهودية رسالة الى الملك عبدالله الذي قال عنه بن غوريون انــه الحاكم الذي يحب شعبه ويعمل لمصلحة هذه البلاد ، يعتذر له فيها عن حادث دير ياسين .. وقــد رد الملــك عبدالله الاعتذار قائــلا ان الوكالة اليهودية مسؤولة ايضا وانه لا يعترف ان هناك ارهابيين وغير ارهابيين .

وهكذا قامت في البلاد العربية ، وفي جميع انحاء العالم ، موجة من السخط على ما سموه « بالمذابح اليهودية » .

وقد كانت هذه الدعاية العربية تقصد تشويــه سمعتنــا . ولكنها انتجت لنا خيرا كثيرا . فقد دب الذعر في قلوب العرب فقرية « كالونيا »

التي كانت ترد هجمات الهاغاناه الدائمة ، هجرها اهلها بين ليلة وضحاها واستسلمت بدون قتال . وهرب اهالي « بيت اكسا » ايضا . وقد كانت « بيت اكسا » و « كالونيا » تشرفان على الطريق العام وبسقوطهما واحتلال القسطل استطاعت القوات اليهودية ان تحافظ على الطريق الى القدس . وفي اماكن كثيرة كان العرب يهربون دون ان يشتبكوا مع اليهود في أية معركة وقد ساعدتنا اسطورة دير ياسين في المحافظة على طبريا واحتلال حيفا .

فقد اعلن القائد البريطاني لمنطقة حيفا انسحاب الجيش في اواخر نيسان فعرفت الهاغاناه ذلك وعبأت جميع قواها وامرت ايضا فرق الارغون في حيفا بالتقدم واحتلال بناية محصنة للاعداء تشرف على « شوارع هيها لوتز شريان » « الها دار هاكرمل » . فقام رجالنا بالهجوم المفاجىء واحتلوا البناية ثم انطلقوا الى وادي « النسناس » واحتلوا الحي بأكمله . وفي نفس الوقت كانت قوات الهاغاناه تقوم بالهجوم في المناطق الاخرى من حيفا . وتقدمت جميع القوات اليهودية في هجومها الناجح على حيفا بينما كان العرب يهربون مذعورين صائحين « دير ياسين » !!



عندما يبكي القلب

انه من البديهي ان يفهم المرء السبب في طلبنا ارسال اكثر الاسلحة لوحداتنا في القدس . فمن التقاليد العسكرية ان يعنى كل قائد بتسليح فرقته واعدادها اعدادا كاملا وقد ولدت كتائبنا في وسط المعركة ولم يكن من السهل ارسال رفاقنا الى جيش اكثر ضباطه من الذين كرهوهم واضطهدوهم وعذبوهم وسلموهم الى البريطانيين . وقبل انشاء الدولة بأشهر قليلة بدأت موجة جديدة من اضطهادنا من قبل رجال الهاغاناه تنفيذا لتعليمات الزعماء اليهود الرسميين واهدرت دماء كثيرة . ولكن رجالنا وقفوا في النقب ، جنبا الى جنب مع مضطهديهم في الامس ، وكتبوا سطورا مشرفة في تاريخ النضال اليهودي . فبقيادة القائد « جيل » ، منشدين نشيد الارغون، فتحوا الطريق الى بئر السبع محتلين بذلك «يفنه» في الجنوب ، «وترشيحا» في الجليل ، ومنطقة واسعة من جبال «افرايم» . لقد حاربوا في جميع الجبهات ، ولكن الاسى كان يعتصر قلوبهم . فقد احبوا الارغون ووهبوها كل شيء ... حاربوا في صفوفها سنين عديدة وانتقلوا تحت راياتها من خطر الى خطر ومن عذاب الى عذاب ومن نصر الى نصر . فلم تكن الارغون بالنسبة اليهم منظمة عسكرية فحسب ، بل كانت حياة كاملة .

وانا اذكر الآن الاجتماع الاخير لضباطنا . ففي البهو كان مئات الضباط المجربين المحاربين — وفي حالات كثيرة رأينا بعضنا بعضا للمرة

الاولى ــ لقد كانت المناسبة سعيدة ولكنها كانت ايضا كئيبة حزينة . قلت لهم انني لم اعد قائدهم وانهم سيقادون من قبل ضابط الجيش اليهودي الموحد . لقد توقف الارغون زفاي ليومي عن العمل كمنظمة عسكرية . وغرق المكان بالصمت ورأيت رجالا جابهوا الموت تغرورق في اعينهم الدموع ، فان دنيا كاملة من التعاون والاخلاص قد ذهبت ــ وقد لا تعود . نعم ... لقد انتصرنا وقامت دولتنا مرة اخرى ، ولكن من سيقودنا الآن ؟

ان الرجال الذين سيستلمون قيادة رفاقنا قد تعودوا ان يكرهوهم ولم يكن ذلك بالامر البسيط . لقد كنا بحاجة الى كثير من الاقناع لنضمد الجروح التي لم تشف بعد ، ولذلك كان من حقنا ، بل من واجبنا ، ان نرى ان وحداتنا قد حصلت على الاسلحة اللازمة لكي تدخل الميدان مطمئنة ، واثقة من نفسها . ان هذه المشكلة عادية حتى في الامور الطبيعية. فكيف الآن والحالة غير طبيعية وشاذة . ان ما طلبناه من امكانية اعطاء محاربينا اسلحة جديدة هو في طريق الوصول الينا من خلال « الالتلينا » نحن لم نطلب لانفسنا كل ما على الباخرة ، مع اننا نحن احضرناها . فلم نعد نحن موجودين كمنظمة عسكرية الا في القدس . فرجالنا او معظمهم ، كانوا في الجيش او يحاربون الى جانب الجيش تمهيدا لانخراطهم فيه . لقد كانوا كلهم تحت امرة القيادة العليا للجيش اليهودي . ان كل ما طلبناه من اسلحة الباخرة التي احضرناها نحن بعد جهود شاقة هو ان يوزع بعضها على الجنود الذين كانوا في الارغون والذين اصبحوا الآن في الجيش .

وقد اخبرني « اسرائيل جاليلي » ــ نائب وزير الدفاع في ذلك الوقت ــ ان اقتراحنا بشأن ارسال الاسلحة للقدس قد وافقت عليه الوزارة . وان عشرين بالمائة من الاسلحة التي على الباخرة ستذهب الى تلك الجبهة . وقد ابتهجنا كثيرا لهذا الخبر . ولكننا فهمنا ، بعد زمن ، ان العشرين بالمائة سترسل الى قوات الهاغاناه في القدس . وقد بحثنا هذه القضية كثيرا وراجعنا جاليلي مرارا ولكننا لم نحصل على أية نتيجة فقد رفضت اقتراحاتنا . وفي نفس الوقت كانت « التالينا » ، بناء على أوامر

الحكومة ، تتجه الى الشاطىء عند « كفار فتكين » . واستمرينا نحن في بحث قضية انزال السلاح من الباخرة مع ممثلي وزارة الدفاع . ولكن جاليلي اخبرنا انه بما اننا لم نتفق على شيء بشأن انزال السلاح ، فانهم لن يساعدونا في ذلك . ثم اعلن : « اننا نسحب ايدينا من قضية انـزال السلاح » . وكانت هذه الحملة نقطة انقلاب في حادث « التلينا » . ولو قالت الحكومة : « اننا لا نريدكم ان تنزلوا السلاح » او « اننا نرفض ان تقترب الباخرة من الشاطىء » لاطعنا أمرها ولكن الحكومة لم تقل ذلك بل قالت : « اننا لـن نساعدكم في انزال السلاح » . ولذلك لـم يكن القول الذي روجه بعض اعدائنا من اننا كنـا نريد اشعال ثورة مسلحة صحيحا . فالحكومة تستطيع باغلاقها الطريق الفرعي بين حيفا وتل ابيب ان تمنعنا من الوصول الى الباخرة .

وقد كان رفض الحكومة لمساعدتنا ضربة كبيرة لنـا لانـه لـم تكن لدينا الامكانيات والمعدات للتفريغ ، والنقل ، وفي الحال ساعدتنا فرقة من رجال البالماخ (١) . ولكنني اليوم اعتقد ان هذه الفرقة لم تأت لمساعدتنا بقدر ما أتت للتجسس علينا . ولكننا في ذلك الوقت قبلنـا مساعدتهم بالفرح والشكر والامتنان .

وبالرغم من جميع الصعوبات فقد قام رجالنا بعملهم على اكمل وجه باذلين كل جهدهم تحت أشعة الشمس المحرقة .

ولم نكن نريد السلاح كـي نحتفظ به فـي مخابىء سرية تمهيدا لثورة مسلحة كما اشاع اعداؤنا ، ولكننا كنا نريد تسليم كـل الاسلحة للحكومة وارسال عشرين بالمائة منها ، تحت اشراف الحكومة ، الى جميع الوحدات المقاتلة في القدس . فقد ارسلنا للحكومة طالبين منهـا ارسال من يشرف ويراقب عملية الافراغ ولكن احدا لم يأت .

ولم تستطع ان تفرغ الا قسما ضئيلا من الاسلحة التي على «التلينا»

---

(١) البالماخ هي الفرقة الفدائية في الهاغاناه . المترجم .

وذلك بعد موت احد اعضاء الارغون . وقد تحطمت « التلينا » ولكنها اعطت للشعب اليهودي الفي بندقية حديثة ، و ٢٥٠ مدفع برن ، ومدافع خفيفة واسلحة اخرى . وفي معركة اللد والرملة اعطت هذه الاسلحة نتائج رائعة وكانت عاملا فعالا في تقرير مصير حربنا مع الغزاة العرب .

ولم تأت « التلينا » بالسلاح فحسب ، بل أتت بالرجال ايضا ، وفدوا الى أرض اسرائيل فرحين مستبشرين اما طريقة اسكانهم وكيف استقبلوا فمعروفة ، ومع ذلك ، فقد انضم هؤلاء الرجال الى الجيش وحاربوا بأيمان وشجاعة . وقد ساهم شباب « التلينا » في معارك عدة من « ترشيحا » الى « ايلات » . وقد سقط منهم كثيرون من القتلى ، واضطروا لمواجهة التجارب الكثيرة ، ولكنهم اعطوا المثل الاعلى لحب الارض والوطن .

غير ان هناك رواية اخرى كان يرويها اعداؤنا عن هؤلاء الرجال هي اننا كنا نريد احضارهم لكي يساهموا بحمل السلاح الذي أتوا به للمساهمة « بالثورة المسلحة » التي قالوا اننا نعد لها .

وقد تأخرت الباخرة في اللحظة الاخيرة لانها ، اتباعا لاوامر الحكومة ، غيرت مجراها الى « كفار فتكين » ، ولكن ربانها لم يستطع ان يرى الاشارات التي على الشاطىء . . . فلذلك تقدم الى تل ابيب ثم عاد الى شاطىء « كفار فتكين » ولكن الفجر بدأ يطلع ، ولما كنا لا نريد ان يلحظ مراقبو هيئة الامم أي شيء فلقد قررنا ارجاء التفريغ الى مساء اليوم التالي .

وبعد ان ابعدنا الباخرة عن الشاطىء رجعنا الى تل ابيب واخبرنا احد رجال وزارة الدفاع كل شيء . ولما سألناه اذا كان ارجاؤنا التفريغ الى اليوم التالي رأيا مصيبا ، أجاب : « طبعا وسأخبر اسرائيل جاليلي بذلك » ثم طلبنا من الرجل ان يأتي لمراقبة التفريغ ، فأجاب انه قد يأتي وقد يرسل بعض السيارات لمساعدتنا في التفريغ .

وفي المساء اقتربت الباخرة من « كفار فتكين » ، فأسرعنا بانزال الرجال ، ثم بدأنا بتفريغ الاسلحة ، عملنا طوال الليلة وفي ساعات النهار الاولى ، ولكن طائرة بيضاء لهيئة الامم حامت فوقنا فعلمنا ان رجال هيئة الامم قد عرفوا بالامر فأسرعنا قدر الامكان في التفريغ .

ثم فوجئنا بتطويقنا من جميع الجهات . وبعد دقائق تلقيت انذارا يمهلنا عشر دقائق للانسحاب . فأجبت ان المشكلة لا تحل بعشر دقائق وانها تستوجب مقابلة شخصية. وفي نفس الوقت دعي «باكوف ميرادور» الى نتانيا لمقابلة رؤساء مجالس البلديات الذين اظهروا كل الاستعداد للتفاهم والتوسط لدى الحكومة . وفي المساء جاء اثنان من مراقبي هيئة الامم فطلب منا رجال الحكومة ان نمنعهم من دخول المرفأ . فلما طلب المراقبان الدخول رفضنا بأدب فرجعوا من حيث جاءوا .

وكنا لا نزال محاصرين من قبل رجال الحكومة ، فاقترح احدنا ان تنتقل الباخرة الى تل ابيب - الى شارع فيشمان حسب الخطة الاساسية - وفي نفس الوقت اتصلت بالسلطات محاولا حل سوء التفاهم هذا .

وجمعنا الشباب لكي ننسحب . ولكننا فوجئنا بالهجوم من جميع الجبهات بالمدافع المورتر والستن .

وقررت ان اقلب الامر فأقاوم . ولكن « ياكوف » صرخ بي : « اذهب انت . . . انا المسؤول هنا . . . ان اية رصاصة قد تنسف الباخرة بأكملها . . . اذهب انت ودبر القضية كلها . . » .

وهنا لا بد ان اشير الى الاشاعات التي كانت تقول اننا غيرنا مجرى الباخرة الى ناحية اوتيل « كايت دان » في تل ابيب خصوصا لان مراقبي هيئة الامم كانوا ينزلون هناك ، وان ياكوف ميرادور الذي وقع ورقة التسليم الى قائد قوات الحكومة تطوع بتسليمه الباخرة ايضا . والحقيقة اننا غيرنا مجرى الباخرة الى تل ابيب لاننا كنا قد اتفقنا على ذلك في اول

الامر ، واما ياكوف ميرادور فلم يوقع ورقة التسليم في « كفار فتكين » الا عندما وصلت الباخرة تل ابيب .

وعندما وصلت الباخرة ـ وكنت على متنها ـ الى تل ابيب بعد منتصف الليل قوبلنا بعدد من الطلقات . وقد أصر قائد الرجال على الباخرة ان ابقى وان لا نجيب على هذا التحدي . وعندما طلع الصباح رأينا هدفنا على الشاطىء محاصرا بالجنود . فأخبرناهم اننا لا يمكن ان نطلق الرصاص عليهم ورجوناهم ان لا يطلقوا النار علينا . وقد احاطنا الجنود ليس من البر فحسب بل من البحر . وقد تقدمت ثلاث دارعات واطبقت علينا ، حتى ان احدها اطلقت النار علينا لولا ان قائد سفينتنا جنبها القذيفة بمهارة .

وقد رست الباخرة في هدفها واتجاهها نحو الصخور على بعد ٧٠ ياردة فقط من البر . ولذلك قررنا التفريغ من مكاننا . وما ان وصل القارب الاول الى الشاطىء حتى فتحت علينا النيران فقتل متطوع من كوبا . اما « ابراهام ستافسكي » بطل عمليات تهريب المهاجرين ومنظم رحلة الالتلينا، فقد جرح جرحا خطيرا ثم بدأ عدد الجرحى يتزايد ويتكاثر . وفي نفس الوقت كان رفاقنا في المدينة يحاولون ان يخترقوا الحصار ليصلوا الى الشاطىء المقابل لنا . فعرض قائد البالماخ التوقف عن اطلاق النار اذا وعدنا بعدم تفريغ شيء بعد ذلك فتوقف اطلاق النار وتوقف التفريغ . واخبرنا قائد البالماخ بأن في الباخرة عدد كبير من الجرحى واننا لا نستطيع نقلهم في القارب الصغير لانه تحطم ، فوعد بارسال قارب من ميناء تل ابيب . فانتظرنا وصول القارب ساعة وساعتين ولكنه لم يصل .

وفجأة ... سمعنا صفيرا فوق الباخرة . وصرخ الربان : « انها قنبلة ... انهم سيحرقون الباخرة » . وارسلنا الى قائد البالماخ نذكره باتفاقية وقف اطلاق النار ولكنه لم يرد . وبدأت القنابل تتوالى ، فرأى الربان الاميركي ان نضع علما ابيض على ظهر الباخرة فوضعناه ولكن ذلك لم يفدنا شيئا . وارسلنا الى قائد البالماخ مرة اخرى نذكره

بالاتفاقية . وبعد صمت طويل اجاب : « ان هناك توقف عام عن اطلاق النار ، ولكن بعض الوحدات لم يصلها الامر بعد » .

وبعد دقائق اخترقت قنبلة صدر السفينة فاندلعت النيران فيها وتكاثف الدخان . وكان هدفنا الاول مساعدة الجرحى . ومن حسن الحظ ان الذعر لم يدب في النفوس فلم يحاول احد القذف بنفسه في الماء بل تحكم الجميع بأعصابهم وكانوا في غاية الهدوء . وبينما كنا ننقل الجرحى في قوارب المطاط كان الرصاص والقنابل تسقط من حولنا ولو انفجرت الباخرة لاضرت بكثير من سكان تل ابيب .

واستطاع بعض شبابنا ان يخترقوا نقطة في الحصار فركبوا قوارب خفيفة واسرعوا بها الينا . واستطعنا ان نخلص الكثيرين ، لكن الباخرة احترقت واصبحت قبرا لكثير من الرجال الذين اتوا لمساعدة شعبهم . وفي المستشفى مات « ابراهام ستافسكي » متأثرا بجراحه .

وهكذا كانت الاعمال الموجهة ضدنا كثيرة مضنية تكفي لاشعال حرب اهلية ولكن جيش الاعداء كان على الابواب وكنا جميعا قد اقسمنا ان لا نحمل السلاح مطلقا في وجه اخواننا اليهود .

وهكذا لم تقم حرب بين الاخوان تدمر فيها دولة اليهود التي لم تتكامل بعد . بالرغم من كل شيء لم تحدث حرب اهلية !



المقاومة الموحّدة

صيف ١٩٤٥ ... صيف النهاية والبداية ، صيف الانتصار والفرح صيف الامل والخيبة ... انتهت الحرب بانتصار الحلفاء على الوحش النيوثوني الذي بطش باليهود . فقد استطاع هذا الوحش ان يجعل من اوروبا مقبرة لليهود ، فمن سبعة عشر مليونا لم يبق الا احد عشر مليونا فقط من اليهود .

وبعد انتهاء الحرب مباشرة بدأت الوحدة بين الحلفاء تنهار وانقسمت الى جبهتين وبدأت الاستعدادات لحرب عالمية ثالثة اكثر هولا ورعبا من سابقتها .

وفي ارض اسرائيل استمرت المطاردة والملاحقة ولكننا كنا ننظر الى المستقبل ورأينا الافق الواسع امامنا للعمل والنضال . وقد ظن المستعمر انه يستطيع ان يقودنا الى حرب أهلية ترسخ نفوذه . ولكننا قررنا ان نخيب ظنه . ومع نقطة الانطلاق التي رافقت نهاية الحرب الثانية قررنا ليس فقط متابعة النضال ولكن توسيعه .

في نفس الوقت قررنا ان نشعر الهيئات اليهودية الاخرى بحراجة الموقف حتى لا يضيعوا كل جهودهم وامكانياتهم في محاربتنا . وفي سنة ١٩٤٥ ارسلنا مذكرة شاملة الى ٢٥٠ شخصية يهودية من رؤساء المعاهد

والاحزاب والاقتصاديين وفي هذه المذكرة وضعنا خطوطا عريضة لسياسة قوية الاساس . فقد اقترحنا ان تجتمع الشخصيات الكبيرة من الاحزاب وغير الاحزاب ، وتضع الاسس للمؤسسات التالية :

١ ــ حكومة يهودية مؤقتة .

٢ ــ مجلس وطني أعلى .

« ويجب الافتراض ان اعضاء الحكومة المذكورة ــ اذا رفضوا العمل السري ــ يجب ان يتوقعوا الاعتقال من قبل الحكومة فيجب عليهم ان يتقبلوا ذلك بسرور وشجاعة لان لهذا العمل اهميته الخارجية والداخلية خصوصا في تجميع القوى المقاتلة تحت راية واحدة . ولكن ، لنفس الاسباب المذكورة اعلاه ، على المجلس الاعلى انتخاب او تعيين اعضاء وزارة ثانية وثالثة للاحتياط وتبقى هوية هؤلاء مجهولة ، واذا اعتقلت الحكومة الاولى تعمل الثانية سريا . اما المجلس الاعلى فينتخب من جميع الهيئات والاحزاب التي تبقى محتفظة بطابعها ، الا انها تتفق على برنامج عام موحد في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

وتنشىء الحكومة ادارة عامة لتشرف على الثورة العسكرية اما المجلس الاقتصادي الاجتماعي فهو الذي يشرف على الاضراب العام في جميع اشكاله وفي توفير الغذاء والمؤن ، المجلس الخارجي يتصل بالعناصر الخارجية ، والمجلس التشريعي ينشىء محاكم منفصلة وينظم دستورا جديدا للجمهورية اليهودية ، وغير ذلك من المؤسسات والمجالس التي تضطرنا الاحداث الى انشائها » .

* * *

وكان رد الفعل للمذكرة في الاوساط اليهودية متوقعا وقد قال الحاخام « ماير برلين » ، رئيس حزب « مزراحي » ، الذي عرض علي في مدة من الزمن ان اختبىء في بيته ، لرسولنا الذي ارسلناه لاخذ الجواب :

« اذا اتيت بخمسين شخصا مستعدا للتوقيع ، فأنا سأكون اول الموقعين ... ولكنك تعرف الحالة ... » .

ولم نستطع ان نأتي بخمسين توقيعا ، ولا حتى بخمسة تواقيع . ولكننا لم نيأس بالرغم من الهزء والسخرية . وفي ايار سنة ١٩٤٨ قبلت ونفذت نفس الاقتراحات التي رفضت في ايار سنة ١٩٤٥ ... سنوات ثلاث ليست بالمدة الطويلة في تاريخ الامم !

وحتى السخرية لم تدم ثلاث سنوات ، بل تبخرت بعد رفض مقترحاتنا بأشهر قليلة .

فقد اخبرني « الياهو جولومب » انه لو استلم حزب العمال البريطاني الحكم ، فاننا نستطيع ان نحصل على بعض مطالبنا . والظاهر ان هذا الرأي لم يكن لجولومب وحده بل شاركه فيه اكثر العاملين اليهود في القضايا الدولية .

ولهذا هبت عاصفة من الفرح في الاوساط اليهودية عند وصول الانباء بسقوط تشرشل وايدن في الانتخابات . وقد عزا المتفائلون ابتهاجهم وتفاؤلهم الى الصداقة التقليدية التي تربط الصهيونية العالمية بحزب العمال البريطاني . وقد صدقوا القرار الذي اتخذه حزب العمال البريطاني في « بلاكبول » بانشاء دولة يهودية في فلسطين . وقد وعد مستر « اتلي » ايضا بترحيل جميع سكان فلسطين العرب . وفي الفترة التي سبقت الحرب الرسمية سنة ١٩٤٨ ، كانت السلطات البريطانية هي التي شجعت السكان ودفعتهم الى الهرب على ان يرجعوا منتصرين . ولذلك نستطيع القول انهم نفذوا جزءا من قرارهم وكان علينا نحن ان ننفذ الباقي .

ولم يكن للاحتفالات التي اقيمت بمناسبة انتصار حزب العمال البريطاني مثيل الا الاحتفالات التي اقيمت بمناسبة يوم التقسيم في تشرين

الثاني ١٩٤٧ . وقد كتبت جريدة « دافار » الناطقة بلسان القيادة الرسمية لليهود يومها :

« ان انتصار حزب العمال الذي حمل دائما راية الصهيونية ، انما هو انتصار للمبادىء الصهيونية عند الرأي العام البريطاني . وقد ارسلت البرقية التالية الى سكرتير حزب العمال البريطاني :

« تهانينا القلبية على نصركم الرائع . لقد تتبع عمال فلسطين بلوغكم اعلى درجات الوطنية والعالمية بثقة ومحبة . اننا نؤمن انكم بتنفيذكم برامجكم الواسعة ستعملون على جمع شمل شعبنا التائه ومساعدتنا على انشاء وطننا من جديد » .

والى جانب المقالات والبرقيات القيت الخطابات الملتهبة تهز الفضاء . حتى ان بعض الشبان والفتيات اخذوا يرقصون في شوارع تل ابيب !

وباختصار فقد اعتبرت الاوساط اليهودية نصر حزب العمال البريطاني في الانتخابات نصرا لليهودية العالمية .

وفي غمرة هذا الفرح اصدرت الارغون زفاي ليومي بيانا قالت فيه :

« ان حزب العمال البريطاني قد وعد قبل استلامه الحكم ارجاع ارض اسرائيل لشعب اسرائيل وانشاء دولة لليهود في فلسطين . وقد اعتدنا ان يعد المعارضون باشياء كثيرة ثم ينقضونها ويتناسونها عند استلام الحكم . وقد علمتنا التجارب والآلام الكثيرة التي صادفناها ان لا شيء يحقق اهدافنا كاملة في المحيط الدولي والداخلي الا الكفاح والنضال . ونحن لن نتوقف عن نضالنا بمجرد صدور قانون او وعد قديم باعطائنا ارضنا ، بل عندما نأخذ ارضنا بيدنا ونمتلكها وننشيء فيها دولتنا .

وبما أن اعضاء حكومة العمال الجديدة ، وقد وعدوا بصفتهم ـ حزب

العمال ـ باعطاء اليهود ، ارض فلسطين ، فاننا نرى ان من الواجب علينا اعطاءهم مهلة لتحويل الوعود الى اعمال ملموسة . ونظرا لحالة شعبنا الحرجة فان هذه المهلة لا يمكن ان تزيد على بضع اسابيع لنرى اذا كانوا يريدون حقا تنفيذ وعودهم ، او انهم يريدون شعبنا ان يقطع الامل بأية مساعدة ويصرخ بصوت واحد : الى الحرب .. الحرب حتى النهاية .. الحرب حتى النصر » .

ولم تمض اكثر من اسابيع حتى تكلم بيغن ، وتلاشى حلم ليلة الصيف وتلاشت وعود العمال وقرارات « بلاكبول » والصداقة التقليدية ، ولم يبق الا اليد البريطانية الصارمة ، وبيغن الذي اصبح عداءه لليهود اسطورة من الاساطير !

ومع خيبة الامل هذه انتهت اصعب فترة في تاريخ الثورة ضد بريطانيا . فقد ادرك زعماء الوكالة اليهودية انهم لا يستطيعون التعاون مع السلطات فأصدروا الامر الى شبابهم بعدم ملاحقة شباب الارغون او تسليمهم الى السلطات . وبدأت التباشير الاولى للحديث في تأسيس الجبهة الموحدة . وبالرغم من مرارة التجارة فقد وجدنا في انفسنا القوة لنمد يدنا من اجل الحصول على ما اردناه دائما : قوة يهودية واحدة في وجه الاعداء. لقد كان السبب الوحيد لعدم الرد على اضطهادنا وتعذيبنا بالمثل هو ايماننا بالحاجة الملحة للجبهة الموحدة . وها قد حدث اليوم ما تمنينا فأدركنا ان تضحياتنا لم تذهب سدى .

وهكذا قبلنا في الحال مبدأ القتال الموحد . ولكننا لم نقبل البدء في مفاوضات لان الهاغاناه كانت لا تزال تحتفظ عندها بعضو الارغون « اليعازر » الذي ساءت صحته لدرجة الخطر . لقد اخبرنا الهاغاناه اننا لن نبحث معهم في أي شيء قبل اطلاق سراح « اليعازر » . واخيرا أطلق سراحه ليعمل من جديد على طريق النصر .

وقد اوسلنا « اليعازر » مع « حنانيا » بعد ذلك الى ايطاليا على احدى سفن الزيت لكي ينظموا الشباب اليهودي في اوروبا ويدربوه

ليعمل على مقاومة اعدائنا خارج حدود اسرائيل وكفرقة احتياطية عند الحاجة لجيشنا في اسرائيل ، ولكي ينظموا عملية نقل المهاجرين غير « الشرعيين » الى ارض اسرائيل .

ولكن عمليات نقل المهاجرين اصيبت بضربات قاسمة . فقد استطاع « اليعازر » ان يحصل على سفينتين دفعنا ثمنهما من مساعدة « اللجنة اليهودية للتحرر الوطني » في اميركا ، ومن الاموال التي حصلنا عليها عند مهاجمتنا قطار « الحضيرة » الذي كان يحمل رواتب الحكومة البريطانية في فلسطين . ولكن احدى هذه السفن احترقت ، ونسفت الاخرى . فاضطررنا للتوقف لمدة سنتين حتى استطاعت اللجنة اليهودية للتحرر الوطني في اميركا ان تحصل على الباخرة بن « ضحت » التي حملت حوالي الالف مهاجر نقلتهم السلطات البريطانية كغيرهم ، الى قبرص .

كل هذه الاشياء كانت لا تزال في عالم الغيب عندما اطلق سراح « اليعازر » وباطلاق سراحه زالت العقبة الوحيدة للاجتماع المشترك . وهكذا تقرر اجتماع المنظمات العسكرية الثلاث . وقد مثل الهاغاناه في ذلك الاجتماع موشي سنيه ، وهو صديق قديم ، واسرائيل جاليلي ، الذي قابلته منذ ذلك لاول مرة . ومثل منظمة «شتيرن» «ناتان فريدمان» ومثلت انا « الارغون زفاي ليومي » . وفي ذلك الاجتماع تحدثنا عن النضال الموحد وعن آمال الشعب .

* * *

اقترح « سنيه » و « جاليلي » دمج جميع القوات او المنظمات المسلحة . وقدما لذلك اسبابا كثيرة اهمها انهما ينويان تأليف « حركة المقاومة اليهودية » ثم قالا : « ان الهاغاناه قد بدأت الحرب ضد حكومة الكتاب الابيض . فلماذا لا تنضمون الى صفوفها . لقد كنتم دائما تدعون اننا اذا حاربنا بريطانيا فستقفون تحت لوائنا . والآن ، لقد حان الوقت . لقد بدأنا ولن نقف في حربنا مع بريطانيا . فليست المصلحة الوطنية فقط هي التي تجبركم على الانضمام الينا ، انما مبادئكم نفسها تسمح لكم

بالانضمام الى الهاغاناه حيث تحصل وحداتكم ، في فترة الانتقال ، على درجة من الاستقلالية .

وقد اخبرني « ناتان فريدمان » بعدها انه كان من الممكن ان يوافق على الاقتراح . ولكن القيادة العليا للارغون كان لها راي آخر . اننا مستعدون لنحارب مع الهاغاناه ، ولكننا غير مستعدين ان نذيب انفسنا تحت ستار الوحدة . وقد شرحت لجاليلي وسنيه الفارق السياسي والتنظيمي بين الارغون والهاغاناه .

فقد كانت الهاغاناه تفاخر بأنها تأتمر بأمر الوكالة اليهودية . وقد كنا نحن نعتبر هذه العلاقة عاملا مهما قد يعيق ــ وفي بعض الاحيان من المحتم ان يعيق ــ النضال من اجل التحرر . فهناك عوامل كثيرة تحدد مشيئة اي كان في ان يستمر في الوجود وتؤثر على طبيعة هذا الوجود . فالهيئة القانونية ، المعترف بها ، تجاهد دائما لتبقى قانونية ، معترفا بها ، ومحترمة . اما الهيئة غير القانونية ، الملاحقة المضطهدة فانها تجاهد دائما للوصول الى الهدف الذي من اجله تعتبر عن حق غير قانونية ، ومضطهدة وملاحقة. وبين الصراع الطبيعي لهذه الهيئات صراع او تضارب مبادىء تستطيع ارادة الافراد ان تخفف منه ، ولكن لا تستطيع ان تزيله تماما . فتضارب المبادىء او الاهداف هذا يقودنا الى احد طريقين : اما ان ترغم الهيئة القانونية الهيئة غير القانونية على التوقف عن العمل الذي يهدم قانونيتها ، أو ان تتحرر الهيئة غير القانونية من انضمامها او اتفاقها مع الهيئة القانونية . وليس هناك طريق ثالث .

حتى ريتشارد « كروسمان » ادرك هذه الاعتبارات . ففي كتابة « بعثة فلسطين » كتب معلقا على شهادة بن غوريون امام لجنة التحقيق الانجلو اميركية :

« جوابا على سؤاله اذا كان يوافق مع الدكتور وايزمن على شجبه للارهاب ، أجاب بن غوريون بالايجاب ، ولكنه استمر وقال ان جهود الوكالة اليهودية لسحق الارهاب انما هي جهود فاشلة . . . انه بذلك يبدو

كمن يريد من ناحيته ، ان يبقى في ظل القانون كرئيس للوكالة اليهودية من جهة وان يتسامح مع الارهابيين كوسيلة ضغط على حكومة الانتداب من جهة اخرى . وهذه سياسة مشكوك بها . واعتقد انه من الحكمة ان نقرر احدى الوسيلتين ونمشي عليها بوضوح » .

وهكذا شرحت موقفنا لرجال الهاغاناه . قلت لهم : « اننا لا نستطيع ان نذيب انفسنا الآن وخصوصا في الطور الاول من العمل المشترك . اننا مسرورون لانكم بدأتم تحاربون الانكليز الآن . ولكننا نخاف من المستقبل . اليوم طلبت منكم الهيئات اليهودية ان تحاربوا بريطانيا ، وبالامس امروكم بمحاربتنا . فمن يدري ما هي اوامر الغد ؟ انكم لا تقدرون لانفسكم ، بل غيركم يقدر لكم . فاذا غيروا آراءهم غدا ، فماذا تفعلون ، وماذا نفعل نحن ، بل ، وهذا هو الاهم ، اين يصبح النضال ؟ لنفترض اننا اتبعنا طريقكم فماذا تكون النتيجة ؟ انفصال جديد بعد الوحدة . لنكن واقعيين. لقد قررت الهاغاناه محاربة بريطانيا اليوم ، ونحن نحاربها منذ زمن . فدعونا نؤلف جبهة موحدة بالرغم من مرارة الماضي . فاذا واصلتم النضال باستمرار فليس من المستحيل ايجاد حركة او منظمة واحدة . ولكنكم اذا قررتم ، لسبب او لآخر ، الانسحاب من المعركة ، فاننا عندئذ لن نحذو حذوكم . وهكذا تكون اتفاقيتنا واضحة وصريحة بدون أي تحفظات » .

لم نصل الى نتيجة عملية في الاجتماع الاول . اذ كان على ممثلي الهاغاناه تقديم التقارير الى رؤسائهم والمنظمات السرية لاخذ الموافقة عليها . وبعد ايام عقد اجتماع ثان وكانت منظمة شتيرن قد قبلت رأينا واتفقنا على الآراء والمشاكل التي قد تعرض في الاجتماع . وتقدمنا في هذا الاجتماع باقتراح يحفظ وجودنا كمنظمات ذات طابع خاص ولكننا لا نقوم بأعمال مستقلة ابدا بل مشتركة . وبموافقة رؤساء الوكالة اليهودية وافقت الهاغاناه على مقترحاتنا . واتفقنا على ان تحتفظ المنظمات باستقلالها التنظيمي على ان تشرف وتدير الاعمال الهجومية ضد

الحكومة البريطانية القيادة العليا لحركة المقاومة (١) . ولكن الاقتراحات قد تأتي من أي جهة كانت. وقد كان من حق حركة المقاومة ان تفرض علينا تنفيذ العمليات ، اما نحن فمن حقنا تقديم الاقتراحات ، ولكن كان علينا ان نحصل على الموافقة قبل التنفيذ . وقد اتفقنا ايضا على ان لا تكون هناك قرارات ارتجالية فورية . ففي اوقات معينة يتدارس ممثلو المنظمات الثلاث الموقف السياسي والعسكري. اما بالنسبة للعمليات التي تستهدف الحصول على اسلحة او مال من السلطات فقد تقرر نهائيا ان تترك لنا الحرية في تقرير ذلك متى نشاء. وقد وجدت بنود هذهالاتفاقيةفيالبرقيات التي ارسلها سنيه الى زملائه . وقد حصلت على احداها السلطات البريطانية ونشرتها في كتاب ابيض عن « الارهاب في فلسطين » وهنا يجب ان اسجل ان هذا الكتاب الذي صدر سنة ١٩٤٧ كان من الكتب القليلة التي احتوت على الحقائق فقط دون تهويل او تهويش . فمثلا يذكر احد الاقوال التي اذيعت من « كول اسرائيل » الاذاعة الرسمية لحركة المقاومة اليهودية ، ثم نزيد ان هذه الاذاعة ذات اهمية كبرى لانها تحت اشراف رئيس الشعبة السياسية في الوكالة اليهودية .

وهذا صحيح . ففي احدى الاجتماعات هنأت موشي سنيه على الانباء الممتازة التي تذاع من تلك المحطة . فقبل التهاني ثم قال : « أتعتقد اني آخذ هذه الانباء على مسؤوليتي » ان موشي وشرتوك وافق عليها » .

وفي احدى البرقيات يقول ، وكان ذلك في تشرين الثاني ١٩٤٥ « لقد اتفقنا مع الارهابيين ان يقوموا ببعض الاعمال تحت امرتنا . وسيعملون فقط وفقا للخطط التي رسمها لهم سنيه شاوول ميروف ، وبرنادو جوزيف يوافقون على الاتفاقية ولكن بعض اعضاء القيادة يعارضون أي اتفاق مع الارهابيين .

---

(١) ان« حركة المقاومة » و « الهاغاناه » بالنسبة للارغون مسميات مختلفة لشيء واحد . ولذلك فسنستعمل الاسم في مكان آخر من الان فصاعدا دون ان يؤثر ذلك على المعنى — المؤلف .

« يوم الاربعاء نفذت العمليات التالية : اغرقت سفينتين في حيفا وثالثة في يافا « وكان عمل هؤلاء السفن مطاردة المهاجرين . قطعت الخطوط الحديدية عند ١٨٦ نقطة واستعملنا في ذلك ٥٠٠ انفجار . اوقفنا المواصلات الحديدية من الحدود السورية حتى غزة، من يافا حتى سمخ، ومن اللد حتى القدس . وفي جميع هذه العمليات لم يجرح أو يعتقل احد .

« وفي نفس الليلة هاجمت الارغون محطة اللد واحدثت خسائر فادحة في المعدات والارواح ، وهاجمت شتيرن مصانع تكرير الزيت في حيفا وقتل رجل واحد وقد اخبرونا بهذه الاعمال مقدما فوافقنا . انني اعتبر التأخير في الموافقة على العمل الموحد من قبل الهيئة العليا للحزب جريمة ... » .

اما الاتفاقية التي تمت بين المنظمات فلم تكتب بالحبر بل مهرت بالدم ومن تشرين الثاني ١٩٤٥ حتى ايلول ١٩٤٦ ــ عندما توقفت الهاغاناه عن القتال ــ هاجمنا البريطانيين حسب الخطط الموضوعة من قبل حركة المقاومة ولم نقم بأي عمل الا بموافقة حركة المقاومة ــ الا في قضايا «مصادرة» الاموال او الاسلحة من الاعداء التي كنا نقوم بها على مسؤوليتنا وحدنا . وقد قمنا باحدى عمليات « المصادرة » قبل ان نصل الى اتفاقية نهائية في قضية المقاومة الموحدة .

وبينما كنا لا نزال نبحث قضية الاتفاقية اخترقت احدى وحداتنا في « رحبوت » معسكرا بريطانيا واستولت ، بدون ان تصيب أي جندي بأذى على مئات من البنادق ، ودزينة من مدافع برن ، وكثير من المدافع الخفيفة والذخيرة والاعتدة الحربية . وقد هاجمت « كول اسرائييل » هذه العملية . وقد عاتبنا سنيه وجاليلي لاننا قمنا في العملية اثناء البحث في الاتفاقية . واحتجت منظمة شتيرن لأننا لم ندعها للمشاركة بهذا العمل . وكان موقفنا حرجا . فلم نكن نشأ ان نكذب على رفاقنا في السلاح « لم نكن نستطيع ان نخبرهم الحقيقة . والحقيقة هي اننا نحن ايضا لم نكن نعرف شيئا عن العملية ، بل قام بها بعض الاعضاء على مسؤوليتهم

الخاصة . وقد خشي بعض الضباط الشباب ـ وهم من خيرة ضباطنا ـ ان تفوتهم الفرصة السانحة اذا انتظروا الاوامر فهاجموا المعسكر ليغنموا السلاح ويضيفوه الى اسلحة منظمتنا .

وكان هذا العمل خرقا للنظام احرجنا . وقد اضطررت ان اؤنب الضباط الابطال تأنيبا شديدا ولكنني في داخل قلبي كنت اشعر معهم وتذكرت عندها ان الامبراطورية النمساوية اوجدت وساما خاصا للاعمال البطولية التي يقوم بها الضباط خارج النظام العسكري .

ومن بين هؤلاء الذين اشتركوا في الهجوم على معسكر «رحبوت» رجال قاموا بأعمال بطولية في حركة التحرر وهناك كثير منهم لا استطيع ان اراهم الآن .. آمل ان يغفروا لي تلك الكلمات القاسية التي دعاني واجبي ان اوجهها اليهم تلك الليلة .

وقد كانت هذه العملية هي الوحيدة في ذلك العام التي قمنا بها منفردين عن المنظمات الاخرى ، واذا كان النظام ضروريا في جيش رسمي منظم فكيف به في جماعة سرية مضطهدة ملاحقة يحيط بها الاعداء من كل ناحية . وقد ادرك الذين هاجموا « رحبوت » ذلك بعدئذ . وانا أعلم انهم يشاركونني خجلي .

وقد يكون من الاجدر ان نقدم لهم وساما على عملهم بدلا من معاقبتهم . وقد يكون من الاوفق تقديم الاثنين لهم : الوسام والعقاب . وقد عوقبوا . اما الاوسمة فلا تعطى في الحركات السرية فالاعمال البطولية تجازى فقط بالشعور بالقيام بالواجب .

استمرت محاربة الهاغاناه للانجليز تسعة اشهر من تشرين الثاني ١٩٤٥ الى تموز ١٩٤٦ . واستمر تعاوننا معهم حتى آخر شهر آب من نفس السنة أي عشرة اشهر . وكانت اجتماعاتنا تعقد عادة مرة كل اسبوعين حيث كنا نتفق على تنفيذ العمليات . اما العمليات التي كنا نقوم بها بالاشتراك مع « شتيرن » فكنا نحن الذين ننظمها . وقد ارسلنا

ايتان الى الاجتماعات ليمثلنا . وبعد ان اعتقل ارسلنا « جدعون » . وكنا نقدم اقتراحاتنا الى ممثل الهاغاناه « يتشاك ساده » الذي لم يكن ليسأل عن التفاصيل بل عن الخطوط العريضة للمشروع ثم يوافق عليه . وكان يعطي الموافقة شفهيا لممثلينا ، ما عدا مرة واحدة ، وذلك في العملية المشتركة الاولى أي الهجوم على محطة اللد حيث ارسل لقيادة الارغون موافقته خطيا . وقد ذكر في تلك الرسالة المؤرخة في ٢٥ تشرين اول :

« ١ ـ حجم الوحدة وذخيرتها ملائمة للعملية ما عدا « المورتر » الذي لن يكون ذا فائدة كبيرة في تلك الظروف . اذا ضوعفت الحراسة فعلى الوحدة ان لا تزيد رجالها بل اسلحتها .

« ٢ ـ الخطة ذات قسمين : (أ) المنطقة بين البساتين والاكواخ . (ب) منطقة النفق . ينفذ القسم الاول فقط من العملية ـ أي بدون تخريب النفق ـ حسب الاعتبارات التكتيكية وهذا القسم ممكن تنفيذه بمفاجأة الحراس والقيام بالعمل قبل ان يستطيعوا المحافظة على اعصابهم ويرجعوا الى هدوئهم . وفي الحالة الراهنة لا يمكن القيام بالقسم الثاني ـ أي النفق ـ بنفس الطريقة .

« ٣ ـ الهدف ـ الذي هو النفق ـ ليس ذا أهمية كبرى تبرر أي خروج عن التكتيك المتفق عليه .

« ٤ ـ ان قطع التيار الكهربائي ـ بأية طريقة ـ يساعد كثيرا على بلوغ النجاح في العملية .

« ٥ ـ استعدوا للتغلب على الحرس دون استعمال السلاح .

« وختاما نؤكد انه سيصلكم انذار قبل ٤٨ ساعة من وقت التنفيذ وسنعطيكم كل المعلومات المتعلقة بالعملية » .

ولكن هجومنا هذا على محطة اللد الحديدية كان من الممكن ان يفشل

ويؤدي الى خسائر فادحة . فقد ذهبت فرقة الهجوم لمنظمتنا مع فرقة « شتيرن » الى مكان العملية وهي تجهل عمليات التخريب التي قامت بها الهاغاناه على محطات السكك الحديدية قبل منتصف الليل بساعة واحدة . وكانت النتيجة ان خبر هذه الانفجارات الكثيرة قد وصل الى السلطات البريطانية في اللد . فلما وصل الرجال الى هناك وجدوا الحراس في حالة احتراس وحذر .

واعلنت حالة الطوارىء في جميع المناطق التي اضطر رجالنا للمرور فيها ، وكان الخطر عظيما ، ومع هذا فقد اصر « اتيان » ــ بعد ان رأى استعداد الرجال للهجوم ــ على الاستمرار ــ في العملية ، ولكن الحالة في مكان الهجوم كانت قد تغيرت فلذلك لا يمكن القيام بالعمل على اساس الخطة الموضوعة ، فكان من المتوجب الانتصار على مقاومة اقوى من المقدرة ، وقتل وجرح عدد من الجنود البريطانيين ، وخسرنا نحن بعض الرجال ولكن هدفنا في تخريب الخط الحديدي كان قد تحقق .

الى الآن لم يتحقق الا نصف العملية ــ فقد كان على رجالنا ان يرجعوا الى قواعدهم ، ولم يكن ذلك بالامر السهل فقد بدأ الفجر يطلع ، وكانت الدوريات البريطانية تطوف البلاد باحثة عن « الارهابيين » . وقد صادفت فرقتنا عند انسحابها دوريات بريطانية كثيرة ولكنها لم تشتبك معها واستطاع ايتان ان يرجع بشبابنا الى قواعدهم سالمين .

وفي اجتماعنا المشترك التالي بينت للهاغاناه الخطأ الكبير بعدم اخبارنا عن عملياتهم التي قاموا بها في تلك الليلة فأقروا ذلك وقالوا انهم سيتجنبونه في المستقبل .

لم تكن العمليات التي قامت بها الهاغاناه في فترة المقاومة الموحدة كثيرة ، ولم نكن نحن لنحصل على موافقتها على عمليات كثيرة . وفي يوم الهجوم على الخطوط الحديدية اغرقت الهاغاناه ايضا ثلاث دوريات بحرية بريطانية ، وبعدها هاجموا محطة الرادار في حيفا مرتين ، ففشلوا في

الاولى ونجحوا في الثانية ، ونسفوا مركز البوليس في « جينات اولغا » .

وفي شباط ١٩٤٦ قامت الهاغاناه بهجمات تخريبية متتالية على مراكز البوليس ، وفي تموز اختتموا مقاومتهم المسلحة بهجومهم الشامل الناجح على جسور الحدود .

* * *

بعد اسبوع من مهاجمة الهاغاناه لمراكز البوليس قامت المنظمات السرية بمهاجمة المطارات ، وكانت الخطة التي وضعها قسم العمليات في منظمتنا تتضمن مهاجمة ثلاثة مطارات عسكرية : « اللد ، كفار سركين وكستينا » ، واعطيت عملية الهجوم على مطار كفار سركين لجماعة شتيرن التي قامت بالعملية بنجاح ، وبقي على فرقة هجومنا ان تهاجم مطار اللد ومطار كستينا » .

وكانت العملية غاية في الصعوبة فقد كانت القوات البريطانية في حالة طوارىء ، فاضطر رجالنا ان يقطعوا طريقا وعرا تغرق فيه أقدامهم حتى نصفها في الوحل ، وقضوا ساعات ليتقدموا مسافة قصيرة ، ولما وصلوا لم يكونوا منهوكين فحسب ، بل كانوا قد فقدوا أقوى سلاح بأيديهم : المفاجأة ، فقد كان الجنود ينتظرونهم وقد صوبوا الكشافات وحملوا السلاح .

ومع هذا فقد استمرت فرقتنا بالهجوم بعد ان قسمت نفسها الى فرقة للاختراق وفرقة للتغطية . وتحت وابل من الرصاص تقدموا وقفز بعضهم الى داخل الطائرات التي اصبحت بعد وقت قصير بقايا متناثرة . وكان الانسحاب اصعب من الهجوم ولكن رجالنا استطاعوا الانسحاب . وعندما مروا بالقرى اليهودية تلقاهم الاهالي بالتقبيل بعد ان كانوا من قبل يطردونهم .

ووجدت الحكومة البريطانية نفسها في حالة قلق وفوضى . وتقدم

احد اللوردات في مجلس العموم طالبا التحقيق السريع في الامــر لتحديد المسؤولية .

وقد اصدرت الحكومة البريطانية يومهــا بيانــا احــدث ضجة من السخرية والهزء في جميع انحاء البلاد ذكــرت فيــه ان عشرات الطائرات « فقط » قد دمرت وان الهجمات على « رامات دافيد » و « عقير » قــد صُدت .

وفي ردنا على الحكومة تمنينا ان تكون ايامها زاخرة بمثــل هــذه الانتصارات الوهمية التي عاشت في مخيلة اذكيائها فقط . ثــم ذكرناها انه عندما اسقطت بريطانيا بعض الطائرات المعادية وقت الحرب العــالمية الثانية اقامت الدنيا فخرا واعتزازا .

وقد سر بهذا العمل الشعب اليهودي بقدر ما غضبت منه السلطات البريطانية ، وقد فوجىء الجميع عندما علموا ان المنظمات السرية قد قامت بهذا العمل . وفي اول الامر التزمنا الصمت ، وطلبت منا الهاغاناه عدم التصريح بأي شيء يوضح شخصية الجماعة التي قامت بالعملية ، ولكن الهاغاناه غيرت رأيها بعد برهة وطلبت منا ان نتحمل المسؤولية كلها وحدنا وقد وافقنا على ذلك ، وقد تجمع الناس في صفوف طويلة ليقرأوا بياناتنا ولم يخافوا من اظهار اغتباطهم في الشوارع العامة حتى ان احد الضباط الانكليز اراد ان يدفع حسابه في مقهى يهودي في تل ابيب ، فأجابه الخادم : « اننا لا نطلب منك شيئا فقد دفعت حسابك البارحة بثلاثين طائرة » .



الإنفصال

ان العمليات التي قامت بها رسميا المقاومة الموحدة هي : الهجوم على المطارات ، حركة تخريب كبرى في الجنوب ، نسف الخطوط الحديدية في الاماكن المهمة ، هجوم « شتيرن » على مخازن السكك الحديدية في حيفا ، وهجومنا على فندق الملك داود .

ولكن عمليتان قامت بهما المنظمات السرية في حركة المقاومة وافقت عليها الهاغاناه بشكل غير رسمي ، الاولى هي هجومنا بالاشتراك مع « شتيرن » على سجن القدس لنحرر المساجين السياسيين اليهود . وقد احدث هذا الهجوم ضجة كبيرة في جميع انحاء العالم مما دعا «الازفستيا» للتعليق عليه . وفي ذلك الوقت كان راديو موسكو يذكر جميع الاعمال التي نقوم بها، حتى انه عندما هاجمنا سجن عكا، خصص نصف ساعة من الوقت ليشرح تفاصيل العملية . وفي اول كانون الثاني نشرت البرافدا مقالا مطولا ذكرت فيه ان الانكليز يريدون القيام بحركة تفتيشية عسكرية كبرى . وان القوات البريطانية تطارد زعيم الارغون .

وفي ذلك الوقت ، أي اوائل ١٩٤٠ ، بحثنا علاقتنا بالاتحاد السوفياتي وكان مما كتبناه يومها :

« اننا نؤمن بأن روسيا ايضا ستساعد على بناء دولة اسرائيل ، فمع

انها تعارض في مهاجرة اليهود الى فلسطين الا انها تنظر بعين العطف الى الاعمال العدوانية ضد الانكليز . ان دولة اسرائيل لن تنشأ الا بالكفاح ضد الاعداء وخصوصا بريطانيا وستساعدنا روسيا في كفاحنا هذا » .

وقد اقلقت عمليتنا هذه ـ الهجوم على السجن ـ الحكومة البريطانية فصارت تخلي مكاتبها وتنتقل من مكان الى مكان وضاع البوليس السري البريطاني ولم يعد يعرف شيئا مما يحدث . ومع كل هذا لم نعتقد ان العملية أدت هدفها الكامل لانها لم تنجح .

والعملية الاخرى التي وافقت عليها الهاغاناه بشكل غير رسمي وأدت الى نتائج رائعة هي الهجوم على مركز البوليس السري .C.I.D في القدس وفي يافا . وحسب خطة رجالنا ، وبالاشتراك مع « شتيرن » تقدمت الوحدات الى البنايات الضخمة المحروسة حراسة قوية . وبعد تغطية من مدافع البرن استطاعت فرقة الاختراق ان تفتح ثقبا كبيرا في الحائط ، ثم تنتظر قليلا لتعطي الوقت الكافي للمتفجرات ثم عادت بشحنة المتفجرات وادخلتها الى المكان وبعد دقائق كانت العمارتان الضخمتان اكواما من التراب ، وقد دمرت كثيرا من سجلات البوليس السري في هذه العملية .

كنا نحن نطالب دائما بالعمليات الحربية والتخريبية ، وليس ذلك فحسب بل طالبنا ايضا بالعصيان المدني ، وقد كتبنا نقول :

« ان الامة التي تريد ان تناضل في سبيل حياتها ومستقبلها تستطيع ان تجد اسلحة كثيرة ، فعدم دفع الضرائب ، وعصيان القوانين والاوامر ، وعدم الاتصال بمكاتب وموظفي ومحاكم الحكومة ، واستعمال الاراضي الحكومية بالرغم من الحكومة ، واقامة حكومة يهودية مؤقتة لتقود النضال الوطني ... كل هذه اسلحة يستطيع الشعب ان يستعملها » .

كنا دائما نطالب بالعصيان المدني كتجسيد لنضال الشعب ، وكنا نتحدث عن رغبتنا هذه الى ممثلي الهاغاناه ، وكان كل من «سنيه» و«جاليلي»

يؤكد اننا سنصل الى تلك الفترة في المستقبل القريب، وكنت أؤمن انهما يعنيان ويقولان ويؤمنان به ، ولكن اياديهم كانت موثقة لان الحل والربط في منظمتهم كان في ايدي « المؤسسات المعترف بها » ، فقد كانت المؤسسات اليهودية تنقسم الى قسمين : « الارهابيين »، والذين « يعتبرون استعمال القوة خطأ فاحشا » ، على حد قول كروسمان ، وكان ذلك من اهم الاسباب التي عرقلت اعمالنا في حركة المقاومة ، فبعد جدال طويل ابلغنا « سنيه » و « جاليلي » انهما يسمحان بالهجوم على مقر البوليس السري في يافا والقدس . ثم قالا انهما سيحاولان منع مهاجمة هذه العملية في الصحف ولكنهما لا يستطيعان التأكيد انه لن يظهر أي نقد في الصحف لهذه العملية .

ولكن الصحف هاجمتنا بعد العملية مباشرة ، فتقدمت مع « ناتان فريدمان » نحتج لدى « سنيه » و « جاليلي » على هذا الهجوم فاعتذرا ووعدا بتلافي الامر في المستقبل ، ولكننا فوجئنا بعدها بتعليقات قاسية على العملية في جريدة « هاهوما » ـ أي المبكى ـ التي تخص الهاغاناه .

ذلك كان الاختلاف وسوء التفاهم بيننا في فترة المقاومة الموحدة .

وكنا نسمي بعضنا بعضا اسماء مستعارة ، « فجاليلي » سمي « ارميا » و « ناثان فريدمان » شيمون وانا « حزقيال » . وكانت اجتماعاتنا تعقد في بيت « جان » في شارع بن يهودا في تل ابيب .

وعندما قابلت مضيفي لأول مرة خيل الي انني اعرفه . ثم تبين لي انه كان معي في جامعة « وارسو » وكان جاري في «بيت الجامعيين اليهود» وقد اصبح الآن اي « جان يافوفسكي » من زعماء الهاغاناه . اما « موشي سنيه » رفيق صباي وجاري في « البيت اليهودي » فقد اصبح القائد الوطني للهاغاناه . و « ناتان فريدمان » رفيق صباي وجاري في البيت اليهودي ايضا ، اصبح احد زعماء « شتيرن » . لقد قذف بنا القدر في اماكن واتجاهات عديدة ، وها نحن الآن نجتمع ، تحت رعاية مضيفتنا الساحرة ، لنتحدث ونعمل في سبيل شعبنا وامتنا .

وقد استمرت الهاغاناه كمنظمة شبه سرية حتى نسف مراكز البوليس . وبعد ذلك اختفى زعماؤها . وقد استطاع سنيه ان يهرب الى باريس ، اما جاليلي فقد حلق شعره وغير معالم وجهه حتى بدا وكأنه احد المساجين .

وبعد عدة اشهر ، قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني في كانون الاول ١٩٤٦ رايت جاليلي مرة اخرى وقد استرجع شعره الكثيف فأشرت الى رأسه وقلت : « هذا رمز للهدنة » .

* * *

في فترة المقاومة الموحدة وصلت الى ارض اسرائيل لجنة التحقيق المؤلفة من بريطانيا وامريكا . وفي لندن اجتمع اعضاؤها الاثنا عشر بيفن الذي أكد لهم انه سيتبنى اقتراحاتهم . وحاولت اللجنة ان تستمع الى جميع الآراء حتى تصل الى نتيجة فاستمعت الى زعماء العرب وزعماء اليهود وطلب ممثلو حكومة الانتداب ان يدلوا بأقوالهم ايضا معاونة للجنة في عملها . وقد سجلت جميع المناقشات . وكنا نعرف النتيجة : ان اللجنة ستصدر بيانا عن ملخص اعمالها ثم تستنتج ان احسن حل للمشكلة هو بقاء الانتداب البريطاني . فلم نكن نعتبر هذه اللجنة مختلفة عن غيرها من اللجان .

وقد اخبر جمال الحسيني اللجنة انه اذا انسحب الانكليز يستطيع العرب ان يحلوا المشكلة مع اليهود بسهولة . ولمحت الوكالة اليهودية بقبولها بالتقسيم وقد خجلنا جميعا عندما ادعى بن غوريون ، عند سؤاله في اللجنة ، انه لا يعرف اين مقر قيادة الهاغاناه وانه لا يعرف قائدها وانه غير مسؤول عن اعمالها . وقد طلب عضوان اميركيان في اللجنة مقابلتي . ولكن لأمور تتعلق بالامن لم تحصل هذه المقابلة وقد ارسل لي احدهما ماكدونالد ، رسالة يأمل فيها ان تتغير سياسة بريطانية فتعطينا بعض مطالبنا . وماكدونالد صديق حميم لشعبنا . وقد سمعت ذلك من « فلاديمير جابوتنسكي » مرارا . ولكن رأيه في هذا الموضوع لم يكن

عميقا لان الحكومة البريطانية لا يمكن ان تغير سياستها في فلسطين .

اما قرار اللجنة فلم يكن بالشيء الذي يغير تلك السياسة ايضا . فلم يعطوا شيئا للعرب او اليهود بل تثبت الحكم البريطاني في فلسطين . وكان بيانها سطحيا مليئا بالمتناقضات . اما الاشياء التي اعطتها اللجنة لليهود فقد بررتها على اساس الخوف من الارهاب فقد قالت في بيانها :

« عندما انتهت الحرب وجاءت وزارة العمال في بريطانيا تأمل اليهود منها كثيرا . ولكنها خيبت آمالهم حتى ان الوكالة اليهودية صرحت انها لا تستطيع بعدها ان تتعاون مع حكومة الانتداب .

« ان أي قرار ستتخذه في المستقبل يجب ان يراعي الضغط السياسي بين اليهود . فنتيجة الاتصالات الفردية والجماعية التي قمنا بها تؤكد ان استمرار السياسة الحالية لحكومة الانتداب سيقود حتما الى حرب يحصل فيها المتطرفون على تأييد الشعب اليهودي ، ويجتاحون المعتدلين الذين يسيطرون على الموقف حتى الان » .

وعلى هذا الاساس اقترحت اللجنة الغاء نظام الاراضي والقوانين التي صدرت سنة ١٩٤٠ التي منعت اليهود من شراء الاراضي في اربعة اخماس غرب ارض اسرائيل .

واقترحت اللجنة ايضا الغاء بعض مواد الكتاب الابيض الذي صدر سنة ١٩٣٩ الذي يعلق مشكلة قبول المهاجرين او رفضهم بارادة العرب .

واخيرا اقترحوا ادخال مئة الف يهودي الى فلسطين في السنة اذا امكن ذلك . وهذا الاقتراح الاخير مقدم من الرئيس ترومان الذي سر كثيرا لتبني اللجنة اقتراحه .

واقترحت اللجنة حل جميع المنظمات غير الرسمية لأن ذلك يشكل

خطرا على « السلام العالمي » . ثم اقترحت منع الرقص في مقهى معين على بحر الجليل نظرا لقداسة المكان . والعجيب ان الحكومة البريطانية لم تنفذ من اقتراحات اللجنة الا الاقتراح الاخير . وهكذا أخذت القوات البريطانية المعسكرة في بحر الجليل التي منعت من باب التسلية هذا ، تشتم اللجنة والحكومة وبيجن .

عندما نشر قرار اللجنة وتوصياتها اقترح « سنيه » ان تذيع جميع المنظمات من « كول اسرائيل » استعدادها للتوقف عن القتال المسلح اذا قبلت الحكومة البريطانية ادخال مئة الف يهودي في السنة . وقد قبلنا نحن الاقتراح مع اننا كنا نعرف ان الحكومة لن تنفذ التوصية ولكننا اردنا ان نوضح ذلك للشعب وندفعه الى فقدان ثقته الباقية بالحكومة .

ولم نكن مخطئين . فقد اعلن اتلي في مجلس العموم ان توصيات اللجنة وحدة متماسكة لا تنفصل واحدة فيها عن الاخرى (ما عدا الرقص على البحر الجليلي طبعا !) فاذا اراد اليهود دخول المهاجرين فيجب ان يحلوا جميع منظماتهم السرية ويقدموا اسلحتهم للحكومة . وقد ذكر « ماكدونالد » و « كرام » المستر بيفن انه وعد بتنفيذ مقترحاتهم . ولكن بيفن لم يجب . ولكن ناطقا بلسان وزارة الخارجية صرح بأن بيفن عني بجميع الاقتراحات كوحدة وليس بعضها ، او تلك التي تعطي اشياء لليهود ارضاء ليهود نيويورك أو ترومان .

وبعد هذا التوضيح البريطاني تقدمنا من الهاغاناه طالبين تقوية الحركة المسلحة واعلان العصيان المدني . وارسلت الى قيادة حركة المقاومة مقترحات عسكرية وسياسية جاءني الجواب عليها في ٧ ايار . وفي الجواب وضعت كلمة « الدجاج » بدلا من المطارات والمطبعة ترمز الى مطبعة الحكومة بجانب محطة القدس الحديدية :

« ١ ـ ليس هناك أي خلاف على القيام بالعمل على نطاق واسع . ولكن القرارات أجلت حتى تصلنا المعلومات من جماعاتنا في الخارج . ان بعض الاصدقاء الاميركيين يؤكدون انهم يقومون بجهود كثيرة للحصول على

الكثير من طلباتنا ولذلك يكون أي عمل مسلح من جهتنا حجر عثرة في طريق نجاح هذه الجهود ، وهذا القرار يتعلق طبعا بالعمليات الموافق عليها (كالدجاج والمطبعة) ، اما القرار النهائي فسيكون بعد حوالي اسبوع وسنخبركم تفاصيل الخطط والعمليات في رسالة تفصيلية. ولذلك نقترح عقد اجتماعنا التالي يوم الثلاثاء في ١٤ ايار الساعة العشرين في المكان المعتاد .

« ٢ ـ اما فيما يتعلق بالبيان المقترح من قبل م. المتضمن القاء التبعات على الحكومة فسننشره بعد القيام بأول عملية » .

وكان علينا ان ننتظر اسبوعا لكي نتلقى الجواب الاخير من الهاغاناه . ولكن انتظارنا لم يطل، فوافق على كثير من اقتراحاتنا منها نسف القطارات بعد تفريغ السلاح منها . ويعقب ذلك نسف الجسور من قبل الهاغاناه ثم هجوم شتيرن على مخازن سكة حديد حيفا .

ومن المؤسف ان الهاغاناه لم تعط أي انذار بقيامها بنسف الجسور لشتيرن قبل هجوم الاخيرة على مخازن السكة في حيفا . فقد ادعى جماعة شتيرن انه لما اقترب رجالهم من المكان وجدوا الحرس في حالة طوارىء . اما موشي سنيه فقد ادعى امامي انه استلم رسالة من ناثان فريدمان يخبره فيها انه تقرر تأجيل الهجوم على المخازن في حيفا . ولكن هذا الجدال الطويل لم يغير الحقيقة المحزنة ، وهي ان الحرس استطاعوا ان يخدعوا المهاجمين فيقتلوا أحد عشر رجلا ويأسروا خمسة وعشرين من جماعة شتيرن . ولم يقم أي رجل رسمي من الهاغاناه بواجباته تجاه قتلى شتيرن بينما اقيمت جنازة شعبية كبرى لعضو الهاغاناه الذي مات في حادثة نسف احد الجسور .

لقد كان الهجوم على الجسور واسع النطاق ومهما جدا من الناحية السياسية ، وقد عمل رجال الهاغاناه في ظروف صعبة فقد كان عليهم ان يقطعوا المسافات الطويلة وينسحبوا عبر طرق ثانوية حتى لا يشتبكوا مع الجيش البريطاني ، وفي الاماكن التي يحرسها رجال البوليس العرب لم

يحدث اي اصطدام يذكر وكان مقتل الاربعة عشر رجلا من الهاغاناه نتيجة انفجار لغم موقوت ، وقام الرجال بالعملية على أكمل وجه ونسفت جسور كبيرة في الشمال والشرق والجنوب .

وكانت هذه آخر عملية لحركة المقاومة ، وكان رد فعل السلطات البريطانية قويا فقد قررت القيام بحملة عسكرية كبرى لتحطيم حركة (الارهاب) اليهودي .

وفي فجر ٢٩ حزيران ١٩٤٦ خرج آلاف الجنود البريطانيين من ثكناتهم واحتلوا الوكالة اليهودية وقرى البالماخ السرية واعتقلوا اكثر الشخصيات والشباب اليهود المعروفين . وقد كان للانجليز معرفة تامة بالاماكن المهمة التي يجتمع بها الشباب اليهود فلذلك كانت موجة الاعتقالات هذه ضربة شديدة خصوصا للبالماخ الذين اعتقل نصفهم .

والآن ، ما العمل ؟ نحن لم نشك ابدا في ارادة الهاغاناه على الاستمرار في القتال . وطوال هذا النهار كانت اذاعة « كول اسرائيل » تردد : « ان بريطانيا اعلنت الحرب على اليهود واليهود سيردون هذا الاعتداء ! ليسقط النظام النازي البريطاني في بلادنا ! » وقد كانت هذه النداءات تشبه نداءاتنا الاولى ، ولكننا في هذا اليوم لم ننشر مثل هذا النداء بل قدمنا برنامجا مدروسا كاملا يحتوي على تسع نقاط هي :

١ ــ انشاء حكومة يهودية انتقالية .

٢ ــ انشاء مجلس وطني اعلى كبرلمان للشعب اليهودي .

٣ ــ تعميم دعوة الاستقلال والحرية لليهود ليكون اساسا لدستور يضمن الحرية والمساواة والعدل الاجتماعي .

٤ ــ انشاء محاكم خاصة ومقاطعة المحاكم الحكومية .

٥ ــ انشاء ديوان للمالية والمحاسبة يقوم على جمع الضرائب والامتناع من دفع الضرائب لحكومة الانتداب .

٦ ـ انشاء جيش تحرير موحد يقسم الا يترك السلاح حتى تقوم دولتنا المستقلة .

٧ ـ انشاء مجلس عسكري اعلى لوضع الخطط الحربية والتعبئة العامة .

٨ ـ توجيه نداء الى شعوب العالم الحرة ليساعدوا الشعب اليهودي.
ولم يقبل هذا البرنامج في ذلك الوقت ، ولكنه قبل بعد هذا بسنتين .
ودب القلق والاضطراب في الاوساط اليهودية وبدأ بعضها يتراجع .
فبعد ان كان جواب الجميع عندما يسألهم المحقق البريطاني عن شخصيتهم : « يهودي من فلسطين » واعلنت السلطات البريطانية انها لن تفرج عن احد الا اذا تعرفوا على شخصيته ، بدأ البعض يصرخ من داخل المعتقلات : « تعرفوا على شخصياتنا وافرجوا عنا » ولكن السلطات البريطانية لم تفرج عن الجميع . فمن الذين لم يفرج عنهم الحاخام فيشمان ، موشي شرتوك ، يتشاك جرونبوم ، دافيد راميز وغيرهم .

اما فيما يتعلق بالعلاقة بين الشخصيات اليهودية الكبيرة والشباب فقد وصلتني مرة برقية من القيادة العليا لحركة المقاومة تقول : « حزقيال ، ان شبابكم المعتقلين في اللطرون يتشاجرون باستمرار مع الشخصيات اليهودية الكبيرة . فهل تستطيع ايقافهم ؟ »

وقمت فورا بالتحقيق في الامر ولكن شبابنا نفوا وجود أي حادث من هذا النوع .

وبعد بحث طويل قررت الهيئات الرسمية اليهودية ان تدير ظهرها للمقاومة المسلحة وان تقبل الشروط البريطانية للافراج عن المعتقلين من الشخصيات اليهودية الكبيرة . فهوجم « الارهابيون » في الاجتماعات العامة من قبل الهيئات الرسمية التي اخذت على عاتقها سمعتها . وافرج عن الشخصيات الكبيرة المعتقلة لحضور مؤتمر انكليزي ـ عربي ـ يهودي في لندن للوصول الى اتفاق او تسوية . وتوقف النضال بالنسبة اليهم ما عدا

بعض عمليات نقل المهاجرين غير الشرعيين .

***

ان لعمليات نقل المهاجرين اليهود الى ارض فلسطين اهمية كبرى والحقيقة ان عملنا في هذا الحقل ، بالنسبة لما قام به كاتز نلسون وابراهام ستافسكي في الحرب العالمية الثانية ، ضئيل لا يذكر . فقد كانت السلطات البريطانية تقبض على آلاف المهاجرين وتنقلهم الى المعتقلات في قبرص ولم يكن المهاجرون يستطيعون المقاومة لانه لم يكن لديهم سلاح لذلك . وكانت بريطانيا تهاجم دائما : « عديمي الضمير الذي يلقون بآلاف النساء والاطفال في عرض البحر » .

وفي الجبهة اليهودية كانت الهاغاناه قد توقفت عن القتال فقد استطاع رجالها وشباب البالماخ ان يرجعوا الى قراهم وبيوتهم . ورجعت الهاغاناه الى كونها منظمة شبه قانونية . وهكذا اصبح على المهاجرين وحدهم ان يقاوموا ويدافعوا عن انفسهم . اما نحن فلم نكتف بالاحتجاجات بل كنا نقوم بعمل ايجابي بعد كل مصادرة لسفن المهاجرين وقد استطاعت شتيرن مرة ان تحرق احدى شاحنات البترول في ميناء حيفا حيث كانت سفن المهاجرين تستعد لنقلهم الى قبرص .

وكان اخواننا البائسون يصرخون طالبين نجدتنا ولكننا كنا نعاني نقصا كبيرا في ناحيتين ـ المال والمتفجرات . وكل منها ضروري لمثل منظمتنا ضرورة الحياة . وبينما كان الناس يتساءلون عما دهانا. وبينما كان اعداؤنا السياسيون الذين يباركون اعمالنا في قلوبهم ويلعنونها بألسنتهم يعجبون لتوقفنا عن العمل كنا نحن لا نستطيع ان نفعل شيئا لعدم توفر المال والذخيرة .

ولكن الحظ لم يتخل عنا . فقد استطعنا الحصول على بعض المال ، واستطاع « جدعون » ان يعمل تصميما جديدا « لبرميل المتفجرات » المشهور وهو برميل ممتلىء بمتفجرات ومثبت على عجلات من المطاط يمكن

بعد الضغط على زر معين ان يرتفع في الهواء الى علو قليل معين ثم ينطلق بعد ان يهبط الى الارض على العجلات الى الجهة المعينة ولا ينفجر الا اذا اصطدم بالجدار او الهدف المعين . وقد استعملنا هذا التصميم في نسف قلعة حكومية محروسة حراسة قوية بالاسلاك الشائكة في حيفا . فقد انطلق البرميل من فوق الاسلاك الى حائط القلعة الذي تهدم . وكان رد فعل الحكومة هو رفع جدار الاسلاك الشائكة من خمسة عشر الى خمسة وعشرين قدما . وبدأ « جدعون » يضع تصميما جديدا ليتخطى هذا الجدار ولو بقيت الحكومة الانتدابية في فلسطين مدة اطول لاضطرت الى رفع حواجزها الى ستين قدما على الاقل .

وبدأ المتخاذلون ، منذ ٢٩ حزيران يسيطرون على الدوائر الرسمية اليهودية ويصرون على وقف القتال المسلح . وقد نجحوا في ايقاف الهاغاناه فقط .

فقد طلب الدكتور وايزمان ، رئيس المنظمة الصهيونية ، ايقاف العمليات المسلحة حتى انعقاد المؤتمر الصهيوني . ورفض سنيه ان يعطي مثل هذا التعهد لانه كان قد وعد ضباط الهاغاناه ان تستمر المقاومة حتى النهاية . وفي نفس الوقت كنا قد وضعنا الخطة لهجوم مشترك على معسكر بريطاني لاخذ اسلحته ردا على مصادرة الاسلحة اليهودية الكثيرة في قرية « ياجور » التي فتشتها الحكومة . وعندها طلب وايزمان من سنيه ان يستقيل من قيادة الهاغاناه والا فسيستقيل وايزمان من رئاسة المنظمة الصهيونية . وقد قام بين المرشحين للاستقالة سوء تفاهم مصدره ان وايزمان يقول انه لم يعلم بالهجوم على الجسور بينما يصر سنيه على القول انه ارسل له خبرا بذلك . والحقيقة هي ان الاثنين على صواب فقد ارسل سنيه الخبر ولكنه لم يصل الى وايزمان .

وبالرغم من ضعف صحته فقد أصر وايزمان على الانذار . وقد اقتنع الزعماء العمليون النشيطون في الدوائر الرسمية ان استقالة وايزمان ستكون ضربة قاصية للصهيونية وطالب عدد كبير من حزب الماباي (حزب العمال) وقف اعمال الارهابيين . ففضل سنيه ان يستقيل .

وقد حضر سنيه الاجتماع الخطير للهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية في باريس حين وقف بن غوريون كالصخرة الصلبة يدعو الى متابعة القتال. فأيده سنيه تأييدا مطلقا الا ان بن غوريون عاد فغير رأيه . وهكذا توقفت المقاومة الرسمية المسلحة في تشرين الثاني ١٩٤٧ ، عندما بدأ العرب يقتلون اليهود . وبالرغم من توقف المقاومة المسلحة الا ان الثورة لم تتوقف .

وقد كانت ايام المقاومة الموحدة من احب الايام الي . الا ان السعادة دائما قصيرة والحزن طويل . نعم ، لقد اختلف زعماء حركة المقاومة بين بعضهم البعض ولكن فراقهم كان محزنا خصوصا وقد رافقته اسطورة فندق الملك داود .

فندق الملك داود

من خلال الحرب العالمية الثانية اصبح الجناح الجنوبي في فندق الملك داود في القدس مركزا لاهم المؤسسات الرسمية البريطانية كالقيادة العسكرية العليا ، والسكرتارية العامة والحكومة المدنية . وباشتداد ثورتنا اصبح هذا الفندق قلعة حصينة كاملة الحراسة تجاورها بناية القيادة للبوليس الحربي وقسم المخابرات الخاص ، وكان رجال الجيش والبوليس والتحري يراقبون هذه البناية ويحافظون عليها بكل قواهم .

وقد فاخر « كاستلنغ » ، قائلا : « ان الارهابيين لن يأتوا الى هنا . واذا جاءوا فسنستقبلهم استقبالا حافلا » . وجئنا، ولم يستطع كاستلنغ ان يستقبلنا وعندما تناثرت البناية في الهواء ونجا كاستلنغ ورئيسه جايلز من الموت بأعجوبة .

في ربيع ١٩٤٦ قدمنا خطتنا الى قيادة حركة المقاومة . وقد اخبرت سنيه وجاليلي اننا مستعدون ان نأخذ على عاتقنا الاختراق الى جناح الحكومة والقيام بعملية تخريب كبرى . وقد أكدت لهم ، دون الدخول في التفاصيل ، اننا سنستعمل في هذه العمليات متفجرات ذات طابع خاص من تصميم « جدي » فان الغامنا لا يمكن نقلها او توقيفها لانها ستنفجر بمجرد الاحتكاك . ومن جهة اخرى نستطيع ان نضبط هذه الالغام ضبطا اوتوماتيكيا مؤقتا فنستطيع ضبط اللغم على ان ينفجر بعد ساعة او نصف

ساعة من وضعه في المكان المحدد . وهذا يساعدنا على ان ننذر الذين نريد ان لا يشعروا بسوء كبعض السواح والعمال وبعض الرسميين . فقد كان اخلاء المكان من كثير من رواده شيئا ضروريا جدا عندما يكون هناك الكثيرون ممن يهمنا بأي ثمن ، ان لا يصابوا بأذى .

غير ان قيادة الهاغاناه لم توافق بسرعة على المشروع لانها كانت تعتبر الهجوم على مركز للحكومة شيئا لا يستطاع . انهم لم يعارضوا الفكرة مبدئيا ، ولكنهم اعتقدوا ان الوقت لم يحن بعد لهذا العمل الذي سيثير السلطات البريطانية ويشعلها . وكنا نحن نعتقد عكس ذلك ولكننا اضطررنا ان نطيع رأيهم تنفيذا للاتفاق . ولكننا لم نيأس ، وفي احاديثنا الشخصية مع زعماء الهاغاناه كنا نتحدث دائما معهم في هذا الموضوع ونقدمه بطرق جديدة ، ولاتصالنا الداخلي استعملنا كلمة « مالون شيك » أي الفندق الصغير ، رمزا لفندق الملك داود . وكانت شتيرن في نفس الوقت تستعد للهجوم على بنايات اخرى للحكومة ، اهمها تلك المعروفة باسم بنايات دافيد اخوان . ولكي نفرق بين العمليتين اسمت الهاغاناه الهدف الثاني « عبدك ومخلصك » .

وهاتان العمليتان اللتان اجلتهما الهاغاناه طويلا عادت فقبلت تنفيذهما في اول تموز ١٩٤٦ ، أي بعد يومين من هجوم الجنرال باركر على الهاغاناه والبالماخ والوكالة اليهودية . اما لماذا عادت الهاغاناه فوافقت على الهجوم بعد تأجيله فذلك يرجع الى سببين : الاول ان الهاغاناه التي ارتضت سياسة المسالمة وضبط « النفس » في الثلاثينيات تحولت في الاربعينات الى سياسة «رد الهجوم» فنشراتهم الداخلية توضح فكرتهم هذه بكل جلاء حتى ان « الياهو جلومبب » برر هذه النظرية تبريرا تاريخيا فلسفيا حتى وصل الى النتيجة التي تقول ان شعبنا لا يمكن ان يقوم بأي هجوم وان الحروب التي نستطيع ان ننتصر فيها هي حروب الدفاع . وقد استعمل الرياضيات الى جانب فلسفة التاريخ ليبرهن صحة نظريته وبدأ مفكرو الهاغاناه ينشئون علاقة رياضية بين « الهجوم » و « رد الهجوم » واذكر ان احدى هذه المعادلات هي : « ان مدى رد الهجوم يتوقف على مدى الهجوم » .

وقد وضعت هذه النظرية قيد التنفيذ في فترة حركة المقاومة الموحدة . فاذا كانت محطة الرادار في حيفا مثلا تشكل خطرا على نقل المهاجرين فان محطة الرادار يجب ان تتحطم . وقد كان رجال هاشومير هاتزير يعارضون أي نوع من القتال المسلح . وكانوا يتساءلون دائما عن علاقة العمليات التخريبية بنقل المهاجرين وكان سنيه يجيبهم ان هذه العمليات تؤخر رجال الجيش الذاهبين لاعتقال المهاجرين وارجاعهم من حيث اتوا. ولكنهم لم يقتنعوا وأصروا على ان نظرية «الدفاع عن الدفاع» هي كالحد الفاصل للعمل . ونستطيع ان ندور مع هذه النظرية الى اللانهاية . فاذا كانت المنظمة الدفاعية تدافع عن المنظمة الدفاعية فعليك اذن ان تخلق منظمة دفاعية تدافع عن التي تدافع عن المنظمة الدفاعية .. وهكذا . وحتى هذه النظرية الدفاعية بقيت نظرية فقط. فعندما هاجم البريطانيون في ٢٩ حزيران مخازن اسلحة الهاغاناه في « الياجور » لم تدافع الهاغاناه عن نفسها .

ومن العجيب ان هذه النظرية (مدى رد الهجوم يساوي مدى الهجوم) هي التي دفعت رجال الهاغاناه الى الموافقة على الهجوم على فندق الملك داود . ففي ٢٩ حزيران ١٩٤٦ احتلت القوات البريطانية مكاتب الوكالة اليهودية . وكانت الوكالة اليهودية تعتبر « القيادة اليهودية » ولذلك يقتضي علينا ، حسب النظرية ، ان نرد الهجوم بهجوم على قيادتهم في فندق الملك داود .

اما السبب الثاني لموافقة الهاغاناه على نسف الفندق فقد كان لكثرة خطورته . فقد استطاعت السلطات البريطانية عند تفتيشها مكاتب الوكالة اليهودية الحصول على خطاب ألقاه موشي شرتوك في المؤتمر الصهيوني يصف اعمال نسف الجسور ويمتدحها ويبين مدى أهميتها في النضال العام وكان هذا الخطاب الذي وجدته السلطات مطبوعا على الالة الكاتبة في الوكالة اليهودية هو احد الوثائق التي تستطيع السلطات ابرازها لاثبات علاقة الوكالة اليهودية بأعمال الارهاب التي ادعى بن غوريون ، رئيس الوكالة اليهودية ، امام لجنة التحقيق انه لا يعرف عنها شيئا ولا صلة للوكالة بها .

وقد تجلى الاهتمام لتدمير هذه الوثائق عند اجتماع « ميتشاك ساره » ضابط العمليات في الهاغاناه مع « جدي » ممثلنا . وعندما اخبر جدي ميتشاك ان الوقت بين ادخال المتفجرات الى المكان وتفجيرها قد يكون خمسة واربعين دقيقة قال ميتشاك ان ذلك وقت طويل جدا يستطيع فيه الانكليز ليس فقط اخراج الرجال بل الوثائق ايضا وتهريبها ثم أصر على جعل الوقت خمس عشرة دقيقة . وبعد نقاش بينهما اتفقا ان يكون الوقت نصف ساعة .

وفي اول تموز جاءتنا من قيادة الهاغاناه الرسالة التالية :

« ١ ــ نرجو ان تقوموا بأسرع وقت ممكن بعملية « شيك » وعملية « عبدك ومخلصك » افيدوا عن التاريخ ونرجو ان يكون واحدا للعمليتين . لا تشيروا مباشرة او غير مباشرة الى المنظمة التي قامت بالعمل » .

« ٢ ــ اننا ايضا نستعد لعمل شيء ما وسنخبركم عنه في الوقت المناسب .

« ٣ ــ يجب ان لا تقوموا بأي عملية في حدود تل ابيب اننا جميعا مهتمون بالمحافظة على تل ابيب كمركز لحياتنا العامة . فاذا حدث هناك منع للتجول في تل ابيب كنتيجة لأي عملية في منطقة قريبة فان مشاريعنا ستتوقف . يجب ان لا تقترب القوات اليهودية في هذه الفترة من تل ابيب » .

* * *

عندما وصلتنا الرسالة بدأنا في الاستعداد لعملية « شيك » . ولكننا لم نكن لنستطيع القيام بها حالا لان موافقة الهاغاناه على الهجوم وصلتنا بعد اسابيع من رفضها لها . وفي تلك الفترة تغيرت ظروف كثيرة . ولذلك كان علينا ان نراجع التفاصيل والخطط مرة اخرى وعلى اسس جديدة . وكنا ندرك ان هذه العملية هي اخطر عملية نقوم بها في تاريخ

حركتنا فليس من الامر البسيط اختراق مركز الحكومة العسكرية ونسف مقرها المحصن . اعتقد انه لـم يكن لهذه العملية مثيل في التاريخ .

ولم نكن نجسر على الفشل. فبعد احتلال الوكالة اليهودية دب الذعر واليأس في قلوب النـاس واصبحوا يرون الحـرب مـع بريطانيا مـن المستحيلات ولذلك سررنا كثيرا عندما جاءتنا رسالة الهاغاناه بالموافقة على العملية وبدأنا نعد لها من جديد ووضعنا في ذلك كل جهودنا وامكانياتنا .

واصبحت اوعية اللبن وسيلة لحمل المتفجرات بها الـى الداخل . وكان في كل منها آلتين : واحدة تضبط الوقت حتى تنفجر الالغام بعـد نصف ساعة من وضعها في الداخل ، والثانية آلية عادية لتوقيف اللغم او نقله . وكان الاعتبار الاساسي في العملية هو تعيين موعد الهجوم فاقترح موعدان : الاول في الحـادية عشرة قبـل الظهر ، والثـاني بـين الرابعة والخامسة مساء . اما سبب اقتراح هذين الموعدين فهو ان اوعية اللبن لا يمكن ان تدخل الفندق الا عن طريق « مقهى الريجنس » الكائن في الطـابق الاول من البناية . ففي تلك الاوقات المعينة من الصباح والمساء يكون المقهى خاليا تقريبا بعكس الاوقات الاخرى التي يزدحم فيهـا بالرواد المدنيين والعسكريين .

واخترنا الوقت الاول ـ الحادية عشرة ـ من الاوقات المقترحة وذلك لكي يكون هجومنا في نفس موعد هجوم شتيرن على بناية « دافيد اخوان » حتى لا يتعارض هجوم مع آخر .

ثم بدأنا نفكر في طريقة لانذار البعض حتى لا تحدث خسائر كثيرة كنا لا نريدها . ولكي نبعد المارة في الطريق المجاور للفندق قررنا تفجير قنبلة صغيرة لا تحدث أي اضرار ولكن لها صوتا مروعا . وانتقينا ثلاث مكاتب ننذرها بوجود اللغم بعد خروج رجالنا من المكان وكانت هذه المكاتب الثلاث هي : مكتب جريدة « بالستاين بوست » ومكتب ادارة فندق «الملك داود» والقنصلية الفرنسية المجاورة للفندق . ثم قررنا وضع لافتات على اوعية اللبن تقول : « احذروا ... الغام متفجرة » .

وقد قمنا بعملية « شيك » بعد ثلاثة اسابيع من استلامنا رسالة الهاغاناه . وخلال تلك المدة عقدت اجتماعات كثيرة بيننا وبين قيادة حركة المقاومة . فمرة طلبت شتيرن تأجيل الهجوم لعدم استعدادها الكامل ، ومرتين او ثلاثة اجلنا الهجوم بناء على طلب قيادة الهاغاناه .

وكان التأجيل خطرا . ففي كل مرة تؤجل فيها العملية يزداد عدد العارفين بها لأن من عادتنا اعطاء كل مشترك بالعملية بعض المعلومات عن دوره ، وفي كل مرة كنا نضطر الى ادخال بعض الاشخاص الجدد او زيادة المعلومات للبعض حتى اصبح التأجيل خطرا جدا ليس على العملية فحسب بل على المشتركين انفسهم . وكنا نحتج دائما على التأجيل ولكننا نعود فنقبله بحكم الضرورة . وفي ١٩ تموز وصلتني رسالة من موشي سنيه تقول : « اخبرني الرفاق عما دار في الاجتماع الاخير . واذا كنتم ما لا تزالون تحترمون طلباتي فانني اطلب منكم شخصيا تأجيل العملية بضعة ايام اخرى » .

فنزلنا عند طلبه واتفقنا على يوم ٢٢ تموز كموعد نهائي للعملية . ولكن شتيرن عادت الى القول انها ليست مستعدة في ذلك اليوم ، فقررنا في الدقيقة الاخيرة القيام بالعملية وحدنا . ونتيجة للمشادات الاخيرة السريعة تقرر تأخير الموعد الى الساعة الثانية عشرة ظهرا .

وقامت فرقة الهجوم بقيادة جدعون الذي لبس رداء خدم الفندق بعملها بشجاعة فائقة . فقد جاءوا بأوعية اللبن الى اقرب مكان من الفندق ثم انقسموا الى فرقتين : واحدة للاختراق واخرى للتغطية . وتقدمت الفرقة الاولى تحمل الاوعية الى الطابق الارضي عن طريق « مقهى الريجنس » فأسروا موظفي المقهى وسجنوهم في غرفة مجاورة . ولم يبد هؤلاء الخمسة عشر موظفا عربيا اية مقاومة ، وكان ذلك منتظرا منهم . ولكن رجالنا فوجئوا بدخول ضابطين بريطانيين شكا في الامر فشهرا مسدسيهما وكان لا بد من الالتحام الذي راح ضحيته رجال منا ايضا . وفي نفس الوقت كانت فرقة التغطية في الخارج قد اشتبكت مع القوات البريطانية المرابطة . وبالنظر لطبيعة العملية لم يكن رجالنا يحملون الا

المسدسات ومدافع « تومي » . وقد استطاعت فرقة الاختراق ان تصل الى هدفها ووضع قائدها بنفسه اللافتة المنذرة. وضبط الوقت للانفجار. وقد امر موظفي المقهى العرب ان يهربوا فهربوا بدون اي تردد . وكان الرجل الاخير الذي خرج هو جدعون الذي صرخ « ابتعدوا ... ان الفندق سينفجر » . وفي نفس الوقت انفجرت القنبلة الصغيرة ذات الصوت القوي وتحت ستار دخانها انسحب رجالنا . وكان الطريق قد خلا من المارة نتيجة للانفجار وازيز الرصاص .

بعد عشرة دقائق من الساعة الثانية عشرة كان جدعون قد وصل الى المكان الذي تنتظره فيه عاملة التلفون عندنا . فحادثت ادارة فندق الملك داود حالا وقالت ان هناك الغام في الفندق ستنفجر . ثم اتصلت بجريدة « بالستاين بوست » واخبرتهم ان هناك الغاما قد وضعت في فندق الملك داود وان السكان قد انذروا لكي يهربوا .

ثم اتصلت بالقنصلية الفرنسية منذرة وناصحة بفتح النوافذ حتى لا تتأثر من الانفجار القريب .

الساعة الآن الثانية عشرة والربع . جدعون كان يعد الدقائق حتى الآن كل شيء يسير حسب الخطة المرسومة ما عدا الالتحام غير المنتظر بالضابطين البريطانيين وقد اعطيت كل الانذارات . سؤال واحد بقي يلح عليه : هل تنفجر الالغام ؟ هل تدمر البناية ؟ هل تحترق الاوراق والوثائق ؟ كل دقيقة بدت كاليوم الكامل وبدأت ساعة الصفر تقترب ... ثم ... اهتزت المدينة من قوة الانفجار .

وقد كان الانفجار اكثر مما توقعنا ، فقد شك رجال الهاغاناه في امكانية اللغم من الوصول الى الطابق الثاني او الثالث . وقد ادعى «جدي» انه بالرغم من ان المتفجرات الموجودة في الاوعية لا تتعدى وزنها خمسمائة اقة هي مزيج من الجلجنايت والـ « ت . ن. ت » الا ان ضيق المكان سيقوي من مفعول الغازات الهاربة وسيدفع بالانفجار الى السقف . وقد وصل الانفجار الى السقف ، أي ستة طوابق من الحجر الصلب ، وكما

قالت اذاعة لنــدن ان الجناح بأكمله لتلك البناية الهائلة قد سقط كأن سكينا قطعته .

* * *

في الوقت الذي قامت فرقة الاختراق لمنظمتنا بجهود كبيرة لاخلاء الفندق من النزلاء كان هناك من يعمل في اتجاه آخر ، وكانت نتيجة ذلك ان قتل في هذه الحادثة ما يقرب من مائتي شخص منهم بعض الضباط البريطانيين واكثرهم من المدنيين سكان البلاد . وقد تألمنا كثيرا للضحايا اليهود وهم خمسة عشر رجلا ، الذين قتلوا في الحادث . وهكذا رافق الالم لذة الانتصار .

والآن .. لماذا لم يخل الفندق من نزلائه ؟

ان في بعض المأساة بعض الحقائق التي هي ابعد مــن الشك . فقد ذكرت جريدة القوات البريطانية في الشرق الاوسط « ميل ايست ميل » ان عاملة التلفون في الفندق سمعت صوت امرأة تنذرها بوجود متفجرات في الفندق ويجب اخلاؤه بأسرع وقت ممكن . وكان ذلك في الثانية عشرة ببضــع دقائق . وقالت عاملــة التلفون في جريدة « بالستايــن بوست » للمحقق انها استلمت انذارا بهــذا المعنــى ونقلته فــورا الــى السلطات المسؤولة . ونشرت جريدة الهاغاناه شبه الرسمية « ايشناب » شهادة رجل كان في الفندق وقت الانفجار قال :

« عندما سمعت صوت اول قنبلة قررت مع غيري من النزلاء الخروج من الفندق . ولكن الجيش منعنا باطلاق الرصاص علينــا ، فاضطررنا للبقاء » .

وقد علمت بعدها ان احد الضباط البريطانيين صرخ عندما وصل الانذار : « نحن لا نتلقى الاوامر من اليهود . نحــن نعطيهم الاوامر » . واخيرا فان هناك اعتقادا بأن امرا خاصا صدر من رجل كبير يقضي بتجاهل

الانذار المعطى لاخلاء الفندق . لماذا صدر هذا الامر السخيف ؟ ومن المسؤول عنه ؟

لم تقم السلطات البريطانية بأي تحقيق في الموضوع، وقبل ان يسافر الجنرال « باركر » الى انكلترا أصدر الامر التالي للقوات البريطانية :

« يجب أن يشعر اليهود بحقدنا عليهم واحتقارنا لهم . يجب علينا ان لا ننخدع بالشفقة الخبيثة التي يبديها زعماؤهم ولا باحتجاجاتهم التي يضعون كل العبء فيها على الارهابيين . واكرر انه لو اراد المدنيون اليهود وقف الارهابيين لتعاونوا معنا على الاقل .

« ولذلك اقرر انه منذ استلام هذه الرسالة يحظر على القوات البريطانية دخول المقاهي والمطاعم ودور اللهو والدور الخاصة اليهودية . ويحذر على الجندي البريطاني ان يتصل بأي يهودي . وانا اعلم ان هذا القرار سيخلق بعض الصعوبة للقوات ولكنني متأكد انني لو شرحت لهم الاسباب لعرفوا واجبي ولعاقبوا اليهود في اكثر الامور التي يكرهها جنسهم وذلك بالتسلط على جيوبهم ! » .

وقد وصلت الينا اخبار هذا الامر في يوم كتابته وقد نشرناه فورا .

بعد الجهود التي قام بها مكتب المعلومات للهاغاناه تبين ان مسؤولا كبيرا عمد الى منع اخلاء فندق الملك داود وذلك لان له مصلحة خاصة في ان تحدث مأساة كبيرة .

* * *

ولم تكن المعركة الداخلية بأسهل من المعركة الخارجية . وبناء لطلب من الهاغاناه لم ننشر أي شيء يدل على شخصية المنظمة القائمة بالعملية لا مباشرة ولا تلميحا . ولكن الهاغاناه نفسها وقعت في فوضى . وقد صرح احد ضباطها بتصريحات متضاربة . ففي بادىء الامر نصح الصحف

اليهودية بعدم التعرض او الهجوم على العملية ملمحا ان الهاغاناه كانت على علم بها . ثم نصح الصحف اليهودية في نفس اليوم ، وبعد ان تبين ان ضحايا كثيرة ذهبت في الحادث ، نصح الصحف ان تشير الى الحادث لا بالهجوم ولا بالمديح . اما توجيهه الثالث فكان الهجوم القارس على « الارهابيين » أي الارغون وشتيرن .

وقامت الحملة الهجومية التي لم تر البلاد الصغيرة مثلها ابدا . طلبت « هامشمار » جريدة الصهيونيين اليساريين بابادة شاملة للارهابيين . اما « هآرتس » جريدة الالمان اليهود ، فقد نشرت قصيدة مغزاها انهم لا يريدون الخلاص اذا كان سيأتي عن هذا الطريق . ومضت ايام قبل ان تتساءل الجريدة نفسها عن سبب عدم اخلاء الفندق ثم تقول ان « جاكوبز » ــ وهو موظف يهودي كبير في ادارة الحكومة الانتدابية البريطانية ــ وجد مقتولا تحت الانقاض وفي جيبه المداليات التي حصل عليها اشارة الى عزمه على الخروج لولا ان بعضهم منعه من ذلك .

وبلغت هذه الحملة القمة عندما صرح بن غوريون وهو في باريس الى جريدة « فرانس سوار » : « ان الارغون هي عدوة الشعب اليهودي ... لقد عارضني دائما ! » .

والاغرب من هذا سلوك الهاغاناه فبالرغم من اتفاقنا على عدم اذاعة ما يدل على شخصية المنظمة القائمة بالعمل وصلتني رسالة من جاليلي في ٢٢ تموز يطلب منا ان نعلن ان الارغون هي التي قامت بالعمل . ثم قال ان الهاغاناه لا تستطيع نشر أي بيان بهذا الخصوص . فنزلنا عند طلبه ونشرنا في الحال بيانا تفصيليا شاملا عن هجومنا على الفندق ولم نحذف الا حقيقة واحدة هي ان الهاغاناه نفسها طلبت منا في اول تموز ان نقوم بالعملية . ولكن الهاغاناه لم تحافظ على عهدها، ففي اليوم التالي ، ٢٣ تموز ، اذاعت « كول اسرائيل » محطة اذاعة الهاغاناه ، البيان التالي :

« ان حركة المقاومة اليهودية تستنكر العملية التي قام بها الارهابيون التي ادت الى خسارة ارواح كثيرة » .

وفوجئنا بهذه الاتهامات التي لم نسمع مثلها منذ اشهر طويلة ونحن الذين تعودنا ان نفهم التغير في اللهجة فهمنا مغزاها . فقد كانت الكلمات ذات اهمية كبرى فالهروب من المسؤولية هو عدم المسؤولية التي تناقض القوانين الادبية للمحارب الحقيقي .

وفي نفس اليوم وصلتني رسالة من جاليلي كانت لهجتها دفاعية فقد كتب جاليلي الذي خلف سنيه في قيادة الهاغاناه .

« ان النتائج المحزنة لعملكم الاخير في القدس قد أدت الى احداث غير منتظرة . لقد تجاهلت الصحف توجيهاتنا وانتقدت العملية . ان الحالة قد تؤدي الى اضطرابات سريعة قد تؤثر على النضال . لكي نتجنب ذلك يجب ان نلتقي الليلة ، ٢٣ تموز ، في الساعة ٢١ . فلذلك ارجو ان تحاول جهدك الحضور وسأنتظرك في مكان اجتماعنا السابق . ان اجتماعنا اليوم ضروري قبل اجتماع الغد » .

وذهبت الى الموعد المحدد . ولما سألته عن موقف الصحف أكد مرة اخرى ان الصحف افلتت زمامها وتجاهلت توصيات قيادة الهاغاناه ، ولكنني عتبت على اذاعة « كول اسرائيل » وبيانها العجيب ثم رحت اسأله : ماذا يعني ذلك ؟ الا تعرفون من الذي احدث هذه المأساة المروعة ؟ لماذا تهاجموننا ؟ لقد اتفقنا على الخطة معكم وقام رجالنا بتنفيذ التعليمات الصادرة اليهم واعطوا الانذار فلماذا لا تقولون الصدق .

ووقتها اخبرني جاليلي عن الحديث الذي دار بين الضابط البريطاني وموظف الفندق والذي قال فيه الضابط البريطاني : « واننا لا نأخذ الاوامر من اليهود بل نعطيهم اياها » . وبناء على طلبي وعد جاليلي باذاعة هذه الحادثة من « كول اسرائيل » . ثم طلب مني عدم نشر أي شيء يزيد الحالة اضطرابا فوعدته بذلك ، وبعدها اخرج جاليلي ورقة من جيبه واعطاني اياها لقراءتها . وكانت رسالة موجهة اليه من « يتشاك سارة » مدير العمليات في الهاغاناه يقول له فيها انه خدع وان « جدي » اخبره ان الهجوم سيكون بين الساعة الثانية والثالثة بعد الظهر أي وقت استراحة

الفداء حيث تخلو المكاتب من الموظفين .

فأخبرته حالا بجميع التفاصيل المتعلقة بوقت الهجوم وكيف ان قيادة الارغون اجتمعت مرارا لبحث هذه القضية ولكنها لم تسمع بأي اقتراح يتعلق بالهجوم في وقت استراحة الظهيرة . ثم اخبرته بأن « جدي » ذهب ليقابل « ساره » بعد قرار هيئة القيادة النهائي في قضية وقت الهجوم . وقد رفع « جدي » الي تقريرا كاملا عن مقابلته تلك مع « ساره » ولم يكذب علي مرة واحدة . حتى ولو كان جاليلي لا يصدق « جدي » كما اصدقه انا فأي فائدة من الافتراض ان « جدي » قد اخبر « ساره » شيئا منافيا لما قد تقرر مع اقتراحه هو بنفسه .

فوعد جاليلي بسؤال مدير العمليات عنده عن تفاصيل القضية وطلب مني ان اقوم بتحقيق ايضا . ولم أر اية ضرورة للتحقيق ولكنني اخبرته انني سأسأل « جدي » واذا أصر « ساره » على روايته فلا بد من مقابلة بحضورنا بين الاثنين .

وبعد ايام قليلة اذاعت « كول اسرائيل » قصة المحادثة بين الضابط البريطاني وموظف الفندق وذلك بعد رسائلنا الملحة لجاليلي . واستمرت الصحف تتجاهل توجيهات الهاغاناه وبقينا نحن صامتون حفاظا على وحدة النضال .

وفي نفس الوقت عقدنا المقابلة بين قواد العمليات وجاء عن الهاغاناه جاليلي وساره وعن الارغون جدي وابراهام وانا . وكنت قد تحدثت مع جدي في القضية ولما علم بما قال ساره استغرب ذلك جدا وقال ان ساره لم يسأله ابدا عن وقت الهجوم ولم يدخلا في اية تفاصيل من هذا النوع بل بحثا الوقت بين وضع المتفجرات والانفجار الذي يفسح المجال باخلاء المكان . اما ساعة الهجوم فلم تذكر ابدا .

وفي اثناء التحقيق سألت الاثنين بدون أي تحيز فقد كنت اعتقد ان

القضية نتيجة لسـوء تفاهم . وبدأنا انـا وجاليلي نسأل جدي وسـاره السؤال تلو السؤال .

ولكن التحقيق لم يؤد الى نتيجة عملية . فطلبنا ، نحن الذين قامت موجة التذمر والانتقادات ضدنا ، ان تقـوم محكمـة رسمية مؤلفة مـن شخصيات اليهود لتحكم بيننا وبين حركة المقاومة . وقد اقترحنا اسماء شخصيات كثيرة ــ منها بعض خصومنا ــ ولكن اقتراحنا لم يقبل .

ومع حملة الاشاعات الكاذبة التي رافقت هجومنا على مقر القيادة العسكرية والمدنية للحكومة البريطانية في فلسطين راجت قصة تقول ان نتيجة لعملنا هذا انقطعت كل علاقاتنا مع الهاغاناه ولكنني اعتقد ان علاقاتنا مع الهاغاناه لم تكن في يوم ما اقوى منها في تلك الايام التي اعقبت هذا الحادث .

فقد استمرينا لوقت طويل نعد الخطط المشتركة . وفي آب ١٩٤٦ قدمنا مشروع عملية لاغراق احدى السفن البريطانية التي تنقل المهاجرين في ميناء حيفا . وقد اسمينا الخطة عملية « لونش » او « مستر لونش » وفي ١٧ آب ، أي بعد حوالي شهر من عملية « شيك » كتب جاليلي يقول :

« انني اعود لأجيبك على قضية « لونش » . وأؤكد لك انها تحصل على الاهتمام الكـافي وانصح بالحذر لان أي تدخـل يؤدي الـى اخطار جسيمة . اما فيما يتعلق بادعائك ان هذا هو اقتراحك فمنذ متى كانت الاولية تعطى للاقتراحات خصوصا عندما يكون المقترح نفسه لا يعرف اذا كان اقتراحه قد عمل به قبل أن يقترحه .

« سأجيب على الامور الاخرى بالسرعة الممكنة ؟

لا لم يكن حادث فندق الملك داود هو الذي أدى الى قطع العلاقات بين الهاغاناه والارغون . ولكنها انتهت بناء على اتفاقنا نتيجة لهدنة قررت

في احــدى ليالي الخريف مــن قبــل « سجين في بلوريس » مــع سجين باريس الآخر » (١) .

* * *

كان للهجوم على فندق الملك داود نتائج اخرى . فبعد استعداد كامل نزلت القوات البريطانية الى شوارع تل ابيب معلنة انها ستستأصل الارهابيين من جذورهم . واحتلت تل ابيب فرقتان من المشاة والوحدات المسلحة يرافقها البوليس ورجال التحري . واعلن منع التجول ليلا ونهارا ، واعلن ان كل من يترك بيته يكون معرضا للرصاص بلا انذار . وفتشت الاحياء منزلا منزلا ، وحقق مع كل شخص .

تلك كانت ارادة الجنرال « كاسلز » قائد قوات صاحب الجلالة في المدينة المحاصرة . وامتلأت معتقلات اللطرون ورفح بالنزلاء الجدد . ولكن الجنرال « كاسلز » والجنرال « باركر » مــع رجال البوليس « جايلز » و « كاتلنغ » لم يكونوا ليفتشوا عن هؤلاء الاشخاص . انما كانوا يفتشون عن اشخاص بالذات وفتشوا ، وفتشوا كثيرا ولكنهم ايضا لــم يجدوا احدا .

في المساء الذي سبق اعلان منــع التجول كنت مع بعض رفاقي في اجتماع مع قادة « شتيرن » وكنا قد علمنا بالامر فأخطرنا شتيرن بذلك . ولكن الامر لم يبدو لنا عاجلا او جديا . فذهبت الى بيتي ونمت . ومــا لبثت ان افقت على صوت الدبابات تجــوب شوارع تــل ابيب وافاقت زوجتي .

لقد وصلنا خبر التفتيش في حينه . ولكننا لو نظرنا اليه نظرة جدية

---

(١) كان بن غوريون في باريس عندما اعتقل زملاؤه في ٢٩ حزيران فبقي هناك حتى افرج عنهم . اما سجين باريس الآخر فهو الدكتور « سنيه » الذي لجأ الى فرنسا بعد فترة الاختفاء التي أعقبت ٢٩ حزيران . المؤلف .

لتركنا تل ابيب على مهل وتركنا للسلطات ان تفتش الاحياء منزلا منزلا . ولكننا الان في تل ابيب نفسها محاصرين فماذا يحدث للشباب ؟ ان تربية اللحى الطويلة لن تفدهم هذه المرة فقد بدأت السلطات تشك فيها . فماذا علينا ان نفعل ؟

لقد كانت عندنا في البيت الصغير غرفة سرية صممها « ميرادور » قبل ان يُسلم للسلطات ، وهـي غرفة بدائية تستطيع العـين البصيرة اكتشافها . ولقد بقيت خالية لمدة ثمانية عشر شهرا لـم اشعـر خلالها بالحاجة لاستعمالها حتى عندما كان الجنود يجوبون شوارع « بن نون » الذي كنا نسكن فيه .

ولكنني شعرت في تلك الليلة انه يجب علي ان اختفي .

فأخبرت زوجتي ان تخبر ابني النائم اذا أفاق ، والجيش اذا فتش وسأل عني انني ذهبت الى القدس . ثم تسلقت الى الغرفة السرية .

وبدأ الجنود البريطانيون يدنون جهة البيت وكانت الشمس لم تطلع بعد . ومن المذياع الذي وضعته زوجتي في اعلى مكان ممكن حتى استطيع سماعه سمعت صوت المذياع يقول ان منع التجول سيستمر اياما طوالا وان التفتيش سيشمل كـل بيت في المدينة ... ولم يكن ذلـك بالنبأ المفرح .

ووصلت القوات الى الحديقة وعسكرت فرقـة هنـاك . ودخلـوا ليقوموا بالتفتيش الاول في بيتنا .

وسأل الضابط زوجتي : « اين زوجك ؟ »

وادعت انها لا تعرف الانكليزية ثم قالت باليهودية ان زوجـي قد ذهب الى القدس .

ولم يكن هناك مفر ، فقد اخذوها للتحقيق واضطرت ان تأخذ معها الاولاد الى نقطة التحقيق التي تبعد ميلا عن البيت . ولكنها لما وصلت هناك لم تجد من يسألها شيئا . فقد تطلع اليها الضابط البريطاني المسؤول هناك ثم قال للمترجم اليهودي : « قل لها ... ان ترجع الـى بيتها ! » فرجعت الى البيت وبحديثها المرتفع مـع الاولاد اعطتني الاشارة ان كل شيء على ما يرام حتى الآن .

ولكن القوات عادت مرة اخرى لتفتيش البيت تفتيشـا دقيقـا . ففتشوا الخزانات وقلبوا الفراش وقرعوا على الجدران . وقـد قرعوا بشدة على باب غرفتي السرية حتى ان اعصابي ثارت تريد ان تجيب على القرع .

على كل حال ، لم يكن مخبأي جنة . وقد اتجه تفكيري ، لا شعوريا، الى زنزانتي في « لوكيشكي » .

وهناك بعض المقارنات بين ذاك المكان وهذا المكان . ففي «لوكيشكي» يشتد الحر فـي النهار والبرد في الليل . وهنا الحال كذلك . هناك الارض من حجارة وهنا الارض من خشب . هناك تتحطم ضلوعك ، وهنا كذلك ، هناك لا تستطيع ان تتمشى ثلاثة خطوات ونصف ، اما هنا فلا تجسر على الحراك . هناك تحتاج الى الغذاء وهنا تحتاج الى الماء . وهذه هي المشكلة الكبرى : الحاجة الى الماء . ففي لوكيشكي وغيرها اعتدت على قلة الغذاء والاكل . ولكنني هنا وللمرة الاولى فهمت معنى الحاجة للماء . ومن المفضل انلا تعرف الجوع والعطش . ولكنني اذا ترك لي الخيار بين احدى الاثنين لفضلت الجوع لان العطش رهيب حقا !

لقد كنا في شهر آب والحر شديد . مر يوم وليلة والجنود يعسكرون في حديقتنا وانا في حاجة للماء . ومر يوم ثان وليلة ثانية ، ثم نهار ثالث وليلة ثالثة وبدأت اشعر بالدوار . وبدأ جسمي يجف بصورة عجيبة . فماذا تكون النتيجة لو صدق كلام المذياع واستمرت هذه الحالة لأيـام طويلة .

وقد استمر الضباط البريطانيون في الدخول الى البيت كل بضعة دقائق . وكانوا مرة يطلبون اعواد ثقاب او اشياء اخرى . ولكنهم عادوا يطلبون الماء . كانوا يشربون ماءنا .

وفجأة شعرت ان شيئا ما قد تغير . وسمعت اصوات اناس وآلات تتحرك في الخارج . وتوقف الضباط عن دخول البيت . فماذا يعني ذلك ؟

واخيرا اعطتني زوجتي اشارة الامان . وعندما خرجت لم اشرب بل وضعت رأسي في اناء مليء بالماء .

انتهى حظر التجول . وكان اول الزائرين « جدي » الذي سألني بدهشة :

« كيف استطعت التنفس في ذلك المكان ؟ »

وكان ذلك سؤالا لم استطع الاجابة عليه لانني لم افكر وانا في تلك الغرفة الا بالماء !

وجاء بعدها اكثر الرفاق وكل يحمل قصة ذات موضوع واحد . ان السلطات بالرغم من قواتها وغاراتها وتهديداتها وارهابها لـم تستطع ان تفعل شيئا مما ارادت .



الجلد بالسياط

يبدو ان لبعض العناصر التي تعمل في ادارة الحكومة البريطانية عطف خاص على استعمال السوط . ففي كثير من المستعمرات البريطانية استعمل السوط كطريقة للتحقيق وكانت السياط تنال الكبار الناضجين اكثر من الصبية الاطفال . وقد لمست هذه الميزة اثناء مروري في ايران وانا في الطريق بين روسيا وارض اسرائيل . وبما ان ارض اسرائيل كانت مستعمرة بريطانية لذلك لم تبخل عليها السلطات البريطانية بالفائدة الثقافية الناتجة عن استعمال السوط .

وكان من سوء حظ اثنين من شباب الارغون انهما وقعا ضحية هذه الفلسفة فقد حكم على « كاتز » و « كمشي » وهما في السابعة عشر بالسجن خمسة عشر عاما لمخالفتهم القوانين الخاصة بحمل السلاح . وقد اكمل الحكم بزيادة تثقيفية تتضمن ضرب كل منهما ثماني عشرة جلدة .

وقد اعتبرنا هذه الزيادة المذلة لحكم قاس مشكلة جديدة لها مدلولاتها السياسية والادبية . ان هذه السياط ستجرح روح ارض اسرائيل . فلسبعين جيل وفي سبعين ارض احتملنا عذاب سياط ظالمينا. وكان البارونات البولونيون يجلدون عبيدهم اليهود ، وكذلك البارونات الالمان . أفنقبل اليوم ان يجلدنا احد في ارضنا ؟ وهل يسمح للثوار المستعدين لبذل ارواحهم في سبيل حريتهم بهذا الاذلال ؟.

ماذا كان الهدف من وراء هذه المعاقبة ؟ هل ارادت حكومة الانتداب ان تعلم الشبان اليهود كيف يعاملوا أسيادهم .؟ لقد اثار هذا العمل الطائفة الكبرى من الثائرين . فلقد كان يؤثر على شعبنا ، ليس في علاقاته مع حكومة الانتداب ولكن في علاقاته مع شعوب العالم كله . انها معركة للحرية وهنا يجب ان يلاقي السوط حتفه .

وللسوط في نفسي ذكريات مرة . ففي سنة ١٩٢٠ عندما انسحب الجيش الروسي من بولندا ودخلتها الجيوش البولندية تحت قيادة بارن عسكري يكره اليهود ، امر هذا القائد باعتقال كثير من الشخصيات اليهودية ثم امر بجلدهم خمسا وعشرين جلدة لتعاونهم مع البلشفيين . ثم امر بجر اليهود وحشدهم للتفرج على المنظر . كنت يومها في السابعة من عمري ولكن ذكرى هذا المشهد لا تفارق مخيلتي .

ولذلك عندما علمت نبأ الحكم على الشابين اليهوديين دعوت الى اجتماع عاجل لقيادة الارغون . ووجدت ان المناقشة لا تجدي فقد كان للجميع رأي موحد في هذا الموضوع . فاذا جلد الجيش البريطاني شبابنا ، علينا نحن ان نجلد ضباطه . وتناقشنا اذا كان من الاصح ان نعطي انذارا بذلك . اقترح البعض ان نعمل اولا ثم نشرح ولكنهم اقتنعوا في النهاية ان ننذر الحكومة اولا انها اذا نفذت حكمها بالشابين اليهوديين يكون كل ضابط بريطاني في ارض اسرائيل معرض لنفس العقاب .

ولكي تشعر السلطات البريطانية بأهمية الامر نشرنا الانذار باللغة الانجليزية والعبرية . وكان الانذار واضحا مختصرا . ولما كان « صموئيل كاتز » المسؤول عن القسم البريطاني عندنا غائبا في ذلك الوقت فقد كتبت الانذار بنفسي . اما لغتي الانجليزية فقد تعلمت معظمها من راديو لندن . ففي فترة عملنا السري مدّني بمعلومات قيمة عن اللغة الانجليزية .

وبالرغم من خشونة الانذار لم تكن فيه اية اخطاء . فالجلد ليس موضوعا انيقا ، وعليه فليس من الضروري ان تكون صيغة الانذار انيقة . كل ما يجب ان يقال : « اذا جلدتونا جلدناكم » . ووجهنا الانذار خصيصا

لضباط . وقد اصدرنا الامر لجميع قواد المناطق الا يمسوا الانفار
لعاديين بل ان يجلدوا المسؤولين فقط . اما هذا التمييز يرجع الى كون
لعلاقات بين الضباط ومرؤوسيهم في اضطراب دائم . وهكذا يكون هذا
لقرار مبنيا على اسس نفسية صحيحة .

وقد اكسبنا هذا التمييز عطف عدد كبير من القوات البريطانية .
على احدى اللوحات المحتوية انذارنا كتب احد الجنود بأحرف كبيرة :
« ارجو ان لا تنسوا رئيسي » بعكس جندي الطيران الذي خط تهديدا
بافناء اليهود ، فقد كتب « بالتومي » اسمه الكامل وفرقته ورقمه .

من الواضح ان السلطات البريطانية رفضت ان تصدق اننا جادون
في تنفيذ انذارنا فأقدمت في مساء يوم الجمعة في اواخر شهر كانون الثاني
على اخراج « كيمش » من زنزانته في سجن القدس ثم جلدته ثماني عشرة
جلدة حسب قرار المحكمة .

وبمناسبة عطلة السبت لم تصلنا هذه الاخبار الا بعد اربع وعشرين
ساعة . وفي مساء ذلك السبت كان شبابنا يوزعون الطبعة الاخيرة من
جريدتنا « حيروت » المتضمنة انذارنا الثاني للحكومة .

وفي صباح اليوم التالي ظهر خبران في الصحف . الاول في الصحف
الرسمية الثانوية عن جلد « كيمش » . والثاني في جريدتنا السرية يحذر
فيه الاقدام على هذا العمل ونهدد بجلد الضباط البريطانيين . وقد قرأ
ذلك التهديد الآلاف وتساءلوا اذا كنا سننفذه ام لا .

وبالرغم من عاصفة الغضب التي اعترتنا لم نترك المجال امام
عاطفتنا ، بل اصدرنا الامر الاول لضباط المناطق عندنا : ان يعتقلوا
الضباط البريطانيين ويبرهنوا لهم انه اذا كان « السوط » يثقف اليهود
فانه يستطيع ان يثقف البريطانيين ايضا !

وفي ناتانيا ، تل ابيب ، ريشون ليزيون ، اعتقل الضباط البريطانيون

ثم جلدوا كما جلد « كيمش » ـ ثماني عشرة جلدة ـ حسب القانون ... قانون رد اللطمات .

وبقي السوط الاستعماري يهدد شابا ثانيا « كاتزر » . ولذلك اسرعنا بنشر بيان بما حدث وبما سيحدث اذا عادت السلطات البريطانية الى سياسة الجلد بالسياط قلنا :

« بالرغم من انذارنا فقد نفذ الجنرال باركر الحكم الذي فرضته محكمة بريطانية غير قانونية على محارب يهودي فضرب بالسياط في سجن القدس يوم الجمعة ٢٧ كانون الاول ١٩٤٦ .

وتنفيذا لانذارنا قبضنا يوم الاحد في ٢٩ كانون الاول ، في ناتانيا وتل ابيب وريشون ليزيون على اربعة ضباط بريطانيين وجلدناهم نفس عدد السياط التي نالها الشاب اليهودي .

ونحن الآن نحذر :

« اذا عاد البريطانيون الى تشويه اجسامنا او النيل من شرفنا فلن نجيب على ذلك بالسياط ... بل بالنار ! » .

ولم يجلد « كاتز » والسلطات التي اعتقدت ان السوط سيعطينا درسا تعلمت هي هذا الدرس .

وبعد ان رددنا على سياطهم حاولوا اقناع « كاتز » ان يدعي انه بحالة صحية ضعيفة لا تسمح له بأن يجلد . ولكنه رفض ذلك وهكذا فشلت هذه « المناورة الطيبة » . ولم تجد السلطات البريطانية بدا من الاعتراف بأن حكم السياط قد فشل . وفي مرسوم خاص اعلن القائد العسكري البريطاني الفاء حكم الجلد على « كاتز » . وقد تضمن هذا الالغاء شابا عربيا في السادسة عشر من عمره كان محكوما عليه بالجلد ايضا .

ولم يلجأ البريطانيون الى الجلد مرة اخرى وحددا القانون القاضي بالجلد حتى ان موقفهم من هذه الناحية قد تغير بدليل قول المدعي العام « الماجور باكستر » لاحد الشبان المحاكمين : « انك اصغر من ان تعدم واكبر من ان تجلد » .

طار خبر جلدنا للضباط البريطانيين الى جميع انحاء العالم وكان ذلك لطمة شديدة للهيبة البريطانية . وقد اتهم ونستون تشرشل الحكومة يومها بأنها لا تعرف كيف تحافظ على هيبتها . ثم صرخ :

« انكم تجلدون واحدا منهم وفي اليوم الثاني يجلدون اربعة ضباط بريطانيين فتعودون الى الغاء جلد ارهابي ثاني . الا تعرفون ماذا يعني ذلك ؟ »

واذا عرفت الحكومة ماذا يعني ذلك أم لا . الا ان العالم كله كان يعرف . وقد وصلتنا التهاني من جميع انحاء العالم واستطاع اليهود في الخارج ان يرفعوا رؤوسهم . فبعد اجيال ذل السياط ، شاهدوا العملية التي ارجعت لهم بعض كرامتهم وشرفهم .

ولكننا لم نجد أي داع للمرح . فنحن لم نكن نشعر بالارتياح بجلد الضباط البريطانيين ولكننا نعترف ان شعورا بالعرفان غمرنا عندما هرب رجال وضباط جيش قوي رهيب من مقاهي ارض اسرائيل ليلة الاحد في ٢ كانون الاول وذلك تطبيقا لاوامر الجنرال « باركر » لهم باخلاء المقاهي والمدن اليهودية والبقاء في المعسكرات بحذر . لم نستطع الا ان نتسلى بمغزى هذا الامر . ولكن الامر لم يكن مضحكا بالنسبة لنا لاننا لم نرد ان نذل الضباط البريطانيين ولم نرد جلدهم ولا محاربتهم ابدا . اما الذي فعلناه فقد فرضته الظروف علينا فرضا فقد انذرنا السلطات وكررنا الانذار . لقد كان من الممكن تلافي هذا الامر المحزن . وكانت عملية الجلد فكرة بريطانية ولم تكن فكرتنا .

سأل احد الضباط البريطانيون : « لماذا تجلدونني ؟ »

ولما شرح له رجالنا الامر صمت قليلا ثم طلب شهادة منا تثبت اننا جلدناه مرة . ولما سئل عن السبب قال : قد اضطر الى ابرازها اذا عاد الجهال في حكومتي الى جلد الناس بالسياط .

ولم يحتج الى شهادة لان الحكومة توقفت عن الجلد بالسياط ولكن القدر أبى الا ان ندفع نحن ثمن خدمتنا هذه .

حكم المشانق

في احد ايام الربيع في الصرفند سنة ١٩٤٦ كان المعسكر للجيش ، كخلية نحل ، كانت آلات الكاتبة والتقارير والبرقيات والرسائل والاوامر تلحق بعضها بعضا وكانت مخازن السلاح تسلم وتتسلم الآلات ، والضباط ينصرفون بالاوامر الى فرق التدريب .

كانت الصرفند ، المركز العام للجيش البريطاني في الشرق الاوسط كله ، تعج بالحياة العسكرية . وكانت طريقة الحراسة محكمة تساعدها ازواج الاسلاك الشائكة ولا يسمح بالدخول الا من البوابة الرئيسية حيث يسأل الداخل عن تفصيلات دقيقة . وكانت الاوامر العسكرية السرية تقول : « ان الارهابيين ذوي حنكة وشجاعة فقد قاموا بغارات نهارية سلبوا كميات كبيرة من السلاح » ، ولم يكن من المعقول ان تجرؤ « الارغون » على مهاجمة معسكر المعسكرات حيث أقوى الفرق العسكرية ومع ذلك كانت العيون الكثيرة في ابراج المراقبة تراقب باستمرار المخازن والاسلاك والطرق القريبة .

ولكن ذلك لم يفد كثيرا. ففي ذلك اليوم وصلت الى البوابة الرئيسية فرق بريطانية تتكون من جنود يهود لتأخذ اوامرها . كانت اوراق الفرقة مطابقة للعادة وذلك يسر قدومهم الى المعسكر دون اثارة اية ذرة من الشك . ولكن جنود هذه الفرقة لم يذهبوا الى مكاتب المعسكر بل الى

مخازن الاسلحة لانهم لم يكونوا بحاجة الى وثائق بل الى اسلحة . ولكن الحظ لم يبتسم لهؤلاء المحاربين السريين فقد كانت مخازن الاسلحة المشار اليها في خرائطهم خالية خاوية وهكـذا تركـوا المعسكر دون ان يغنموا شيئا .

والعجيب ان ما من احد استطاع معرفة هوياتهم الحقيقية حتى اليوم الاخير من الانتداب البريطاني على ارض اسرائيل ولا عرف احـد عـن تلك الزيارة الفاشلة الى معسكر الصرفند .

وفي آخر ايام ربيع ١٩٤٦ ، في اليوم الـذي وصلت فيـه لجنـة التحقيق الانكلو اميركية الـى ارض اسرائيل ، زار رجالنـا الصرفند مرة اخرى . وفي هذه المرة ايضا ادعى رجالنا انهم فرقة عسكرية بريطانية ولكنهم ادعوا انهم بريطانيون بعد ان وضعوا على رؤوسهم الرداء الاحمر الخاص بفرقة الطيران السادسة . اما السيارة التي كانت تقلهم فهي تخص الجيش البريطاني وقد استولوا عليها من الطريق فـي الدقيقة الاخيرة بعد ان اخذوا من سائقها الاوراق الرسمية التي تؤمـره بالذهاب الـى الصرفند وهكذا لم يتغير شيء في السيارة الا رجالها .

وتفقد الحرس السيارة واوراقها العادية ثم سمح لهـا بالدخول . ولكن بعضهم بقي بجانب البوابة مدعين انهم ينتظرون رفاقهم ، ثم مـع الحرس، ومع ان ذلك كانمنافيا للقانون الا ان لا شيء احب الى الجنود من حديث لطيف في اوقات الملل . وفي نفس الوقت استمرت السيارة فـي سيرها الى احد مخازن السلاح حيث رزم السلاح وارطال الذخيرة وهناك بدأ العمل السريع وتغلب رجالنا على حرس المخزن بسهولة . وعندما وصل بعض الضباط البريطانيون طلب منهم ، بلباقة ، ان يتفضلوا الـى غرفة الحراس . ووضع قائـد رجالنا حارسا واحدا علـى اسرانا وتركوا في الغرفة .

ثم بدأ شحن السلاح الى سيارتنا وكان رجالنا ينقلون الرزمة وهم على اشد ما يكونوا من النشاط . وكان بعض الجنود البريطانيين يمرون

من جانب المكان في طريقهم من والى غرفة الطعام وقد تثار شكوكهم . ولذلك كان الامر الصادر الى رجالنا هو ان يتكلموا مع بعضهم البعض بالانجليزية او يقسموا بالله في بعض الاحيان بالانجليزية بصوت عال . ولكن رجالنا كانوا في غمرة العمل ينسون انفسهم ويتحدثون بالعبرية ـ خصوصا اولئك اليمنيين الذين لا يمكن ان يظن احد انهم بريطانيون !

وبدأت سيارتنا الكبيرة تمتلىء ومن الممكن ان تعود السيارة ادراجها بعد قليل وهي حاملة ما تريد دون ان يوقفها احد . وبدأ عدد المارة يتكاثر وهم ذاهبون الى غرفة الطعام . وفيما كان بعض رجالنا يحرسون اقترب بعض البريطانيين بكثرة من المكان فأمرهم رجالنا بالارتماء في حفرة وقد سر احد الضباط لهذا « المزاح » وانفجر ضاحكا : « والآن ما هي النكتة ؟! » ولكنه ادرك ان القضية اخطر مما يتصور فأطاع الاوامر .

واستمر شحن السلاح ولكن احد شبابنا نازعه شوق الى مدفع « فيكرز » فقفز الى احدى الدبابات القريبة من المخزن واخذ يعالج المدفع الذي عليها . وكان عمله هذا بداية للمتاعب . فقد جلب بارتفاعه انظار احد ابراج المراقبة . فأطلق الشاب الرصاص ودبت الفوضى في انحاء المعسكر . وتزايد اطلاق الرصاص دون ان يعرف احد من الحرس من هم الجنود البريطانيون ومن هم غير البريطانيين ، ولكن السيارة المليئة بالذخيرة اصبحت هدفا واضحا فقد وجهت اليها الضربات من جميع الجهات .

وسرعان ما انقسم رجالنا الى فرقتين واحدة لاكمال تعبئة السيارة واخرى لرد اطلاق النار .

وقد اطلق شمشون ـ وهو الذي قاد الهجوم على سجن عكا بعد ذلك ولكنه حينئذ كان بقيادة « يشوع » ـ اطلق الرصاص من مدفعه « البرن » لكي يسكت رصاص العدو ثم دعى الى اكمال الشحن الا ان « يشوع » مع كل حماسه لاكمال الشحن ، تمالك اعصابه وادرك انه مسؤول عن حياة جميع الرجال فأمرهم بالصعود الى السيارة وبقي هو في المؤخرة ، حاملا بعض المتفجرات ثم توجه الى حيث اسرانا الانكليز ثم صرخ بهم : اهربوا

اني انسف المكان . اما الاسرى الذين دهشوا عندما اسرهم « رفاقهم » فقد زاد عجبهم الان ووقفوا دون حراك . وصرخ فيهم يشوع « اخرجوا » . ولم يضع الاسرى وقتهم فأشعل يشوع الفتيل ثم ركض لاحقا بالسيارة .

واذا كانت المتفجرات قد اتلفت المخازن فيما بعد فانه يجب ان نؤكد انها كانت عاملا كبيرا في تغطية انسحاب رجالنا لانها زادت الرعب والذعر والفوضى في المعسكر .

وفي نفس الوقت قامت معركة ثانوية على البوابة . فقد استمر رجالنا بالحديث اللطيف مع الحراس ولكنهم بمجرد سماعهم الطلقات في المعسكر سارعوا الى امر الحرس بالدخول الى غرفة جانبية ، ثم وقفوا مكانهم . وكانت حياة رجالنا بأيديهم لانهم لو لم يستطيعوا الخروج من الباب بسرعة للاقوا حتفهم جميعا . وكان البريطانيون يدركون ذلك ، فقد ركض الضباط الى رجالنا الحراس على البوابة وصرخ فيهم « اغلقوا الابواب ... اغلقوا الابواب » . واجابه رجالنا بهدوء : « نعم يا سيدي » ولكنهم لم يغلقوا الابواب وعندما وصل ذلك الضابط اليهم نزعوا منه سلاحه وادخلوه الى غرفة رفاقه .

وانطلقت السيارة نحو البوابة تحت وابل من الرصاص . وتعلق « حراسنا » ثم بدأ القائد يفقدهم ... كانوا كلهم موجودون لم يمت احد، وجرح بعضهم .

وافاق البريطانيون من الصدمة فالحقونا بقافلة من السيارات المسلحة ولكنهم لم يستطيعوا ان يفعلوا شيئا فعلى الطريق العام مئات من السيارات تحمل جنود الفرقة السادسة للطيران فمن يستطيع ان يفرق بين الصديق والعدو ؟

ولم يعد من الممكن ايصال السلاح بسرعة الى مخازننا لان المكان يعج بجنود الاعداء . ولذلك امر « يشوع » الرجال بأن يفرغوا السيارة من السلاح ويدفنوه في الرمال . وتم العمل بسرعة وغطت الرمال رزم الذخيرة .

ثم خلع شبابنا ثياب الجنود البريطانيين وعادوا جنودا من « الارغون » . وضمدت جراح المصابين ثم اوقفنا سيارة عمومية ووضعنا الجرحى بها ليستريحوا .

وبدا كل شيء على احسن ما يرام .

ولكنه لم يكن كذلك . فقد استطاعت الهاغاناه ان تحصل على السلاح قبل ان يصل رجالنا لينقلوه . ولكن عملنا لم يكن بلا جدوى . فان منظمتنا لم تحصل على ذلك السلاح الضروري ، الا انها كسبت جدا من الناحية النفسية والسياسية والادبية . فقد طار النبأ الى جميع انحاء العالم حتى ان اذاعة لندن علقت عليه تعليقا طويلا .

وفوق ذلك فقد كان ذلك العمل مفيدا جدا لان ذلك السلاح استعمل في النهاية للدفاع عن شعبنا بعد زمن يسير من استيلائنا عليه .

ولم تكن خسارتنا يومها في السلاح فحسب . فقد اوقفت دورية عسكرية السيارة التي تحمل الجريحين «سيمستون» و «اشبل» فأمروا بالنزول من السيارة ثم اعتقلوا مع الفتاة التي كانت معهم .

(ثم ينتقل بعد ذلك الى وصف التحقيق معهم ومحاكمتهم واقوالهم اثناء المحاكمة وصفا طويلا مملا) .

(وينتقل بعد ذلك الى وصف اعتقال ومحاكمة زميله) « دوف غرونر » والاتصالات السياسية والمنشورات التي وزعها لمحاولة اطلاق سراحه . ويستمر في سرد التفاصيل حتى اعدام السلطات البريطانية «لدوف غرونر») .



"باستيل" يسقط

بعد اعدام دوف غرونر ورفاقه الثلاثة عممنا بيانا اعلنا فيه انشاء محكمة عسكرية ملحقة بكل وحدة من وحدات الارغون . فاذا وقعت قوة من الاعداء في ايدينا تكون معرضة للموت كما مات رفاقنا .

وانتقلت وحداتنا الى المدن والشوارع ولكن العسكريين كانوا قد اختفوا من الشوارع وقبعوا في مخيماتهم . واذا تركوا معسكراتهم تركوها وهم في عداد قافلة كبيرة وحراسة الدبابات وكنا نستطيع ان نهاجمهم كما هاجمنا بعدئذ القطار الاتي من مصر ولكن تلك لم تكن سياستنا في تلك الايام العصيبة لاننا اردنا ان نرد على الجلاد بطريقته ، ولكننا لم نفلح .

وزاد اختباء رجال الجيش في مكامنهم واستمرينا نحن في الهجوم ولكننا لم نستطع ان نفي بالدين الكبير .

من هضبة « الشونة » المطلة على وادي التمساح حيث تتمركز قوة حصينة كانت قافلة سيارات تنزل ببطء . وجلس الجنود في تلك القافلة العسكرية البريطانية والسلاح بأيديهم للرد على أي اعتداء . وتقدمت القافلة سيارة جيب تحمل قائدها وهي تتجه شمالا وهكذا بدا كل شيء حسب الامر المعطى للقائد .

وعند وصولها الى الشارع الرئيسي ضاعفت القافلة سرعتها ومرت عبر الحقول والقرى ملتقية في طريقها بالقوافل المليئة بالرجال والعتاد المتجهة جنوبا . وكان رجال القافلة يتبادلون الابتسام مع رجال القوافل الاخرى ويرفعون ايديهم بالتحية لهم .

ولو سمع جنود القوافل البريطانية اسم قائد القافلة المتجهة جنوبا لما بادلوا رجالها الابتسام بل بالرصاص . لقد كان الرجال ينادون قائدهم « شمشون » حتى ان الكثيرين منهم لم يعرفوا اسمه الحقيقي وهو « دف كوهين » . ولم يكن رجال القوافل المتجهة جنوبا يعرفون « دوف كوهين » ولم يكن رجال القوافل من البريطانيين يعرفونه جيدا لانه كان فيما مضى في فرقة فدائية في الجيش البريطاني وعمل فيها بشجاعة ونشاط حتى بلغ فيها القمة . وفي افريقيا الشرقية قاد فرقة فدائية على المراكز الجبلية الايطالية واستطاع ان يدخل الجيش البريطاني الى « كيرن » .

ومن اوروبا رجع الى ارض اسرائيل مكللا بالغار والمديح . وفي اليوم الثاني استمر عمله الفدائي ووجدت فيه « الارغون » قائدا مدربا تعود على الموت . ووجد دوف كوهين مكانه عندنا . بل وجد نفسه . عندما قاد الهجوم البريطاني على « كيرن » صرخ « باسم صهيون » والان يقود وحدته من اجل صهيون وعلى ارض صهيون .

وفي هذا اليوم ٤ ايار ١٩٤٧ كان على دوف كوهين ان يقوم بأخطر عملية فدائية في حياته بل اجسر عملية في حياة جميع الفدائيين . ولم يكن آخذا رجاله الى بيروت بل الى عكا .

وعندما وصلوا عكا تفرقوا جماعات صغيرة في جميع الجهات فقد كان عليهم اعمال كثيرة في الطرق المؤدية الى عكا . لان عكا لم تكن مدينة يسكنها العرب فحسب بل محاطة بسوار من المعسكرات البريطانية . ولم تكن ثورتنا الفدائية تعمل وراء خطوط العدو بل بمواجهتها . ولم يكن الهجوم لينجح اذا لم تمنع النجدات ويؤمن خط الرجعة .

وكان « جدي » قد وضع تفصيلات الخطة التي نفذها « شمشون » بدقة . وبدأت احدى وحداتنا تمطر المعسكر القريب بقنابل « المورتر » وبدأت الوحدات الاخرى تزرع الالغام .

لقد كانت الخطة محكمة بحيث لم توضع تفاصيلها على الخريطة فحسب بل وفي نفس المنطقة . فقد صرف « جدي » و « شمشون » الساعات الطوال على تلك الارض يدرسون ظروفها ومواقعها وكانت اعين كثيرة قد درست ذلك المكان قبل الرابع من ايار . وكان البعض يظنها عيونا عربية والبعض الآخر عيونا انجليزية ولكنها كانت دائما عيون الارغون .

وتبعا للخطة المحكمة فقد استطاع رجالنا ان يضعوا حلقة داخل حلقة ... فداخل حلقة المعسكرات البريطانية استطاع رجالنا ان يقيموا حلقة من نقاط الحراسة . وهكذا طوقت عكا .

ثم انتقلت قوة شمشون الرئيسية الى القلعة التي بناها الصليبيون واحتلها الاتراك وصمدت صمودا جبارا في وجه نابليون بونابرت . لقد جاء الآن دور « شمشون » ليفتح ابوابها ويعطي الحرية لمساجينها .

وخلف الاسوار كان السجناء ينتظرون بفارغ الصبر وهم يعلمون ان الاشارة يجب ان تعطى . فلماذا التأخير ؟ لم يكن هؤلاء المساجين مجرد مساجين عاديين ينتظرون الهرب بل كان عليهم ان يقوموا بقسم كبير من عملية تحريرهم . ولم تكن السلطات تعرف شيئا . قبل اسبوع اكتشفت محاولة لبناء نفق من سجن القدس المركزي الى الخارج . واعتقدت السلطات انها قد تغلبت على « الارهابيين » . ولكن الارهابيين تمكنوا من الهرب من قلعة عكا التي لم يكن يتصور احد ان من الممكن اختراقها .

وقد عين المندوب السامي البريطاني لجنة خاصة للتحقيق في كيفية دخول السجن وكيفية هرب المساجين منه . وقد مرت ثلاث سنوات على تقديم هذه اللجنة لتقريرها الذي بعثه المندوب السامي الى لندن ولكن اليوم فقط يستطيع اعضاء اللجنة والمندوب السامي ورجال المخابرات

البريطانية ان يعرفوا ان المساجين لم يكونوا على علم بالهجوم فحسب ولكنهم اشتركوا فيه ايضا . فقد حصلوا على كمية من المتفجرات ارسلناها لهم بطرقنا الخاصة . لم يكن لديهم الكثير منها ولكن الموجود كان يكفي لنسف قضبان الحديد الثقيلة التي تفصل الممر الطويل المظلم عن فرقة الهجوم. لقد كانت المتفجرات التي لديهم كافية لنسف هذه القضبان من الداخل لكي تصل الى الممر فرقة الهجوم التي اخترقت الحائط من الخارج . اما المشاعل التي ظهرت في الساحة الكبرى فكانت طريقة احتياطية لتسهيل الهرب . وكان عمل المساجين الرئيسي هو تحطيم الباب الحديدي الهائل .

اما الانفجار الاعظم فكان خارج القلعة حيث انهارت قوة الحائط ــ التي وقفت في وجه جميع القواد ــ امام فرقة «شمشون» الهجومية . وتقدمت فرقة الهجوم الى الحائط الجنوبي وقد غطتها مراكز المراقبة الاستراتيجية . وحسب البيان الحكومي كان يحرس المكان مائة وخمسين جنديا مسلحا عدا المعسكرات القريبة المحيطة بالمدينة . وكانت ابراج القلعة العالية مليئة بالحراس بكامل اسلحتهم . وكان الهجوم في النهار لان على فرقتنا ان تؤمن الحرية التامة للمساجين قبل ساعات منع التجول في المساء حيث يقوم الجيش ببحثه الدقيق .

وتقدم رجالنا الى المكان المعين للاختراق ، وكان « جدي » قد استشار « ايتان » الذي عاد بالرغم من كونه سجينا قائدا للعمليات في هذه القضية . وقد ساعدت احدى البنايات المستعملة للاغتسال على الاقتراب من الحائط . وعمل رجالنا بسرعة ... ووضعت المتفجرات امام الحائط ، انسحب رجالنا ، واهتزت القلعة من قوة الانفجار . ومع الدخان انتشرت قطع الحجارة والحديد الى جميع النواحي . واخذت ضربات قلوب المهاجمين تزداد وهم يتساءلون اذا كانت المتفجرات قد احدثت النتائج المرجوة ام لا لأن ذلك لم يكن بالامر السهل فذلك الحائط لم يكن عاديا انما هو حائط قلعة عكا الشهيرة .

واحدثت المتفجرات مفعولها . ومع ان الثغرة التي احدثتها بالحائط

لم تكن كبيرة الا انها كانت تكفي فهناك ثغرات صغيرة تقودنا الى اوسع الابواب ... باب الحرية والانعتاق من نير الطغيان . وكانت هذه الثغرة الصغيرة فاتحة لنجاح العملية . وفي الرابع من ايار ١٩٤٧ سقط الباستيل « الثاني » بعد مائة وثماني وخمسين عاما على سقوط الباستيل الاول .

ولكن قبل ان يتمكن المساجين من الخروج كانت قد نشبت بين الجيش البريطاني ومحرريهم معركة كبيرة . واشتعلت القلعة في صراع عنيف حيث التحمت البندقية والمدفع « البرن » مع المدفع « البرن » .

لقد كان اختراق الجدار نصف العمل ، اما النصف الثاني فكان اخراج المساجين وتوصيلهم الى السيارات المنتظرة . فاشتد رجالنا في اطلاق النار على القلعة وتحت ذلك الستار تمكن عشرات المساجين من الفرار .

وارسل حرس القلعة يطلب النجدة . وكانت نقطة البوليس القريبة من المكان قد وصلتها بعض الاخبار عن « حركات مشبوهة » في الاماكن القريبة من السجن فأرسلت دورية مسلحة الى هناك . ثم اندفعت فرقة عسكرية من المعسكر القريب التي كانت الانباء قد وصلتها عن خطورة الهجوم . ومن حيفا ، على بعد خمسة عشر ميلا ، اسرعت سيارة كبيرة تحمل الجنود الى القلعة ولكن كما ذكرت السلطات البريطانية لم تستطع أي من تلك الوحدات من الوصول الى المكان او قطع طريق الرجعة عن رجالنا . فقد اوقف البوليس لغما وضعناه على الطريق ، وحطمت بعض متفجراتنا السيارة الآلية الاتية من حيفا . اما المعسكر الذي ازمع على ارسال رجاله فقد هاجمه رجالنا بقذائف «المورتر » فأفقدتهم الفوضى ارسال النجدة . وهكذا استطاعت حلقة الحماية التي وضعناها ان تصمد ضمن حلقة الجيش خصوصا وقد اقسم رجالها الا يدعوا العدو يحطمها بأي ثمن .

والظاهر ان « شمشون » اراد ان ينفذ قوله لاحد رفاقنا قبل الذهاب من انه سيعيد « ايتان » وباقي الرفاق من السجن بسلام . ولكن

الحظ الاعمى الذي لا تستطيع اية قوة انسانية التغلب عليه ، ابى الا ان ينفذ « شمشون » نصف الوعد . فقد عـاد « اتيان » مع المساجين من اعضاء « الارغون » و « شتيرن » لكن « شمشون » نفسه مع بعض رجاله لم يعودوا ابدا . ففي مساء ذلك الاحد ذهب بعض الضباط البريطانيين للاستحمام في ضواحي عكا وهم يحملون سلاحهم كالعادة . فلما سمعوا اصوات الانفجارات وصدى المعركة هرعوا الى الشارع العام واقاموا حاجز حراسة داخل حلقة حراستنا . اما المفاجأة الثانية فكانت ان بعض اعضاء نقطة الحراسة من نقاطنا الامامية لم تصلها اشارة البوق بالصعود الـى السيارة والرحيل . وهكذا بقيت ضمن خطوط الاعداء .

وقد كتب « هيومر بيجارت » في « النيويورك هيرالد ترابيون » يقول « ان الجمهور اليهودي قابل عملية عكا بلهفة واهتمام ولكن لا شك بأن قلب قائد الارغون العام مليء بالاسى والحزن على الضحايا الكثيرة التـي ذهبت فيها » ولم يخطىء بيجارت . . . بل قد يكون مخطئا لان شعوري بالحزن كان اكثر بكثير من فرحتي بالنصر .

اما ما جرى اثناء الانسحاب فيرويه احد المساجين وهو « شمولو يقتنر » من شتيرن في رسالة الى اتيان . والرسالة لا تحتاج الـى تعليق بل الى توضيح بعض الكلمات الواردة « فشمشون » هو « دوف كوهين » و « شيمون » هـو « شيمون آراي » الذي اعتقلته السلطات منذ عـام ١٩٤٤ . اما « مايك » فهـو « ميشيل اشبل » الذي انقذ مع « شيمون » من المشنقة « على خط الهجوم » . و « على خط الهجوم » قصيدة كتبها « اشبل » نفسه في غرفة موته فأصبحت انشودة الثوار المحببة . امـا الرسالة فتقول :

« اني اعرف ما في قلوبكم من لوعة واسى على ضحاياكم الكثيرة . ولكنني اجد نفسي مدفوعا للكتابة اليك عن الساعات الاخيرة لأصدقائنا الاعزاء لانني اشعر ان الكتابة عن شجاعتهم في تلك الساعات قـد يسهل الحزن والاسى الذي يخلفه فقد الاصدقاء .

لفد جابهتنا ونحن في طريقنا بعد اجتيازنا لمحطة السكة الحديدية حواجز حراسة بريطانية . وقبل ذلك ببضع ثوان رأى سائق سيارتنا «شمشون» يركض باتجاهنا على الطريق ويشير علينا بيديه بعدم التقدم . وفي الوقت الذي فهم فيه السائق معنى الاشارة كان قد وصل المنحنى . وتجنب الحاجز بسرعة وفيما هـو يحاول ضبط القيادة افلت الزمام من يده واندفعت السيارة علـى الطريـق لتصطـدم بسـور خشبي فتوقف محركهـا .

وكان صوت المدافع الخفيفة عاليا ولكننا سمعنا صراخ شمشون : « الحقوا بي ! » وقد جرح « مايك » وهو لا يزال داخل السيارة وجرح آخرون وهم يحاولون القفز الى الخلف . ولبضع دقائق ركضنا محاولين الهرب من منطقة النار ولكن كيفما اتجهنا كنا هدفا للمدافع الكثيرة المصوبة علينا . ورغم جراحنا رحنا نفتش عن مهرب فرأينا شمشون يهرع صوب سيارة عسكرية واقفة الى جانب الطريق فركضنا وراءه وقفزنا اليها . ولم يكن بها الا جنديان بلا سلاح فأمر شمشون السائق بالتحرك بينما قفـز أقلنا جراحا الى الجنديان وانزلوهما .

« وكنا قد بقينا هناك تسعة فقط . وظهر لنا اننا نجونا فقد خرجنا من منطقة النار وبدأنا نعالج الجرحى الخطرين . ولـم يكـن باستطاعتنا الاحتفاظ بالجنديان البريطانيان لاننا لم نكن نحمل السلاح وكان اكثرنا جريحا .

« ووصلنا الى سيارة « شمشون » الجيب فأمر السائق ان يتوقف. وعندما علم ان بيننا من يعرف القيادة وكان ذلك « شمش » امرنا بنقل الاسلحة والذخائر الى سيارته وترك الجنديين يركنان الى الفرار . وفي نفس الوقت بدأت القوات تقترب منا واصبحنا ضمن خط النار . وجلس « شمش » وراء عجلة القيادة ، ولكن المحرك كان معطلا فبدأ بتصليحه عندما ظهرت سيارة كبيرة متجهة نحونا . فركضنا نحوهـا بينمـا اطلق « شمشون » بعض الرصاص في الهواء وتوقفت السيارة .

« وقفز العرب من السيارة وبينهم جندي يحمل بندقية . وبدأ سائقها وهو واقف على الباب يحمل « البرن » ، فأطلق عليه « شمشون » الرصاص وخر السائق جريحا في رأسه . وفي تلك اللحظة حدثت المأساة. فعندما رأى « شمش » السائق يهوي اندفع في لهفة وسرعة الى مكانه ليقود السيارة في الوقت الذي لم يكن شمشون قد اوقف رصاص مدفعه بعد وهكذا قتل حالا . . وبقينا بلا سائق .

« وحاول احدنا ان يقود السيارة لكنه لم يستطع . وهرع شمشون الى سيارة الجيب واتخذ لنفسه حصنا وراءها واوقف القوات المتقدمة وهناك سقط » .

« ورمى احدنا نفسه على الجندي الذي رفع علينا السلاح فأوقعه على الارض واستطاع ان يقتله بالسكين . ثم تفرقنا في الحقول التي الى جانب الطريق . واستطعت وبعض الزملاء ان نبتعد اكثر من الآخرين الذين اصيبوا بجروح خطرة . ووصلنا الى حقل للذرة ولما استقليت على الارض لاراقب المكان رايت فرقة من الجنود تتجه نحونا . ولم يكن لدينا أي طريق الا الاستلقاء حيث نحن . وبعد دقائق رآنا الجنود فأطلقوا الرصاص علينا بعد ان سلمنا أنفسنا ، ولكن الرصاصات لم تصبنا . وامر الضابط رجاله الا يقتلونا فنقلونا بالسيارات بعد ان رموا الجرحى والقتلى فيها ايضا .

« وبعد ان اتممت تمييز الموتى من الجرحى امضيت الوقت الباقي في الحديث الى « شيمون » وكان يعلم انه يموت ، ولكنني كنت انكر عليه ذلك واشجعه . وبدأ « مايك » مرحا كالعادة .

وفي طريقنا الى المستشفى اخذونا الى نقطة بوليس عكا . وهناك بدأ الجرحى يموتون واحدا واحدا وكان منظرهم مرعبا » .

ومن الاسرى الخمسة حاكم البريطانيون ثلاثة فقط . وحاولنا نحن انقاذهم فاختطفنا جنديان بريطانيان من مسبح عام في « رامات جان » ولكن الوكالة اليهودية طلبت من الهاغاناه الضغط علينا لاعادة المخطوفين

مدعية اننا بعملنا هذا لا نزيد الا جلب انتباه لجنة التحقيق التي ارسلتها هيئة الامم والتي على وشك الوصول الى البلاد . ونجحوا هذه المرة وتمكن البريطانيون اكتشاف مكان الجنديين . وبعد ايام اصدرت السلطات البريطانية عفوا عن ثلاثة من اعضاء الهاغاناه الذين كان قد حكم عليهم احكاما مختلفة لحيازتهم اسلحة متنوعة .

اما شبابنا فقد حوكموا وهم « افشالوم هافيف » و « ماير نيكار » « ياكوف ويس » .

وفي السادس عشر من حزيران ١٩٤٧ خلع ثلاثة ضباط بريطانيون قبعاتهم واعلن احدهم لـ « هفيف » و « نيكار » و « ليس » : « انكم ستعدمون شنقا حتى الموت » .

وفي نفس اليوم بدأت بعثة هيئة الامم عملها في فلسطين . ولا شك ان اعلان قرار المحكمة في نفس اليوم لم يكن عفويا بل ان السلطات تعمدت ذلك لتظهر ان الاجراءات الشديدة مستمرة بالرغم من وجود بعثة للتحقيق .

وقدمنا نحن مذكرة لتلك البعثة كررنا فيها استعدادنا لتنفيذ مقررات هيئة الامم التي تدعو جميع الفرقاء الى عدم استعمال القوة . ثم قلنا ان الحكومة البريطانية يشملها قرار هيئة الامم هذا فكيف تأمر باعدام ثلاثة من شباب اليهود . ولذلك طلبنا من اللجنة التدخل لاطلاق سراح هؤلاء الشباب .

وقد علمت بعد ذلك ان المناقشات داخل تلك اللجنة كانت حامية جدا وان الدكتور « جرينادوس » من غواتيمالا والاستاذ « فبريكاه » من اوراغواي والاستاذ « بريلاج » من يوغوسلافيا بذلوا كل جهودهم لكي تتدخل اللجنة وتمنع اعدام الشباب اليهود .

وبعد خمس جلسات للجنة ارسلت البرقية التالية الى سكرتارية

هيئة الامم المتحدة .

« نظرا لاهتمام اعضاء اللجنة بالنتائج غير المرضية الممكن حدوثها في حال تنفيذ قرار المحكمة العسكرية في القدس والقاضي بالاعدام لثلاثة من شباب اليهود مما يؤثر على سير العملية التي ارسلتنا من اجلها هيئة الامم . ونظرا للاراء التي اعطاها اكثرية الاعضاء حول صلاحيات القرار الذي اتخذته هيئة الامم في الخامس عشر من ايار ، حولت اللجنة الى رئيسها ان يطلب من سكرتارية هيئة الامم نسخة عن هذا القرار ومن الرسالة التي وصلتها من اقارب المحكومين بالاعدام لكي نقدمها الى حكومة الانتداب » .

ولكننا لم نكن لنعتمد فقط على اللجنة ، خصوصا وان الحكومة البريطانية وضعت كل اهتماماتها في البرهان على ان سلطتها تعلو على سلطات اللجنة وان قرارات اللجنة ليست الا توصيات .

ولذلك وضعنا كل جهدنا في اسر الضباط البريطانيين وفتشنا عنهم في كل مكان . وفي « ناتانيا » استطاع رجالنا ان يأسروا اثنين من ضباط قسم المخابرات السرية البريطانية . فأعلنت الحكومة الاحكام العرفية في تلك المنطقة للبحث عن الاسرى . وساعدهم رجال الهاغاناه في ذلك ولكنهم هذه المرة لم يستطيعوا العثور عليهم .

وفي اليوم التالي من اعدام رفاقنا اعدمنا نحن الضابطين البريطانيين .

الإجتماعات السرّية

ان الوحدة شرط ضروري من شروط السرية . فطوال سني الثورة حرمت مـن سهرات الاهـل والاصدقاء والمعـارف . فقـد كـان قانون السرية يقضي بتجنب الاجتماعات غير الضرورية . ولذلك كان القليل من الذين اقابلهم لا يتحدثون معي الا بعمل المنظمة ، وعلاقتنا بالامم الاخرى او اي شيء يتعلق بعملنا .

وكان اخطر هذه الاجتماعات السرية ذلك الذي عقد مع ممثلي لجنة هيئة الامم التي ارسلت لتدرس قضية فلسطين . ولم نطلب نحن المقابلة بل طلبوها هم . ولكن الهيئات اليهودية كانت تدعي ان كل الاعمال التي قمنا بها قبيل وصول هذه اللجنة بقليل كان لها دافع واحد هو جلب اهتمام اعضاء اللجنة . وقد اكدت هذه الهيئات رأيها هذا بالعملية التي كنا ننوي القيام بها لنسف « دار الحمضيات » « في تل ابيب » . ولذلك اجدني مضطرا لرواية القصة الحقيقية لهذه الحادثة .

كانت « دار الحمضيات » في منطقة الحراسة البريطانية فـي تل ابيب . وكانت تضم قيادة البوليس الحربي والمدني للمنطقة المجـاورة بأكملها . ولذلك اصبحت هذه الدار تحت حراسة من البوليس والاسلاك ، شديدة .

ويقابل هذه الدار دار صغيرة تصلح لان تكون مخزنا . وفي احد ايام صيف ١٩٤٧ نادى تاجر بادي الثراء صاحب تلك الدار وعرض استئجارها ليخزن فيها البطاطا . فاتفقا وحرر العقد . واتى التاجر بسيارات الشحن المليئة . ولم ينته الحاملون وهم ينزلون الاكياس الاولى ولهذا انفرط بعضها وتدحرجت حبات البطاطا في الشارع المزدحم . وصرخ التاجر ـ الذي كان احد رجالنا ـ يزجر الحمالين لكنه سمح للناس بالتقاط البطاطا والاحتفاظ بها . ثم حملت الاكياس الباقية الى داخل الدار الصغيرة .

وبدأ العمل في الدار . فقد بدأت الاكياس تمتلىء من جديد وتعبأ في السيارات باستمرار حتى شعر الناس ان تجارة البطاطا تدر الثروات الطائلة على التجار . ولكن هذه الاكياس المعبأة لم تحتو في الحقيقة الا على تراب من ارض المخزن حيث بدأ « الحمالون » يحفرون نفقا الى « دار الحمضيات » وقد اتسم العمل ببطء وعناية حسب الخطة الموضوعة . ومضت ايام وصل رجالنا في حفرهم الى منتصف الطريق الى « دار الحمضيات » وبعد ايام يستطيعون الوصول الى هدفهم ؟

لقد قال المراسلون الصحفيون الاجانب ان الهدف كان نسف دار الحكومة انتقاما لاعدام رجالنا الثلاثة . وقد يكون هناك بعض الصحة في هذا القول الا ان سياستنا العامة لم تكن سياسة انتقام او رد عدوان وكانت خطة هذه العملية دقيقة التنظيم بعيدة النتائج . فقد قررنا ان نصل بالحفر الى اسس « دار الحمضيات » حيث نضع الغاما موقوتة قبل ثمان واربعين ساعة او اثنتان وسبعين ساعة . ثم نعود من حيث اتينا دون ان نترك اثرا للنفق وذلك بترميمه وختمه حتى لا يستطيع اكتشافه احد .

ثم نخبر الجيران في الوقت المناسب ان يتركوا دورهم لوقت قصير . اما فيما يخص البنايات المجاورة فانه اكثر ما يمكن ان يصيبها من اللغم هو تكسير النوافذ .

وكنا سننشر قبل ثماني واربعين ساعة من الانفجار ، رسالة خاصة

الى السلطات نحذرها انه في الساعة المعينة من ذلك اليـوم ستتحطم كل مراكز مناطق الحراسة ولذلك عليهم ان يتركوها حالا . وعلى الحكومة الابتدائية ان تقرر قبول الانذار او ترفضه ولكننا على يقين من انها ، بعد حادثـة فنـدق الملـك داود ستقبـل الانـذار وتتـرك جميـع مراكـز الحراسة .

صحيح ان مركزا واحدا من هذه المراكز سيتحطم في الوقت المعين ــ وهو في تل ابيب ــ ولكنه ليس هناك اي شك في ان السلطات ستخشى من الانفجارات الاخرى المنتظرة وستبتعد عن المراكز الاخرى .

وهكذا كان هدف عملية « دار الحمضيات » احـداث هـزة عنيفة تضعضع الاسس التي تقوم عليها حكومة الانتداب .

ذلك كان هدف عمليـة دار الحمضيات التـي استطاعت الهاغاناه احباطها عندما اخبرها احد رجالها عن حقيقة مخزن البطاطا فعمدت الى ارسال من رمم النفق وختمه وعرقل عملنا .

وهكذا يكون ادعاء الهيئات اليهودية بأننا لم نقم او نحاول القيام بعمليتنا هذه الا لجلب انتباه اللجنة التي ارسلتها هيئة الامم غريبا بالنسبة للاقوال التي ادليت عنا امام تلك اللجنة . فقد وصفونا بكل شيء ما عدا كوننا عنصرا هاما في الحياة اليهودية والقضية اليهودية . وقد نشر الدكتور « غرينادوس » عضو اللجنة في مذكراته المحضر الكامل للاجتماع الذي عقد بناء على طلب الهاغاناه بين خمسة منهم والقاضي « ساند ستورم » رئيس اللجنة . وفي نهايـة الجلسة سألهم القاضـي « ساند ستورم » : « هل تريدون اضافة شيء ؟ » .

اجابه المتكلم ــ الهاغاناه ــ : « ان الارهاب شيء مؤسف لا تستطيع الحكومة البريطانية ايقافه . ان الاتجاهات الارهابية دليل على ان اليهود يريدون ان يعبروا عن شعورهم القوي . ان الهاغاناه تعتقد انها تستطيع ان توقف عمليات الارهاب ، اذا سمح بالهجرة غير المقيدة والاقامة الدائمة

لليهود في فلسطين فقط » .

ولكن الادعاء ان الارغون تريد جلب انتباه اللجنة بعملية « دار الحمضيات » ينهار من اساسه اذا رجعنا الى التواريخ المتعلقة بالقضية . فالاستعداد لعملية دار الحمضيات اكتمل قبل الانباء عن وصول اللجنة ، ثم ان الاجتماع بين ممثلي اللجنة والارغون كان في ٢٦ حزيران ١٩٤٧ ، أي بعد ثمانية ايام من وصول اللجنة .

وقد توسط لعقد هذا الاجتماع « كارتر دافيد سون » مراسل « الاسوشياتدبرس » الذي قيل لي بعدئذ انه في حربنا مع العرب لم يظهر أي عطف نحونا . ولكنه اثناء ثورتنا على حكومة الانتداب ، كان ينقل اخبار عمليات « الارغون » بأمانة وتفهم حتى انه طلب منا مرة اخذه معنا ليشاهد احد العمليات ووعدناه بذلك مرارا . ثم سمحنا له بمرافقتنا في عملية سجن عكا اذا سمحت له زوجته بذلك . ولكنه رفض هذا الشرط واضطررنا ان لا نأخذه معنا لنعود فنحتاج الى خدماته لعقد الاجتماع بيننا وبين ممثلي اللجنة .

وقد اخبرنا السيد « ساند ستورم » رئيس اللجنة انه سيحضر معه الدكتور « هو » السكرتير المساعد لهيئة الامم المتحدة وسكرتير اللجنة ، فقبلنا . ثم عاد ليسألنا ، عن طريق « دافيد سون » اذا كنا نوافق على حضور الدكتور « رالف بانش » سكرتير مجلس امانة هيئة الامم المتحدة ومساعد « الدكتور هو » الايمن فقبلنا ايضا . واقترحنا بدورنا ان يحضر المندوب التشيكي السيد « لوسيكي » ايضا . فقبل الرئيس ولكنه اخبرنا بعدئذ انه لم يستطع الاتصال بالسيد « لوسيكي » في الوقت المناسب . فقد صعب عليه ذلك لانه توجب عليه وعلى مرافقيه ان يتسللوا من مكان رفاقهم الآخرين حتى يصلوا الينا سرا .

وعقد الاجتماع في منزل الشاعر « ياكوف كوهين » . وقد احضر رجالنا الضيوف يرافقهم « دافيد سون » . وقد كنا دائما نتحاشى التنظيمات المعقدة عندما نأتي بضيوف الينا . ولكننا في هذه الحالة

اضطررنا لاتخاذ احتياطات امنية . فقد كان رجال المتفجرات البريطانية يحيطون اعضاء اللجنة بحراسة شديدة بعد ان اوهموهم ان حيـــاة كـــل منهم ــ وبعض الاصدقاء لشعبنا ــ معرض للقتل والاغتيال عن طريقنا . في الحقيقة احتفـظ البريطانيـون برجالهـم حـول اعضـــاء اللجنـــة لا لحراستهم بل للتجسس عليهم ومراقبتهم .

وقد طاف رجالنا بالسيارة التي تضم ممثلي اللجنة في شوارع من تل ابيب بينما تبعتهم سيارتنا الاخرى .

وفي بيت « ياكوف كوهين » اجتمعت و « ابراهام » و « شموئيل » بهم وقدمت نفسي باسمي الحقيقي . والظاهر ان ضيوفنا كانوا مستعدين لهذا الاجتماع فقد قدم رئيس اللجنة اسئلة خطية . وقد تعجب عندما سألني اذا كنت احمل رتبة جنرال واخبرته اني لا احمل اية رتبة رسمية .

وكان ضيوفنا الثلاثة يختلفون عن بعضهم البعض . فالاول دانماركي والثاني صيني والثالث زنجي . وقد كان الرئيس « ساندستورم » رئيسا للمحاكم المختلطة في مصر فخشينا ان يأتمر بأمر بريطانيا . ولكنه ، بالرغم من عدم وقوفه معنا ، لم يقف ضدنا . اما « الدكتور هو » فهو ابن سفير الصين السابق لدى موسكو وقيل انه كفوء قدير وانـــه الـــروح الموجهة للجنة . اما الضيف الثالث وهو « الدكتور بنش » فقد اكتسب بعدئذ شهرة عالمية لتمثيله دور الوسيط بين العرب واليهود ، ولا شك انه لامع الذكاء .

واستمر الاجتماع اكثر من ثلاث ساعات فقد كان الاجتماع الاول بين ممثلي العمل السري وممثلي هيئة دولية .

وقد سأل « ساند ستورم » مرات اسئلة مركزه كسؤاله عما يمكن ان يحدث اذا هاجمنا العرب بعد جلاء الحكومة البريطانية . وكنت اعتقد ان هذه هي حجة بريطانية الرئيسية لمجابهة أي مطلب بتخليها عن فلسطين . فبينت له ان العرب لن يهاجموننا الا اذا دفعهم وساعدهم فريق ثالث . ثم اكدت

له انهم اذا حاولوا مهاجمتنا فاننا سنحطمهم . ففي هذا العصر لا يقرر العدد الكبير نتيجة الحروب انما العقول المدبرة والنفسيات هي التي تقررها .

وفي اثناء المناقشة سأل « الدكتور هو » : « لنفترض انكم اخذتم الاراضي التي على ضفتي الاردن كدولة يهودية ، واتيتم بالعدد الذي تشاؤون من المهاجرين اليهود ، ماذا ستفعلون عندها لتجابهوا تكاثر عدد السكان ؟ ان هذه الارض صغيرة قليلة الاستيعاب فماذا سيحدث بعد ثلاثماية سنة ؟ » .

فاستعملت انا السؤال ذاته لابين سخافة الفكرة التي ترمي الى اقامة دولة يهودية في قسم بسيط من ارض اسرائيل الكبيرة . ولكن « شمويل كاتز » اجاب على هذا السؤال : « ان هذه مشكلة عالمية . ماذا سيحدث في الصين نفسها بعد ثلاثماية سنة ؟ » . وغيَّر « الدكتور هو » الموضوع .

وقد كتب الدكتور بانش تقريرا مفصلا عن تلك الجلسة فيه اجوبتنا الكاملة على اسئلة اللجنة وشرحنا لاهدافنا واعمالنا . وقد جاء فيه :

« عندما سئل رئيس الارغون عن اسباب مقاومته للحكومة البريطانية وعما اذا كانت اهدافه نسف المراكز وتحطيم السجون فقط . اجاب ان العمل الذي تقوم به الارغون يتناسب مع قواتها وان البريطانيين لا يستطيعون تحطيمهم وان املهم الوحيد هو في اقامة دولة يهودية بعد جلاء الحكومة البريطانية وقال ان بريطانيا بررت في الماضي بقاءها في فلسطين بأنها تريد حماية اليهود من العرب ولكن « الجنرال داركي » قال للجنة التحقيق الانكلو اميركية انه لو ترك البريطانيون فلسطين فسيحتلها اليهود في يوم واحد ويذبحون العرب . أي انه في هذه الفترة يريد ان يحمي العرب من اليهود » .

« وبين القائد انه يعترف انه بأعماله يجلب بعض التعاسة والشقاء والالم لليهود ولكنه تساءل عما اذا كانت الحرية تؤخذ بلا ألم او عذاب او

شقاء . ثم اضاف انه وجماعته ليسوا حفنة من المجانين بل هم يكافحون ويكتسبون القوة بالرغم من الآلام التي يحدثونها لشعبهم » .

وأضاف « انــه يعتبر رجاله محاربــين شرعيين ويعتبر البريطانيين حاكمين غير شرعيين . وقال انه اذا استمر البريطانيون في قتــل رجــال الارغون فسيستمر رجال الارغون في قتل البريطانيين .

ثم بين ان منظمة « شتيرن » قد انبثقت مــن « الارغون » وبرزت كمنظمة مستقلة في سنة ١٩٤٠ على اثر خلاف نشأ في صفوف الارغون . وقد اعتقد الجميع يومها ان سبب الانفصال هو ان « ابراهام شتيرن » عضو هيئة قيادة « الارغون » وقتئذ عارض قرار الارغون بمهادنة هتلر ايام الحرب . ولكن ذلك الاعتقاد لم يكن صحيحا فقد وافق شتيرن على هذا القرار كغيره من اعضاء مجلس القيادة . ان الانفصال حدث بعد سنة من ذلك التاريخ . واضاف ان العلاقات وثيقة بين الارغون وشتيرن وان الارغون اكبر ولكنه لا يستطيع ان يقول انها اعظم من شتيرن .. » .

ولم يثبت القرار غير الرسمي الذي اتخذ في ذلك الاجتماع في التقرير المشار اليه . لقد قال الدكتور ساندستورم : « انني آسف لان بقية اعضاء اللجنة لم يجتمعوا بكم » . وقال « الدكتور هو » : « الى اللقاء في فلسطين المستقلة » . اما الدكتور بانش فقد كان اكثرهــم حماسة فبعد ان شــد على يدي قال : « انـــي استطيع ان افهمكم ... فأنــا ايضــا مــن فئة مضطهدة » .

وقد قررنا ان نترك امر الاجتماع سرا . ووعد « كاتر دافيدسون » الا يذكر شيئا عنه في جريدته . ولكن احد اعضاء اللجنة تحدث الى عضو آخر عن هذا الاجتماع في مقهى « بلز » فسمعهم بعض الصحفيين وذاع النبأ وهرع « كارتز » الى « ساندستورم » يطلب منه الاذن بنشر جميــع ما دار في الاجتماع ولكن « ساندستورم » أصر علــى الرفض وعلى اصدار تكذيب رسمي للخبر .

وفي اليوم التالي وزعنا على اعضائنا منشورا سريا اخبرناهم فيه ان

خبر الاجتماع صحيح ثم عدنا الى صمتنا .

وهاجت الحكومة البريطانية للخبر الذي اثار حولها فضيحة كبرى الى حد تعرضت فيه للاسئلة القاسية والمحرجة في البرلمان البريطاني .

الفضيحة الثانية التي احدثناها كانت عند اجتماعنا بممثلي اميركا الجنوبية في لجنة الامم المتحدة برئاسة الدكتور «جرينادوس» من غواتيمالا والاستاذ « فبريكان » من اورغواي .

وقد كان جو هذا الاجتماع حماسيا جـدا لان العضوين الضيفين اعتبرا انفسهما رفاقا لنا في السلاح ، وحدثانـا في اول الاجتمـاع عـن جهادهم السري فـي بلادهم وعـن ايـام نفيهـم وتشريدهم وقـد كـان « جرينادوس » يعطف علينا اولا لنضالنا وثانيا لمحاربتنا للانجليز الذي يكرههم . واظهر « فبريكان » ايضا عطفه على قضيتنا .

عقد الاجتماع في بيت « اسرايل واكس » وقد احضر احد رجالنا الضيوف بعد ان اتخذ الاحتياطات الضرورية . وقد سادت الاجتماع روح التآلف وتحدث « جرينادوس » عن زميله وعن نفسه بينما تكلم « شمويل كاتز » في اكثر الاحيان عنا وذلك لتمكنه من اللغة الانكليزية .

وحدث بيننا وبين « جرينادوس » جدل سياسي حاولت فيه ان اقنعه ان لا يطالب فقط بجلاء البريطانيين وباقامة دولة يهودية فـي ارض اسرائيل كلها . ومما قلته : « ان البريطانيين والعرب لهم من يتبنى آراءهم في اللجنة ، امـا نحن فليس لنا احد ، فأنتما مـن اصدقائنا ، وعليكما ان تواجها المطلب البريطاني بجعل فلسطين انكليزيـة والطلب العربي بجعـل فلسطين عربية ، بطلب معارض بأن تكون فلسطين يهودية » .

ولم يعد « جرينادوس » بشيء . بل قال : « انه يعتقد ان اكثرية اللجنة ستقترح انهاء الحكم البريطاني في فلسطـين وعليهم ان يحسبـوا

حساب عرب فلسطين كذلك » . ثم اردف يبتسم : « اننا لا نستطيع ان نكون اكثر تطرفا من شرتوك الذي اعلن قبوله للتقسيم » .

وحاولنا اقناعــه ان الوكالة اليهودية لا يمكن ان تعارض قرارا يعطي اليهود فلسطين بأكملها . ولكن محاولاتنا ذهبت ادراج الرياح .

وعندما انتهى الاجتماع تصافحنا بحرارة كأعضاء عــائلة واحدة . وسألني « جرينادوس » وهم يخرجون : « هل تسمح باخباري مــع مــن كنت اتحــدث في هــذا الاجتمــاع لاننا نريد ان نتأكد مــن اننــا قابلنــا اشخاصا مسؤولين في الارغون ؟ » .

وكان محقا فلم نقل له شيئا فيما يتعلق بالاسماء عند ابتداء الجلسة لاننا اعتقدنا ان مبعوثنا الذي قادهم الينا كان قد اخبرهم انني سأكون موجودا . والظاهر ان المبعوث تمسك بقوانين العمل السري تمسكا شديدا فلم يعرف الضيوف طوال الجلسة مع من كانوا يتحدثون .

ولم اجد اي سبب لاخفاء الحقيقة عــن الرجلين الضيفين . فقلت لهمــا : لــن اخبركمــا عــن اسماء زملائي لانهــا لــن تعنــي لكما شيئا اما انا فاسمي معروف ولذلك لن اخفي اسمي عنكما . وعندما قلت لهما اسمي تراجع « جرينادوس » الى الوراء وصرخ : « اذن .. انت هــو الرجل » . فابتسمت اما « فبريكان » فلم يبتسم بل وضع يده حول كتفي وقال شيئا بالاسبانية .

وبعد كثير من تبادل التحيات والعبارات اللطيفة قــاد احد رجالنا الضيفين الى حيث أرادا .



طريق النصر

في فترة اقصر بكثير مما توقع اكثرنا تفاؤلا نجحنا في تحطيم نظام الاحتلال البريطاني او افلاس الحكم البريطاني في فلسطين . اما ذلك التغيير التاريخي للحوادث فلم يكن نتيجة لعملية معينة بل نتيجة لسلسلة من الجهود والعمليات السرية .

وفي هذه الخلاصة لن احاول ان احلل الموضوع ، بل سأترك الوثائق، وخصوصا الوثائق البريطانية، تتحدث عن نفسها . فهي تشرح ببلاغة كيف حاولت بريطانيا ، في الدور الاخير من الثورة ، ان تنقذ ما تبقى لها في فلسطين وكيف استطاعت ثورة اليهود ان تقود هذه المحاولات الى الفشل .

وبعد اقتراح النظام الفدرالي ــ مشروع موريسون ــ الذي رفضه العرب واليهود معا قدم بيفن مشروعا جديدا لحل قضية فلسطين في العاشر من كانون الثاني سنة ١٩٤٧ اثناء انعقاد المؤتمر الثلاثي عن فلسطين في لندن .

اقترح بيفن ان تقسم البلاد الى مناطق عديدة لها سيادتها الداخلية الكاملة تحت اشراف حكومة مركزية . وتكون مدة الانتقال خمس سنوات . ويسمح لمائة الف يهودي بالدخول الى المناطق اليهودية لمدة سنتين .

وتكون « الكوتا » الشهرية لتذاكر المهاجرين حوالي اربعة آلاف ، وبذلك تكون الهجرة تحت اشراف المندوب السامي البريطاني .

وقد رفض العرب هذا المشروع كما رفضوا « مشروع موريسون » السابق ، بلا تحفظ فلم يوافقوا على أية هجرة يهودية او على أي تقسيم لفلسطين لانهم ارادوا فلسطين عربية مستقلة . ورفضت الوكالة اليهودية هذا المشروع ايضا . وبما ان بريطانيا فشلت في كسب موافقة «الجانبين» على اقتراح « الجانب الثالث » فقد فشل المؤتمر .

وقد قيل لنا ان الوكالة اليهودية لم ترفض المشروع مبدئيا ، بل أصرت على ان يعطى لها حق توزيع بطاقات الهجرة وبذلك كانت مستعدة لقبول مشروع التقسيم تحت الاشراف البريطاني .

وقد اوضح « شرتوك » في مؤتمر صحفي ان الوكالة اليهودية طلبت اولا منطقة يهودية كافية مع سيادتها الكاملة . وثانيا الهجرة الى تلك المنطقة . وثالثا الاعتراف بهذا الاستقلال اليهودي ولو في جزء من ارض اسرائيل . لم يوضح « شرتوك » ما عني « بالمنطقة الكافية » بينما وضح تماما ما يعني « بالسيادة اليهودية التامة » . والشرط الثاني كان ان يوافق على الهجرة الى المنطقة اليهودية . فاذا كانت السيادة اليهودية تامة لماذا يريد الموافقة البريطانية على الهجرة ؟

اما « موريسون » فقال « ان مشروعه يرمي الى ان يتطور التقسيم نهائيا فتصبح هناك دولة عربية ودولة يهودية » .

وقد انقذنا عناد اعدائنا . فقد صمم بيفن على عدم اعطاء الاربعة آلاف بطاقة للمهاجرين شهريا ، وقال العرب ببساطة : « ان هذه كلها لنا ... وحتى تل ابيب . ولولا هذا العناد العربي والبريطاني ـ او الانكلو عربي ـ لكنا الآن نعيش في جحيم التقسيم .

في ١٤ شباط ١٩٤٧ انتهى مؤتمر لندن . واخبر بيفن العرب

انه بما ان المؤتمر لم يصل الى أية نتيجة فسترفع قضية فلسطين الى هيئة الامم .

وألقى بيفن خطبة طويلة في مجلس العموم عن رفض العرب واليهود للمشروع البريطاني وعن عزم الحكومة على رفع القضية الى مجلس الامن في ايلول المقبل . وطلب الى جميع الفئات ان تخلد الى الصمت بانتظار قرار هيئة الامم المتحدة . واعلن ان الهجرة اليهودية ستستمر بمعدل الف وخمسمائة مهاجر في الشهر .

وقام ونستون تشرشل ليحتج على هذا التأخير متسائلا اذا كان ذلك يعني ان تحمل بريطانيا عبء المحافظة على مئة الف جندي في فلسطين يكلفونها من ثلاثين الى اربعين مليونا من الجنيهات .

وقال « ريتشارد كروسمان » انه يعتقد ان القرار في هذه القضية لن يتخذ قبل سنتين .

وفهم الجميع ان « بيفن » يريد كسب الوقت . وفي ٢٥ شباط اعلن وزير المستعمرات ان رفع القضية الى هيئة الامم لا يعني تسليمها ، بل يعني استشارتها في كيفية ادارة البلاد المنتدبة .

ولكن في اول آذار حطمت « الارغون » حسابات « بيفن » بموجة قوية عميقة واسعة من الهجمات . ففي القدس اخترقنا منطقة حراسة الجيش البريطاني ونسفنا نادي الضباط المحاط بالحرس والاسلاك الشائكة . وقد اصطدم رجالنا بدورية بريطانية مسلحة انتصروا عليها محدثين للانكليز خسائر فادحة .

وبعد ساعات ، في مساء ذلك السبت ، قامت فرقة هجومنا بحوالي عشر هجمات في البلاد بما في ذلك الهجوم على معسكر البحرية في حيفا ومعسكرات الجيش في بيت ليلا ، باردس ،ورحبوت والطرقات العسكرية

في طولكرم ، وبتاح تكفا ، وكفار سركين وكريكت حايم . وفي يوم الاحد استمرينا في هذه العمليات التي كانت جميعها ناجحة .

وكان لهذه الهجمات صداها المرجو في الخارج . فصدرت الصحف تتحدث عن الاثر الرائع الذي تركته في الدوائر الرسمية في لندن . وكتبت « الصانداي اكسبرس » تقول : « ان على بريطانيا ان تخرج من فلسطين وتبقى بعيدة عنها » .

وبعد اربع وعشرين ساعة من هجماتنا اعلنت الحكومة الاحكام العرفية . ونفذت الخطة التي قالت السلطات ان الفيلد مارشال مونتغمري وضعها . اما الخطوط الرئيسية لهذه الخطة فكانت :

١ ـ توضع المنطقة المتعلقة بالحادث تحت اشراف الجيش ويصبح الضابط الفرعي للمنطقة حاكما عسكريا لها .

٢ ـ تتوقف خدمات الحكومة للجمهور وتغلق المكاتب .

٣ ـ تلغى المحاكم المدنية .

٤ ـ يعقد مجلس عسكري بأمر الحاكم العسكري .

٥ ـ يعطى للحاكم العسكري حق اغلاق البنوك .

٦ ـ يحدد الاستعمال الهاتفي لفئة ضئيلة يوافق عليها الحاكم العسكري .

٧ ـ يحق للحاكم العسكري مصادرة الاموال والاراضي.

٨ ـ يحق لأي جندي ان يعتقل أي كان .

٩ ـ لا يسمح للسيارات ان تمر عبر المناطق الا باذن خاص .

وقد عقدت جلسة حامية من مجلس العموم على اثر الاعلان عن هذه الخطة وتصف وكالة رويتر هذه الحادثة قائلة :

« وصرح ونستون تشرشل بغضب طالبا ان يعرف حالا الوقت الذي ستستمر فيه هذه الحالة القريبة الى حالة الحرب في فلسطين حتى

يتخذوا قرارا حاسما في الموضوع » .

واجاب « كريتس جونز » : « ان الحكومة تدرك خطورة الحالة وانها ستتخذ كل الاجراءات لتنهي هذه الحالة المؤسفة بأسرع ما يمكن » .

ولم يقتنع تشرشل بهذا الجواب . بل استمر يصرخ متسائلا حتى متى ستستمر هذه الحالة واذا كان من الممكن تعجيل رفع هذه القضية الى هيئة الامم . فأجاب « كريتس جونز » ان الحكومة تدرك اهمية الاسراع بعرض القضية وان الخطوات اللازمة قد اتخذت للنظر في امكانية الاسراع في القضية .

ولم يكتف تشرشل بذلك بـل استمر يسأل : « متـى تستطيعون اعلامنا نتيجة هذا الاتصال بهيئة الامم للتعجيل بعرض القضية ؟ » .

واجاب « كريتس جونز » اننا لا ندري تماما الآن ولكننا مـع اتصال دائم بنيويورك وقد نعلن شيئا عن هذه القضية بعد حوالي اسبوع »

وهكذا بدا واضحا ان هجمات الارغون المدروسة التي نفذت في اول آب ١٩٤٧ حركت عجلة السياسة البريطانية والدولية وبدأت الصحف البريطانية تطالب بالتعجيل في رفع الامر الى هيئة الامم . وفي الرابع من آذار اعلن في لندن ان الحكومة بعثت برسالة مستعجلة الى «تريجفي لي» تقترح فيها انشاء لجنة خاصة لدرس قضية فلسطين قبل الخريف المقبل الذي تعقد فيه هيئة الامم اجتماعها .

ولم يدع تشرشل الحكومة تستريح . وحتى في مناقشة قضية الهند اثار قضية فلسطين ولاحق بها الحكومة .

وفي نفس الوقت استمرت حكومة الانتداب في محاولة انقاذ سمعتها . واستمر الحكم العرفي في القدس ، بتاح تكفا ، تل ابيب لمدة خمسة عشر يوما . وكانت الحكومة تهدف بعملها هذا الوصول الى « هدف اقصى »

و « هدف ادنى » . اما الهدف الاقصى فهو أن ترى زعماء العمل السري معلقين على اعواد المشانق وجنودهم معلقين في اللطرون . اما الهدف الادنى فكان ان يثبتوا انهم بأعمالهم هذه سيشلون العمل السري .

ولذلك صممنا على ان لا ندعهم يصلون الى الهدف الاقصى ولا الى الادنى .

واستمرينا في تلك الفترة بالذات نقوم بالتعاون مع جماعة شتيرن ، بالهجوم تلو الهجوم . ولم يتحدث « البريجادير دافيز » وحده عن هجومنا على معسكر « مشنللر » بل وصفت الهجمات ايضا جميع الصحف البريطانية والاميركية .

ولم نكن نسمح لرجالنا في تلك الايام العصيبة وبعد اية عملية ان يعودوا الى بيوتهم . بل نطلب منهم ان يتفرقوا جماعات صغيرة في الحقول والغابات والبيارات ويهاجموا العدو في الاماكن التي لا يتوقعها. ولذلك شعرنا بلذة الانتصار عندما عادت السلطات الى رفع الاحكام العرفية .

لقد اعقب طلب بريطانيا من « تريجفي لي » التعجيل بقضية فلسطين محادثات دبلوماسية طويلة بين لندن وواشنطن ، لايك ساكس ، موسكو ، باريس ، وشانكنج . وعارضت روسيا ، ومصر وبعض الدول الاخرى ، التعيين الاعتباطي للجنة التحقيق واصرت على عقد جلسة خاصة لهيئة الامم لبحث هذه القضية العاجلة . وفي اوائل نيسان ارسل «تريجفي لي» رسالة بريطانيا الى جميع الدول الاعضاء في الامم المتحدة . وكانت الاجابات سريعة واعلن ان هيئة الامم المتحدة ستبحث قضية ارض اسرائيل في جلسة خاصة يوم ٢٨ نيسان ١٩٤٧ بدلا من الجلسة العادية في ايلول .

على عتبة التاريخ

فلنقف هنا لحظة لأننا على عتبة نقطة تحول في تاريخ ارض اسرائيل .

لقد كان قول « بيفن » انه لا يرى ان هيئة الامم تستطيع بحث الامن قبل ايلول مناورة لكسب الوقت الذي يستطيع ان يتصل فيه بالدول الاخرى كأميركا وفرنسا . والاكثر من ذلك هو ان العرب يستطيعون في هذا الوقت ان يتسلحوا ويقووا أنفسهم عددا وعتادا . فماذا يكون عندئذ في حالة هجومهم ؟

وقد يقال ان اليهود في تلك الفترة يستطيعون ان يزيدوا من تسليحهم ايضا ، ولكنني أظن ان لا اسس متينة لهذا الاعتقاد . فقد بقي زعماء اليهود يعتقدون حتى اللحظة الاخيرة ان القضية ستحل بسلام وان بريطانيا ستكون في صفنا . وحتى في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ عندما كانت الاشتباكات ملتهبة بين العرب واليهود قال لي احد اركان الوكالة اليهودية: « لسنا متأكدين للآن اذا كانت بريطانيا معنا ... ام ضدنا » وفي ٢٢ ايار سنة ١٩٤٧ خطب بن غوريون مطالبا باقامة دولة يهودية في الجزء الغربي من فلسطين أي انه يريد ان يترك الباقي من ارض اسرائيل لحكومة الانتداب . وكان زعماء اليهود هؤلاء يدعون ان هيئة قوية ستنبثق من هيئة الامم لتنفذ ولو بالقوة قرار الهيئة بالتقسيم .

وهكذا نرى ان اليهود لم يكونوا ليستفيدوا من فترة الوقت هذه بسبب احلام زعمائهم الفاشلة . بل كـان العرب هم الذين سيستفيدون كما فعلوا من تسليح الانكليز لهم في عمان وبغداد ودمشق وبيروت .

* * *

ما هي الحجة التي يستند اليها الممثلون البريطانيون عندما تبحث قضية فلسطين في هيئة الامم يوم ٢٨ نيسان ؟ .

لقد كانت الحكومة في حالة استسلام صريح « للارهابيين » ، واراد « بيفن » ان يبحث الموضوع في ايلول واصرت « الارغون » ان يبحث في نيسان . لقد فرض « مونتغمري » الحكم العرفي فتغلبنا على «مونتغمري» ورجاله . لقد اصبحت حكومة فلسطين سرية وراح الناس يتساءلون بلغاتهم المختلفة : أي نوع من الحكومة هذه ؟ . . كيف تستطيع ان تحافظ على فلسطين ؟ »

وماذا قال « كريستن جونز نفسه » ؟

لقد قال لمجلس العموم البريطاني عند رفع الحكم العرفي عن فلسطين : « لم نكن نتوقع ان نضع حدا للارهاب » .

وعندما خسرت الحكومة المعركة قررت ان تستعمل المشانق فأعدموا في صباح ١٧ نيسان ١٩٤٧ اربعة من شبابنا . وقد اسرعت الحكومة بهذا العمل لانه لم يعد لديها متسع من الوقت . لقد ارادت بريطانيا ان تثبت بعملها هذا انها لا تزال قوية في فلسطين لان قوة السلطات البريطانية يجب ان تضيء المسرح الذي ستجري عليه اعمال هيئة الامم . على كل حال ، ليس من ضبط الوقت اعدام اربعة رجال اثناء انعقاد الجلسة نفسها .

وهكذا عندما تنعقد الجلسة بعد عشرة ايام لن يقول احد ان بريطانيا

استسلمت للارهابيين . ولم يكن هؤلاء الاربعة هم الوحيدين فقد تقرر ان يتبعهم في ٢٥ نيسان اثنان آخران . لقد قامت المشانق لكي تتحقق « السلطة الثابتة القوية » .

ولكن في ٤ ايار في الوقت الذي كانت هيئة الامم تبحث عما اذا كان من الممكن دعوة عضو يهودي ام لا ، عرقلنا خطط بيفن بهجومنا على قلعة سجن عكا .

وقد اجمعت الصحف الداخلية والدولية ان هجومنا على هذه القلعة كان ضربة قاصمة للهيبة البريطانية بعد اعدام الشباب اليهود الرامي الى اظهار الحكومة بمظهر القوي الثابت المهاب ، وفي ٦ ايار قال مراسل « هآرتس » في هيئة الامم : ان هجومنا على قلعة عكا احدث دويا هائلا في هيئة الامم .

وفي الرابع من تموز اثبت مصدر بريطاني افلاس الحكم البريطاني في فلسطين . ففي ذلك اليوم نشر تقرير المندوب السامي عن الهجوم على سجن عكا . فقد قال الجنرال « كاننغهام » :

« لن تستطيع القوات الكثيرة ان تؤمن سلامة الابنية والجسور وطرق المواصلات وغيرها . ان الدفاع القائم في أي وقت وفي أي مكان عن هذه الامكنة كلها لن يفيدنا في الواقع بشيء .

« ان وضع المتفجرات تحت الحائط والانسحاب تحت ستار الدخان خطة المانية نجح تنفيذها منذ سنة ١٩٤٠ ضد حصون اوروبا . ويستطيع اليهود ان يستعملوا هذه الطريقة بل ويستطيعون ان يكونوا اكثر نجاحا في حمى سكانها اليهود وفي عدم تمييز الارهابيين عنهم .

« وكما اوضحت سابقا ، ان قلم المخابرات يعمل تحت ظروف صعبة في فلسطين . وانا لا استطيع ان اقول ان قلم مخابراتنا قد فشل في فلسطين او اقارن الحالة اليوم بحالة البنغال منذ ثلاثين سنة . انما يجب

التفكير دائمـا ان الارهابيين اليهود في فلسطين قـد تدربوا على اعمـال المقاومة التي قامت في اوروبا اثناء الحرب العالمية الثانية » .

ومرة اخرى عادت الحكومة لتثبت قوتها وهيبتها التـي اصبحت قريبة من الصفر . فقد اعلن عن اعدام ثلاثة من رجالنا الذين اشتركوا في الهجوم على قلعة عكا . لقد اراد بيفن التأكيد ان هيبة حكومته لا تـزال قائمة .

ولكن الصوت في هذه المرة انبثق من لندن . لقد بدأ البريطانيون انفسهم يصرخون في وجه حكومتهم : « اخرجي من فلسطين » .

وفي هذا الجو ذهب ممثلو بريطانيا الى هيئة الامم وكانت الاصوات التي رافقت « كريتس جونز » عند سفره تردد « لتخرج من فلسطين » .

وفي ١٢ ايلول اعلن وزير المستعمرات البريطاني انه اذا لم تتوصل هيئة الامم الى قرار يرضى الجانبين ـ العرب واليهود ـ فان بريطانيا تجد نفسها مضطرة للجلاء عن فلسطين . وقالت الصحف يومها ان الشعب البريطاني تلقى هذا الخبر بالارتياح .

وكان هذا الاعلان مناورة جديدة تريد بريطانيا منهـا ان تؤثر على اميركا وعلى العرب واليهود . ولكن المناورة فشلت لتبقى كلمة « الجلاء » في الاذهان . ان القانونيين يعرفون مبدأ « قانون الحياة » في التشريـع . اذ ان كل قانون هو نتيجة لتفكير وجهد فرد . ولكن ما ان يصدر القـانون ويسري حتى ينقطع وينفصل عن صاحبه كمـا ينفصل الرجل الناضج عن والديه ، اذ يبدأ القانون في حياة خاصة به وقـد تكـون نتائجه في بعض الاحيان مخالفة للهدف الذي وضعه صاحبه .

ان هذا القانون بالذات يسري على التصريحات التاريخية السياسية . فمع كونها موضوعة لتخدم اهدافا معينة ، الا انها قد تحرك قوى كامنة خفية لم يكن قائلوها قد فكروا بهـا . وفي تقرير الجلاء عـن فلسطين كان

لبريطانيا اهداف كثيرة الا ان كلمة « الجلاء » نفسها بدأت تأخذ طابعا حياتيا منفصلا ، ولن يستطيعوا التراجع عنه بعد الآن .

وعم الفرح الجنود البريطانيين لدى سماعهم اخبار الجلاء كما فعل مثلهم الشعب البريطاني . وتابعت وزارة الخارجية مناوراتها مدعية ان حكومة اميركا قد غيرت رأيها عدة مرات ثم طلبوا جلسة ثانية لهيئة الامم اقترحوا فيها ان تكون بريطانيا الوصية .

ولكن هذه المناورات لم تنقذ بريطانيا من الحالة التي وقعت فيها . لقد ادركت انها مهما اختلفت اسماء نظم حكمها فاننا سنقاومها بكل قوة وستبقى الدائرة المفرغة على ما هي عليه ، ولم يكن هناك أي مشروع جديد لتوطيد الهيبة البريطانية .

وفي ١٥ ايار سنة ١٩٤٨ صعد المندوب السامي البريطاني الى ظهر سفينة حربية بينما أدت له فرقة من الجيش التحية العسكرية ، وغادر البلاد .

لقد انتصرت الثورة ! .



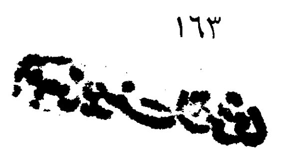
خطر جديد

انعقاد هيئة الامم المتحدة في خريف سنة ١٩٤٧ دفعنا لتحذير شعبنا من الخطة السرية الرامية الى الضغط على العرب لمهاجمة اليهود . ففي ذلك الوقت مال معظم اليهود الى الاعتقاد ان التقسيم سينفذ بسلام وان هيئة الامم ستنفذه بالقوة اذا اقتضت الضرورة ذلك .

ولكننا كنا نعرف الاخطاء الجسيمة لهذا التفاؤل الساذج . فلم نكن نؤمن بحسن نية الحكومة البريطانية ولا بجيوش المستر « ترتجفيلي » . فعاشا في مخيلة الكثيرين من الرسميين وغير الرسميين اليهود فأديا الى نتائج مؤسفة .

وفي تلك الفترة يصعب على المرء فهم سبب ايمان الناس بهذين السرابين (نية الحكومة وجيوش ترتجفيلي) . ولكن العجب لا يغير الحقيقة . والحقيقة هي اننا حاولنا جهدنا، وبجميع الطرق، ان ندل الناس على الطريق الصحيح . ولا استطيع ان اجزم اننا فشلنا في هذا العمل، ولكنني لا استطيع ان أقول اننا نجحنا فيه ايضا . ولم يغير هذا الايمان الضائع الا الحوادث المرة التي اوضحت نظرة الناس الى الافق الذي بدأت حمرته تصطبغ بالنار والدم .

في اول تشرين الاول ١٩٤٧ وفي « صوت صهيون المحاربة » ــ اذاعة العمل السري ــ بحثنا التصريح البريطاني بالجلاء وبامكانية وضع المنطقة تحت ادارة دولية فقلنا :



« ان بريطانيا تعلم انه ليس لدى هيئة الامم المتحدة اية قوة عسكرية وان اقصى ما تستطيع الهيئة العاملة فعله هو توصية باقامة نظام دولي يحرسه بوليس دولي . . . ولكن هناك أثر واحد يجب ان نتذكره ، وان روسيا لن تمنع من المشاركة في هذه القوة الدولية . لقد منعت روسيا من الاشتراك في لجنة هيئة الامم الخاصة السابقة بعملية « كامو فلاج » بحيث تقرر ان لا تشترك اية من الدول الكبرى في تلك اللجنة . وبكلمة اخرى لا يمكن قيام قوة دولية بدون اشتراك روسيا ، ولن تؤلف الولايات المتحدة قوة دولية لا تشترك فيها روسيا . . . » .

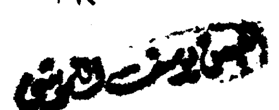
وفي ١٢ تشرين اول ارتفع صوتنا المحذر مرة ثانية من الاذاعة السرية .

« ان اللعبة البريطانية واضحة حتى ليكاد يراها الجميع . . . وحتى اليوم يريد منا اعداؤنا ان نقبل خطة بيفن . . . ان جيش الاحتلال سيجلو عن المناطق القريبة من حدود الدول العربية لكي تسمح لعصابات « كويسلبنج » ان تقوي اليد الحديدية ضد شعبنا بينما يستمر الحصار البحري » .

وفي ١٦ تشرين اول عدنا الى قرع ناقوس الخطر ، وكان ذلك قبل ان تقرر هيئة الامم التقسيم :

« ان بين الجماهير ثلاث نزعات خلقها زعماؤهم : الاولى هو الاعتقاد بأن التقسيم ، اذا أقر من قبل ثلثي اعضاء هيئة الامم ، سينفذ بهدوء وسلام . والثانية هي الاعتقاد بأنه اذا احدث عملاء الانكليز حربا ضدنا على اثر قرار التقسيم فان لجنة هيئة الامم التي تتمركز في القدس ستوقفهم عند حدهم . والثالثة هي الاعتقاد انه اذا لم يستطع ممثلو هيئة الامم ان يكونوا ملائكة سلام فان مجلس الامن سيوقف الحرب بأمر يصدره .

« ان هذه الاتجاهات خطرة جدا . وهذا التفاؤل الرسمي لا اساس له من الحقيقة . فهناك الخوف الاكبر من انه اذا نمنا على هذا التفاؤل



فسيأتي اليوم الفاصل الذي نقف فيه عاجزين بلا استعداد من النواحي النفسية والتنظيمية والعسكرية .

« لذلك يجب ان ننسى هذه الاحلام ونفهم الشعب الحقيقة . لان على الشعب ان يعد نفسه للحرب والمعارك والتضحيات بدلا من الاحتفالات والفنائم فليعلم الجميع ان مشروع التقسيم ليس مشروعا للسلام . فان تلك المستنقعات ، التي ستكون لنا في التقسيم ، داخل ارضنا لن نستطيع اخذها الا وسط لهب النيران وانهار الدماء » .

وفي ٢٧ تشرين الثاني فصلنا مرة اخرى خطة الحكومة البريطانية فقلنا :

« ١ ـ سيستمر الحصار البحري .

٢ ـ سيمنع دخول المهاجرين او الاسلحة الحربية .

٣ ـ ستفتح الحدود حتى يتدفق المتطوعون العرب بسلاحهم البريطاني الى فلسطين ليهاجموا قرانا ومدننا .

٤ ـ يستمر جيش الاحتلال في المحافظة على المناطق الستراتيجية حتى يمنع اليهود من اخذها » .

وفي ٢٩ تشرين الثاني سنة ١٩٤٧ أقرت الجمعية العامة لهيئة الامم الاقتراح الرامي الى انشاء دولة يهودية ودولة عربية في ارض اسرائيل على ان تندمج الدولتان في وحدة اقتصادية وتنفصلان عن « القدس الدولية » وفرح شعبنا فرحا كبيرا ولكننا ذكرناهم ان ارضنا تدمج وتعتصر وان الحرب لا بد قادمة :

« ان التقسيم عمل غير قانوني ولن نعترف به ابدا . اما امضاء الزعماء والشخصيات اليهودية على القرار فلا أهمية له عندنا لانه لن يفيد الشعب اليهودي . ان القدس كانت وستكون عاصمة ارض اسرائيل . ان ارض اسرائيل سترجع الى شعب اسرائيل .. كلها .. والى الابد » .

ثم أكملنا شرح وجهة نظرنا :

« ان التقسيم لـن يضمن السلام في ارضنا فمن وجهة نظـر العرب هناك امكانيتان : فأما ان يصمموا على تحطيم الحكم اليهودي ويحطموه ، او ان لا يفعلوا شيئا من ذلك . ففي الحالة الاولى سيحاربون حتى الدولة اليهودية الصغيرة المعطاة الينا بالتقسيم .

اما في الحالة الثانية فلن يحاربوا الحكم اليهودي ولو امتد الى كل ارض اسرائيل .

ولكننا نجزم انه في حال وقوع حرب ـ وبريطانيا مصممة ـ على ان ترى ذلك ـ فانها ستكون في سبيل حياتها ومستقبلها . وفي تلك الحرب ستتوحد جميع القوى اليهودية . ان تلك الحرب ستغير كل شيء » .

وفي تلك الليلة وزعنا منشورا الى جميع اعضاء الارغون قلنا فيه انه بالرغم من تهليل الشعب للنتيجة الفاشلة يجب ان ننتصب لنقول له ان دولتنا لم تقم بـل مسخت وان اقامة دولة اليهـود الكبرى في كـل ارض اسرائيل انما هو حلم الجيل اليهودي الطالع .

لقد زاد قرار هيئة الامم بالتقسيم التفاؤل في صدر اليهود . فبالرغم من ان العرب قاموا في اليوم التالي بهجمات عنيفة علينا بقي انذار الارغون بالحرب صوتا ضائعا .

وفي كانون الاول سنة ١٩٤٧ اخبرنا زعماء الوكالة اليهودية انهـم يعتقدون ان احد المرافىء سيفتح حسب توصيات هيئة الامم . ليمكننا من ادخال جميع المهاجرين والاسلحة التـي نريدها وافهمناهم ان فتـح هذا المرفأ يعني مساعدة بريطانيا المباشرة لنا مع ان بريطانيا لا تريد ان تساعدنا ابدا ولكنهم لم يقتنعوا وكانت النتيجة ان ضاعت علينـا فرص كثـيرة في كانون اول وكانون ثاني لجلب الاسلحة والذخيرة التي كان مـن السهـل الحصول عليها .

وفي اوائل كانون الاول اصدرنا اهم منشور اصدرته « الارغون » وتحت عنوان « اننا نحذر » قلنا :

« ان الخطـر الاكبر الـذي ينتظرنا هـو الا نـدرك ان هنـاك خطراً ينتظرنا . ان الشعب يجب ان يدرك الحقيقة لانه بادراكه هذا يستطيع ان يمنع الكارثة .

« ان الحصار البحري سيستمر خمسة اشهر اخرى تمنـع فيها جميع النجدات اليهودية بينما يذبح اليهود . وتستمر هذه الحالة حتـى الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ عندما تجلو القوات البريطانية وتسقط معها مراكز الحدود بين العرب . ولن يحمي الحدود أي حرس من اليهود لان قرار التقسيم يعطي للعرب المناطق القريبة منها . وعبـر تلـك الحدود سيتدفق آلاف القتلة حاملين السلاح البريطاني .

« علينا اذن ان نستعد . وبدلا مـن ان ندافـع يجب ان نهاجم ، نهاجم مراكز القتلة . اما الخطة التي يجب ان نضعها فلن تكون محلية محدودة بل واسعة الاستراتيجية حتى نستطيع ان نـرد الاعتداء ونعد لظهـور جيش التحرير اليهـودي . يجب ان نستعد في الخارج ونحضر القوائم التي تحتوي على اسماء المحاربين المدربين .

« كل هذه سيكون بها جيش موحد . علينا كلنا ان نواجه الخطر . ان التضحيات ستكون كثيرة والثمن كبيرا ولكننا اذا عرفنـا مـا يجب عمله استطعنا ان نحطم العدو » .

واتبعنا القول بالقول . فبعد اسبوعين من الهجمات العربية قـامت الارغون بأول هجوم مضاد للقوات اليهودية . ومن ١١ الى ١٣ كانون الاول هاجمت وحداتنا مراكز القتلة في حيفا ويافا والطيرة والياجور ، وهاجمنا القدس مرة بعد اخرى . ثم انتقلنا الى قرية « شعفا » على طريق الجامعة العبرية فاخترقنا « اليهودية » وهاجمنا مركزا لعصابات القتلة . وكانت خسائر العدو من القتلى والجرحى فادحة .

ومما لا شك فيه ان الهجوم هو الدفاع الوحيد الفعال . لقد برهن « خط ماجينو » ذلك اكثر من جميع الكتب العسكرية في العالم . وقد أدى هجومنا المضاد الى رفع معنويات اليهود والى تراجع نسبي عند العرب والى تعليم المراقبين الاجانب الا يحكموا قبل الاوان على « الضعف اليهودي » .

واحدث عملنا هذا تفسيرا أساسيا في اتجاه اليهود وقد انتقلت جميع القوى اليهودية من الدفاع الى الهجوم وحتى « بن غوريون » نفسه امتدحنا دون ان يدري . فقد قال للصحافيين بعد هجوم « الطيرة » الذي قمنا به : « أرأيتم شجاعة رجالنا » ، وكان يعتقد ان الهاغاناه هي التي قامت بهذا الهجوم .

وعندما رأينا ان وقت صدامنا مع العرب يقترب بدأنا ننظم انفسنا وبدأنا نتحول الى فرق عسكرية نظامية وفتحنا باب التطوع ثم انشأنا وحدة للتصميم ووضع الخطط . وفي بيارات البرتقال في « بتاح تكفا » و « رامات جان » انشأنا معسكرنا الاول وغيرنا طرق تدريبنا بحيث تلائم خطط القتال في معارك مكشوفة ومع هذه الاستعدادات صرفنا همنا في الحصول على السلاح . فكل ما تجمع لدينا من المال حولناه الى اسلحة . اما « الهاغاناه » التي لم تستمر في محاربة حكومة الانتداب والتي خصصت اموال كل اليهود لتقويتها وتدريبها فقد تبين ان ما لديها من سلاح قليل جدا . نعم ... لقد حارب رجال الهاغاناه ضد العرب ببسالة وشجاعة ولكنها لو لم تتكاسل في اول الامر وتهمل تقوية نفسها لاستطعنا ان نوفر ارواحا يهودية كثيرة واستطعنا ان نستعيد من ارضنا اكثر مما استعدنا .

الإتفاقيّـة

لقد كنا نرى امامنا جبهتين لا واحدة . وكنـا على وشك الوصول الى الهدف من ثورتنا ــ وهو جلاء بريطانيا وقواتها عن ارض اسرائيل ــ ولكننا كنا نرى او نخشى رؤية الجنود البريطانيين يقفون مكتوفي الايدي دون ان يفعلوا شيئا امام الهجمات العربية . ولذلك قررنا ان نستمر في سياسة رد الاعتداء كما رددنا على قتل المدنيين اليهود بالجملة في شارع بن يهودا. لقد رأينا خطرا كبيرا في امكانية الافتراض ان الجيش البريطاني فـي فترة خروجه من فلسطين لن يكون حازما امام الاعتداءات العربية .

واتفقنا على ان يستمر رجالنا في تعبئـة مراكزهم الدفاعية تحت قيادة ضباطهم المباشرة بينما تكون القيادة لضباط المناطق مـن الهاغاناه . ولكننا اعلنا اننا لـن نسلم اسلحتنا للانكليز اذا طلب منـا ذلك كما فعلت الهاغاناه مرارا . فمنذ هجمات العرب حتى جلاء القوات البريطانية اخذ البريطانيون مئات البنادق من رجال الهاغاناه وقـد اخـذ بعض الجنود البريطانيون السلاح من ثمانية يهود في « هايسونك » قرب تل ابيب ومكنوا بذلك المهاجمين العرب من قتلهم .

وقد رفض رجالنا تسليم السلاح للبريطانيين وفـي بعض الاحيان كانوا يقلبون الآية فيأخذون من الجنود البريطانيين اسلحتهم . وكنا نعلم انه اذا تأكدت بريطانيا انهـا بمحاولاتها اخـذ الاسلحـة منـا سنقابلها

بالرصاص وبأخذ اسلحتها منها ، فانها تحاول بعدئذ ان تأخذ اسلحتنا . ولذلك طلبنا من الهاغاناه ان تفعل مثلنا ولكنها لم تصغ الينا . وقد طالبنا ان يسمح لنا بمصادرة الاسلحة البريطانية اينما وجدناها لاننا لم نكن نريد ان نكبد انفسنا دفع الاموال الضرورية لاسباب اخرى ما دمنا نستطيع ان نحصل على السلاح من جنود بريطانيين .

ان قضية كفاحنا الموحد ضد العرب لم تخلق أية مشكلة داخلية بيننا . فبعد ان بدأت الهاغاناه ، مثلنا ، سياسة الهجوم الدفاعي بدأنا القيام بالعمليات الموحدة بنفس الطريقة التي كانت تقوم عليها في ايام حركة المقاومة الموحدة ضد الانكليز حيث نقدم الخطط وننفذها بناء على موافقة قيادة الهاغاناه .

وبعد مفاوضات مضنية وقعت اتفاقية سرية بين الوكالة اليهودية كموجهة للهاغاناه ، والارغون زفاي ليومي . اما بنود هذه الاتفاقية السرية فكانت :

١ ــ تكون مراكز دفاع الارغون تحت اشراف قائد المنطقة المعين من قبل الهاغاناه . وهذا القائد يصدر اوامره بواسطة ضابط تعينه الارغون زفاي ليومي .

٢ ــ جميع الخطط الهجومية على جبهة « ع » (الجبهة العربية) وجبهة « ب » (جبهة البريطانيين) يجب ان يوافق عليها قائد ممثل للهاغاناه . اما التفاصيل فتقرر في جلسة خاصة يحضرها الضباط المثلون والخبراء الفنيون . وعدا ذلك ، تكون الارغون على كافة الاستعداد لتنفيذ ما يعطى اليها من الاوامر .

٣ ــ يتقيد رجال الارغون بمبادىء المقاومة في محاولات نزع السلاح منهم . على انهم يجب ان يراعوا في بعض الاحيان موقف مراكز الهاغاناه القريبة منهم .

٤ ــ لا تقوم أية عملية لمصادرة الاموال في المنطقة التي يشرف عليها اليهود . ويسمح للارغون ان تجمع الاموال التي تريد باسمها الخاص على

الا يكون للارغون أي نصيب من الاموال التي تجمع في سبيل الدفاع العام .

٥ ـ تبحث جميع الخطط الرامية لمصادرة السلاح بحثا مشتركا .

٦ ـ ان هذه الاتفاقية على المبادىء عرضة للتوضيح في بعض التفاصيل قبل التنفيذ ويشرح هذه التفاصيل الممثلون والخبراء .

وقد جندت شخصيات كبيرة بناء لنصيحة الجنرال مارشال بعدم اعلان الدولة اليهودية وقبول الوصاية بدلا منها . اما بن غوريون الذي كان يحبذ اقامة دولة يهودية ، فقد وجد صعوبات كثيرة حتى في حزبه « الماباي » .

اما نحن فلم نكن نهتم بمن سيرأس الدولة اليهودية وكيف ستؤلف الحكومة لانه كان يهمنا ان تقوم الدولة فحسب . وقد جاءني احد رجال بن غوريون في تلك الايام يقول : بن غوريون يقدر كثيرا تمسككم بالدولة اليهودية ويطلب منكم اعلان ذلك بقوة على الناس .

نفذنا هذاالطلب بسرعة . وبعد ايام اصدرنا البيان التالي :

« ان الدولة اليهودية ستقوم وليس هناك مجال للشك . فاذا أقامها الزعماء الرسميون سنؤيدهم نحن بكل قوانا . ولكن اذا تقاعس هؤلاء واستسلموا فان قوتنا وقوة اكثرية الشباب اليهودي ستكون مؤيدة لتلك الحكومة التي تخرج من اعماق العمل السري والتي ستقود الى النصر في معركة الحرية » .

اصدرت الارغون زفاي ليومي هذا البيان في كانون الثاني سنة ١٩٤٨ .



إحتلال يافا

في الاشهر التي سبقت الغزو العربي ، وبينما كانت الدول العربية الخمس (مصر ، العراق ، سوريا ، لبنان ، وشرق الاردن) تستعد للهجوم ، اكملنا نحن هجماتنا على الاحياء والمناطق العربية ، وفي الايام الاولى من سنة ١٩٤٨ كنا نؤكد لرجالنا وضباطنا ان هذه الاعمال لا تكفي. ان هجمات مثل تلك، والتي تقوم بها القوى اليهودية، لها اهميتها النفسية الكبرى . ثم انها ، باجبارها العرب على الوقوف موقف الدفاع بدل الهجوم ، تكون ذات أهمية لا تعوض بالنسبة لنا . ولكننا كنا نؤمن ان أشد الهجمات التي تقوم بها المنظمات اليهودية لن تقرر شيئا في قضيتنا . لقد كان املنا ان نكسب اراض اكثر .

وفي اواخر كانون الثاني ١٩٤٨ وفي اجتماع القيادة العليا للارغون الذي اشتركت فيه فرقة التصميم وضعنا امامنا اربعة اهداف استراتيجية : (١) القدس ، (٢) يافا ، (٣) اللد والرملة ، (٤) المثلث .

وعند استعدادنا لهذه الاهداف كنا نعلم ان بلوغها يعتمد على عوامل كثيرة اهمها القوة في الرجال والسلاح . ولذلك قررنا ان نعامل هذه الاهداف معاملة الافضلية أي اننا ننفذ الذي نستطيعه منها . ومن هذه الاهداف الاربعة لم نستطع ان ننفذ منها تنفيذا كاملا الا الهدف الثاني . وقد استطعنا تحقيق اعمال رائعة في معارك الاهداف الاولى والثالثة ــ

ولكننا لم نستطع ان ننتصر انتصارا جازما . اما فيما يخص الهدف الرابع فلم تعط لنا الفرصة حتى في بدء وضع خطة العملية ، وعلى كل حال ، فان احتلالنا ليافا يكوّن حادثة ذات اهمية كبرى في تاريخ النضال اليهودي .

في ذلك الوقت الذي قررنا فيه العمل على اساس « استراتيجية الاحتلال » لم تكن الذخيرة متوفرة لدينا حتى نقوم بأية عملية استراتيجية . ومع اننا كنا في شباط وآذار دون أي كمية من المتفجرات ، استطعنا في نيسان ان نصنع عددا من الاطنان من الصنف القوي . في آذار لم يكن لدينا الا عدد ضئيل من المدافع الرشاشة ، ولكننا في نيسان قمنا بعمليتين لمصادرة الاسلحة زادت كثيرا الكميات التي كانت لدينا . فقد استطعنا عندئذ ان نقوي ذخيرتنا من ناحية قذائف «المورتر» حتى ان قذائفنا زادت على القذائف الموجودة عند الهاغاناه .

ففي ٤ نيسان ١٩٤٨ تقدمت فرقتنا الهجومية الى المعسكر البريطاني رقم ٨٠ قرب « باردس حنا » حيث تعسكر فرقة مدفعية مضادة للدبابات .

تقدمت الفرقة الامامية وتغلبت على الحراس ففتحت بذلك الطريق للمهاجمين الذين وراءها والذين تحميهم مصفحتان احداهما مأخوذة من الجيش البريطاني والثانية من البوليس البريطاني . وباحدى المصفحتين استولينا على الجهة اليمنى من المعسكر ، وبالاخرى على الجهة اليسرى . وسرعان ما وقع المعسكر بين ايدينا ووقعت فرقة المدفعية اسيرة لدينا .

وبدأ شحن الاسلحة بسرعة من بنادق واسلحة رشاشة ومدافع « برن » ومدافع مضادة للدبابات وغيرها من الذخيرة . ولكن بعض الاعداء خارج المعسكر قاموا بهجوم مضاد علينا وكانت تحميهم مصفحة كبيرة . ورأى رجالنا الخطر العظيم المحدق بهم ، فان تحطيم أية قطعة من غنائمنا سيفضح الامر وسيفشل الخطة كلها ويضيع حياة جميع الذين اشتركوا بها . ولكن احد رجالنا انقذ الموقف عندما قفز الى جانب تلك السيارة

المصفحة وفتح بابها بالمتفجرات ففر جميع من في داخلها واستولينا بذلك على تلك السيارة واضيفت الى غنائم الارغون من تلك العملية .

ولكن نجدات العدو بدأت تزداد تدعمها الآليات الثقيلة . ولكن اصابتهم كانت دائما تخطىء الهدف فاستطاع رجالنا ان يستولوا على دبابة « شيرمان » وخسر الاعداء كولونيلا وسبعة ضباط قتلى بينما جرح منهم الكثيرون .

وفي ظل المعركة استمر شحن الذخيرة وكانت الغنيمة كبيرة جدا واكثرها من البنادق ومدافع البرن والذخيرة . وكان بينها ايضا كمية صغيرة من قنابل « بيات » التي تخترق الدبابات والتي استعملناها كثيرا في تعطيل الدبابات في جبهة يافا .

وبعد اسبوعين قمنا بزيارة اخرى الى نفس المنطقة . وكان هدفنا قطار اسلحة بريطانية متجها من حيفا الى المثلث وفيه كنوز من اسلحة زعيم العصابات العربية هناك القاوقجي . ولكن القطار لم يصل الى هدفه بل اوقف عند الكيلو ٤١ بين « الخضيرة » و « بنيامينا » واخذنا كمية كبيرة من الاسلحة ساعدتنا كثيرا في تقرير مصير يافا وغيرها .

ولم تكن العملية بسيطة ابدا . فقد انفجر لغم طفيف مهمته ايقاف القطار لا تحطيمه ، بينما كان القطار يقترب الى النقطة التي تنتظر فيها فرقة هجومنا . وقد كانت حساباتنا دقيقة جدا لان القطار اهتز قليلا ولكنه لم يتحطم .

وقفز رجالنا متقدمين . ولكن ايقاف القطار كان اسهل بكثير من الاستيلاء عليه . ففي الثواني الاولى حطمت قذيفة « مورتر » سيارة اللاسلكي فجرحت بذلك سبعة من رجالنا وقطعت المواصلات بين افراد فرقتنا المتفرقين في تلك المنطقة . ورد رجالنا على النار بالمثل ولكنهم كانوا يدركون ان الموقف الاقوى هو للاعداء لانهم كانوا مختفين وراء الحديد اما رجالنا فكانوا مكشوفين على الارض .

وقد بدت جميع المحاولات الفاشلة للاستيلاء على القطار ، بينما كنا نخسر اكبر سلاح اعتمدنا عليه وهو الوقت . ففي المنطقة الكثير من المعسكرات البريطانية واذا طالت المعركة ستصل النجدات وتبيد رجالنا عن آخرهم .

وبينما قائدنا يطوف بين رجال الفرقة وجد ان جماعة منهم قد اسرت جنديا بريطانيا . ومر خاطر سريع في رأس القائد ان هذا الاسير سيمكننا من الوصول الى القطار فقال له :

« اننا سنطلق سراحك . اذهب وقل لقائد حامية القطار ان القطار محاط من جميع الجهات برجال الارغون . واني اعطيه مهلة خمس دقائق لتسليمي الذخيرة والسلاح الذي في القطار . فاذا استسلم لن يصيبه ورجاله أي سوء . ولكنه اذا رفض فسننسف القطار بمن فيه ... ان لدينا اسلحة مضادة للدبابات » .

وهرع الجندي البريطاني الى القطار . ومرت دقائق وقائدنا ينتظر ... ولا جواب . ولم يكن لدينا اية طريقة لنجيب على هذا الصمت ، لم يكن لدينا سلاح مضاد للدبابات ولا متفجرات .

ولم ينتظر القائد وهو « جدي » حتى ينتهي مدة الانذار . فتقدم الى العربات المحملة معرضا نفسه للخطر . وفجأة رمى نفسه على الرمل عندما اطلق جندي بريطاني الرصاص عليه ، فمرت الرصاصة بجانب رأسه ، ولكنه عاد فاتخذ مركزا قريبا محميا ثم صرخ :

« اسمعوا ... انني قائد وحدة الارغون زفاي ليومي انكم محاطون برجالنا من جميع الجهات . هدفنا مصادرة الاسلحة التي في القطار ولكننا لا نريد ان نؤذيكم . اخرجوا من العربات رافعين ايديكم . اذا استسلمتم يستطيع كل منكم ان يعود الى فرقته ولكنكم اذا قاومتم فلن يبقى احد منكم . انني سآمر بنسف القطار . اذا لم تستسلموا . هذا هو انذاري الاخير » .

ونجح هذا السلاح النفسي . لقد خرج الجنود والضباط من داخل القطار وتنفس قائدنا الصعداء .

ولكن ثلاثة من رجالنا كانوا قد ماتوا . ومرة اخرى كان علينا ان ندفع ثمن الحديد بالدم .

وبدأ رجالنا ينزلون الاسلحة ويضعونها في السيارات التي جلبها رجالنا معهم . ولكن العمل كان طويلا والوقت قليلا . لقد كان رجالنا يعملون بجهد جبار ولكنهم لم يستطيعوا ان يعبئوا اطنان الاسلحة بالسرعة اللازمة . ولذلك رأى قائدنا ان يستفيد من الاسرى البريطانيين . فاتجه الى ضابط بريطاني وقال له : « ادع رجالك . . . انني اريد مساعدتهم » . وسأله الضابط : « هل ستقتلهم ؟ » فقال « جدي » : « لا تكن مجنونا ، اننا محاربون يهود ولسنا برابرة . نحن لا نقتل الاسرى . لقد وعدنا ان لا نؤذيكم ورجال الارغون زفاي ليومي يحافظون على كلامهم . انني احتاجهم للعمل فقط » .

واستراح الضابط البريطاني . ومع انه رأى جنودنا يضمدون جراح جنوده ، الا انه كان يخشى ان نغير رأينا بين دقيقة واخرى .

وبقي البريطانيون ينقلون اسلحة الارغون لمدة اربع ساعات ، عملوا بجانب رجال الارغون . لقد كان العمل مرهقا اذ كان عليهم ان ينقلوا حوالي العشرين طنا من الاسلحة . وقد كانت هناك فترة استراحة لخمس دقائق يوزع فيها البرتقال على الجنود الانكليز . وقد عمل هؤلاء بجهد واخلاص وبدأت السيارة تلو السيارة تمتلىء الى ان انتهى العمل .

واقلعت السيارات المحملة بالسلاح الى المكان المرسوم لها. ووجدت القذائف مخبأة في تلك الليلة في مخازن النبيذ في «زخرون ياكوف » وانا اتساءل الآن اذا كان « البارون روتشيلد » قد حلم في حياته انه في يوم من الايام سيعبىء اليهود في مخازنه الحبيبة القذائف بدلا من النبيذ ؟

واطلق سراح الاسرى الانكليز . وبعد ذلك ببرهة امتلأت المنطقة بالقوات البريطانية التي كانت تبحث عن الاسلحة المصادرة بدون جدوى .

واصبح سكان تلك المنطقة اليهودية يتساءلون بقلق : «ماذا سيحدث الآن ؟ وهل يفرض نظام منع التجول ؟»

واجاب قائد القوات البريطانية المطاردة على هذا التساؤل اجابة تتفق مع الروح البريطانية النبيلة : لقد قال :

« لن يكون هناك أي عقاب ... لقد كانت معركة عادلة » .

* * *

لقد كانت هجماتنا على المعسكر رقم A وعلى قطار الاسلحة ، ثم صناعتنا نحن للاسلحة من العوامل التي مكنتنا من الهجوم على يافا . ففي نيسان تم وضع الخطة واختبرت الوحدات التي ستقوم بالعملية وقبل ثلاثة اسابيع من انشاء دولة اسرائيل تقدمنا لننقذ تل ابيب من الدمار .

وكانت خطتنا مهاجمة يافا في المكان الضيق الذي يربط البلدة بحي المنشية الذي يتجه شمالا كالرأس الى تل ابيب . وكان الهدف التكتيكي هو تحطيم «عنق الزجاجة» والوصول الى البحر حتى نستطيع قطع طريق المنشية عن البلدة . وكان الهدف الستراتيجي هو اخضاع يافا وتحرير تل ابيب من ذلك المسدس المصوب نحو قلبها .

وقبل ان نقوم بهجومنا هذا ، كانت تل ابيب تعاني الامرين من الهجمات الاتية من يافا وخصوصا من حي المنشية . ففي الاشهر الاولى من الاضطرابات العربية قتل ما لا يقل عن الف يهودي في الهجمات الصادرة من مسجد حسن بك وجواره في المنشية . وقد استطاع العرب ان يتسللوا الى اماكن كثيرة وسط تل ابيب ويقتلوا اشخاص معينين ولم تمنعهم الحراسة المشددة هناك من تنفيذ اعمالهم . لقد كتبت الصحف الاجنبية

عن المعارك في «طريق روتشيلد» الشيء الكثير. كانت يافا تتحدى وتل ابيب ساكتة لاتفعل اكثر من الدفاع حتى قتلوا الآلاف من ابنائها وهم يدافعون فقط.

وفي ليلة ٢٥ نيسان انطلقنا لنضع حدا لتلك الحالة المخجلة . وفي المعسكر في رامات جان تجمعت الوحدات العسكرية والفرق الاحتياطية . وفي خلال ذلك اليوم كنا قد صادرنا حوالي مائة سيارة عن الطريق الوحيد الذي سلكناه . ولم نكن نحن نسر لهذه المصادرة ولكن اصحاب السيارات كانوا يعرفون دائما اننا نرجعها بعد ان ننتهي منها وندفع التعويض عن الخسائر في بعض الاحيان . وكان اكثرهم يعلم اننا نصادر في سبيل شعبنا فكان كثيرون منهم يتقدمون بسياراتهم بمحض ارادتهم . لقد كانت هذه الطريقة هي الوحيدة المفتوحة لنا لأننا لا يمكن ان نستعمل نفس السيارات في كل العمليات . ثم اننا لم نكن نملك المال اللازم لنشتري الكثير من السيارات .

وفي تلك الليلة ــ ٢٥ نيسان ــ تجمع على طريق تل ابيب ــ رامات جان رتل من السيارات منها ما هو مصادر من الانكليز او اليهود ومنها ما هو مقدم من الاصدقاء . وعلى الطريق العام بالقرب من المعسكر كان الآلاف من رجال الارغون ينتظرون اشارة الهجوم .

ولكن الاشارة تأخرت .

فعلى سطح البيت الصغير الذي تمركزت فيه القيادة العليا كان يعقد مؤتمر . فقد جاءتنا الاخبار ان الهاغاناه قد اعلنت حالة الطوارىء وانها ستمنع القيام بهذه العملية . واقترح البعض تأجيل العملية يوما او يومين . وتشعب البحث واشتد ثم اتخذ قرارا نهائيا : ان نهاجم في نفس الليلة .

وفي الساحة كانت المجموعات تنتظر وفيها ستمائة ضابط وجندي من الارغون . لقد جاء يوم المعارك المكشوفة وانتهى العمل السري . وقفوا

هناك صفا واحدا ومعهم سياراتهم واسلحتهم وادواتهم الطبية . وفوق كل شيء ايمانهم . لقد كانت الساعة عظيمة .

وتقدمت الى الساحة مع « جدي » والقيت في الشباب خطابا حماسيا اخبرتهم في نهايته ان « جدعون » سيكون قائدهم في تلك العملية . واضاف « جدي » بعض التعليمات مؤكدا على ناحية توفير الاسلحة والذخيرة . ثم تقدم الرجال بصمت الى الشارع العام .

وتقدمت السيارات ناحية تل‌ابيب ثم اتجهت نحو يافا . دخلنا مركز الحراسة الليلة الثالثة . وكانت الطرق الضيقة المؤدية الى يافا مهجورة . وفي بناية مدرسة « الاليانس » المحطمة اتخذنا مركزا للقيادة . وفي مستشفى « فرديه » المهجور اقمنا مستشفى حربيا وتسلل الرجال الى البيوت القريبة .

لقد كانت خطتنا الاصلية بدء الهجوم في تلك الليلة . ولكن المباحثات التي عقدت في المعسكر اخذت وقتا كبيرا وهكذا لم نستطع ان نبدأ الهجوم فور وصولنا . لقد كان امامنا اشياء كثيرة . يجب ان نتفقد الوحدات ، ونعطي الضباط الاوامر النهائية ، ونقيم الشبكة التلفونية . واهم من ذلك كان يجب علينا ان نثبت مراكز « المورتر » .

كان لدينا مدفعا « مورتر » من عيار ٣ انش صادرناهما قبل سنتين من المعسكرات البريطانية . ولم نستعملهما لانه لم يكن لدينا قذائف من ذلك النوع . اما الآن ، وفي ٢٥ نيسان ، فلدينا الكثير . ولذلك سنستعمل مدافع « المورتر » حتى آخر المعركة ، وكان لدينا ثلاثة رجال فقط من الذين يحسنون القذف بها . ولذلك يضربون ساعة بعد ساعة ، ويوما بعد يوم دون ان تعرف ايديهم الراحة ابدا . فلا عجب ، اذن ، ان تطلب الهاغاناه مساعدتهم ايضا .

ففي اليوم الثالث من المعركة طلبت الهاغاناه ان نحول قذائف « المورتر » نحو « تل عريش » حتى نمكن فرقة الهاغاناه الضعيفة هناك

من الانسحاب . وبعد معركــة يافا اعرنا المدافع وقاذفيهــا الى الهاغاناه ليطهروا قريــة « سلامة » المجرمــة التي وقعت في ايــدي الهاغاناه دون خسائر تذكــر .

وراقبت الرجال يتجهون الى المعركة من مقر القيادة وهم ينشدون وتمنيت ان يرجعوا سالمين .

لقد بدات معركة يافــا .

وبدات قذائف « المورتر » المصوبة الى مؤخرة العدو تحطم معنوياته. وفي « عنق الزجاجة » نفسها تحولت المعركة الى معركة مدافع رشــاشة واستعمل رجالنا مدافع « البرن » جيدا . ولكن لم يكن صوتهم هو الصوت الوحيد في المعركة . لقد كان الاعداء يستعملون « السبندوس » الذي تفوق قوته قوة « البرن » ولم يظهر ان الاعداء تنقصهم الذخيرة . وبدأ الاشتباك يجر الاشتباك ولم تتوقف النيران لحظة واحدة . وفي « عنق الزجاجة » ــ اي المنشية ــ تعلمنا ما تعلمه الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وهو انه لا يوجد أي مركز للدفاع احسن من صف الابنية المهدمة . وفــوق تلك الابنية المهمة وفي داخلها تمركز الاعداء بسلاحهم وذخيرتهم الكثيرة العــدد وهم مصممون على دحرنا . وخلف خطهــم الكثيف الاول لــم تكــن هناك قوات عراقية وعربية فحسب ، بــل كانت هناك قــوات بريطانية ايضــا بدباباتها واسلحتها الكاملة حتى تمنع المهاجمين من الوصول الى البحر .

وبدات خساراتنا تتراءى . وبدات الفرقة الطبية تعمل بنشاط في خطوط النار .

ولم يستطع رجالنا الاختراق . وفي المحاولة الاولى ردنا الاعداء على اعقابنا خاسرين . لقد اخذنا مراكزا مهمة ولكننا لم نستطع التقدم لتحطيم « عنق الزجاجة » .

* * *

وفي اجتماع للضباط لمنا شتاتنا . لقد فشلنا لاننا اخطأنا في تقدير امكانيات العدو . كانت المنطقة ضيقة ولذلك كانت الحركة محدودة، ولم تستطع مصفحاتنا ان تهاجم مؤخرة العدو كما لم يكن من المستطاع اختراق مقدمته بالرغم من استعمال اكبر عدد ممكن من الرجال . لقد كان علينا ان نسحب كل قواتنا ـ ما عدا تلك التي احتلت مركزا مهما ـ لنحضر لجولة اخرى .

ولم تكن الخطة الاخرى جديدة ، بل كانت خطة الارغون الدائمة : فرقة للاختراق ، واخرى للتغطية .

ان هذه ستكون بطيئة . لقد نجحت في حربنا السرية مع الانكليز حيث كانت السيطرة الموقتة كافية لتحطيم الهدف ثم الانسحاب . ولكننا هنا في جبهة يافا كنا في حالة اخرى . لم يكن علينا ان نهاجم ونخرب فقط، بل ان نحتل ونحتفظ بما نحتل .

فهل تنجح خطتنا في هذه الظروف ؟

لم يكن هناك مجال للخيار ، فبدأنا المعركة من جديد . وفي نفس الوقت كانت مدافعنا تقذف يافا حتى اننا رددنا لها في نصف يوم ما اعطته لتل ابيب في ثلاثة اشهر . وكانت خطتنا في قذف القنابل ارباك خطوط العدو وقطع الصلة بين المقدمة والمؤخرة .

وحمي وطيس المعركة بعد الظهر . وتقدم بعض رجالنا يحملون الالغام متجهين صوب « عنق الزجاجة » حيث الاستحكامات القوية التي تمنع رجالنا من الاختراق . فاذا استطاعوا نسفها تفتح امامنا ثغرة صغيرة نستطيع توسيعها بعدئذ .

ولكن العدو كان يقظا . فقد غطت الدبابات الانكليزية وقذائف « السباندوس » العربية كل المنطقة . ففقدنا عامل المفاجأة واصبح علينا ان نأخذ كل شبر من الارض بالدم حتى اننا في الخطوط الامامية اضطررنا ان نستعمل ايدينا . . . وكان كل شيء يكلفنا دماءنا .

والى اصوات « المورتر » والمدافع الرشاشة اضيفت الان اصوات انفجارات قوية . فهل قام رجالنا بالنسف ؟ وهل تحطمت بعض مراكز الاعداء ؟ وهل احدثت ثغرة ؟ وهل فتحت الطريق العام امام قواتنا المتقدمة .

واتضح ان مركزا من مراكز العدو قد تحطم وبقي المركز الرئيسي الذي يسيطر على المنطقة كلها دون ان يمس . فقد وصل الناسفون الى نقطة لم يستطيعوا التقدم بعدها ولا تحطيم المراكز القوية بالالغام . اذن فقد فشلنا مرة اخرى .

وجلسنا على مقاعد « الاليانس » نراجع عمل اليوم ونتدبر امرنا . لقد كانت قذائفنا قوية اربكت خطوط العدو وقطعت خطوط مواصلاته . لم نتقدم خطوة واحدة ولكن علينا ان نستمر . لم يكن هناك مجال لليأس . لقد بدأت المعركة وخسرنا الهجوم الاول ولكننا سنحاول مرة وننجح. وكان الجنود يحتاجون الى ليلة من الراحة وفي اليوم التالي سنكرر الهجوم ونحتل مراكز العدو .

هكذا اتجه تفكيرنا في اجتماع تلك الليلة . فقد شرح « جدي » الحالة بالتفصيل ثم قال لنا اننا نحتاج تحصين خطوطنا الامامية فنضع هناك بعض اكياس الرمل حتى نوفر لمقدمتنا بعض الحماية .

وانتهى الاجتماع ، واقر الرأي ، وفي قلوبنا أمل بالغد . ونام جنود الارغون ملء جفونهم . اما القواد الكبار فكانت كل دقيقة في تلك الليلة مليئة بالتفكير بخطط الغد .

❋ ❋ ❋

وأفقنا في اليوم التالي لنعرف ان جميع الصحف اليهودية تهاجمنا على عملنا الجنوني هذا . على ان عزاءنا كان في موقف تل ابيب التي أيدتنا بكل قوة .

وبينما كانت هذه الاحداث تجري في تل ابيب حدد « جدي » الهجوم على يافا وبدأت قذائف « المورتر » تنصب بالمئات على العدو حسب تحركات الابر على الخرائط الموجودة امامنا في ابراج مراقبتنا . وقد صدرت الاوامر الى قاذفي القنابل عندنا ان لا يتعمدوا ضرب المستشفيات واماكن الصلاة او املاك الدول الاجنبية . وكان قنصل فرنسا قد زارنا في اليوم السابق طالبا منا عدم قصف الاماكن التي ترعاها فرنسا ، فوافقنا على شرط ان توضع الرايات الفرنسية على تلك الامكنة .

وازداد قصف القنابل . وتقدمت فرقتنا تلهب « عنق الزجاجة » بكل قواها . واستمر النضال ساعات متوالية حتى المساء . وتحت ضغطنا المتزايد بدأت قوات العدو تنسحب من اماكن كثيرة . واخيرا أخذوا يتراجعون بلا نظام .

ومرة اخرى تدخل الانكليز لانقاذ الموقف . ففي اليوم الاول للهجوم طلب ضابط بريطاني من بعض الهيئات في تل ابيب الضغط علينا حتى لا نهاجم مراكز البوليس البريطاني في قلب يافا اي عند محطة السكة الحديدية ومنطقة الحماية . ثم وعد انهم سيقفون على الحياد اذا لم نهاجمهم . ولكنهم لم يحتفظوا بوعدهم منذ اليوم الاول . وكان الحياد غريبا فقد دفع محركات الدبابات وطلقات المسدسات لقتل اليهود . وفي اليوم الثاني ظهرت غرابة هذا الحياد بوضوح . لقد تقدم حاكم منطقة اللد (التي تتضمن يافا) الى رئيس بلدية تل ابيب قائلا انه سيمنع احتلال يافا بالقوة اذا اقتضى الامر ثم طلب منه الضغط لايقاف عملية الارغون الكبرى . والحقيقة هي ان بريطانيا زودت قوى العرب في اليوم الثاني حتى لا تنهار جبهتهم وحتى تحتفظ بيافا للخطة العامة التي ستنفذها في ١٥ ايار .

وهكذا أصبحت المعركة اكثر صعوبة بالنسبة لنا . ولكن ضغطنا كان قويا مما دفع الاعداء الى بعض التراجع . ولكن قبل ان يستطيع شبابنا التقدم قامت القوات العربية البريطانية بهجوم معاكس تساندها المدفعية ، واجبرتنا على التراجع . وعلى ذلك المنوال تبدلت الاحوال في تلك المعركة وازداد عنفها .

وعدنا نخسر الكثير من الرجال . ولكننا كنا نضع دائما رجلا جديدا في مكان المحارب الميت . وعدنا بعد هجوم شديد الى احتلال بعض مراكز العدو ، وعدنا الى التقدم . ولكننا لم نستطع الاختراق .

وفجأة رأينا امام اعيننا ظاهرة عجيبة ... الهرب الجماعي من يافا. لقد بدأ المدنيون العرب وفريق من « المحاربين » يهربون من المدينة فجأة وقد غلبهم الذعر .

والظاهر ان هناك سببين لهذا الهرب والرعب . اولا اسم مهاجميهم المخيف والدعاية المرعبة التي احاطت بهذا الاسم . فقد ارسل مراسل « اليونايتدبرس » في بيروت الى جريدته يومها يقول : « ان الهاربين الذين وصلوا الى بيروت قالوا ان الاخبار التي وصلتهم تفيد بأن الارغون تقوم بالهجوم مما زرع الرعب في قلوبهم » . واما السبب الثاني فكان قوة مدفعيتنا. وانا لا اعرف عدد القنابل التي رميناها على يافا ولكني اعرف ان المجموع كان عددا لا بأس به . لقد منعت قذائفنا حرية التنقل بين العدو . وقطعت مصادر الكهرباء ، وحطمت انابيب المياه ، وسادت الفوضى في المدينة على اثر ذلك وتحطمت معنويات العدو فبدأ بالهرب عن طريق البحر والبر والسيارات والاقدام . بدأ الهرب بالآلاف ثم تزايد الى عشرات الالوف . وقد افيدت المصادر البريطانية ان خسائر كبيرة لحقت بأهل المدينة وان معسكرات المتطوعين العراقيين قد اصيبت بقذائفنا وقتل من جراء ذلك مائة متطوع .

وحاولت السلطات البريطانية تهدئة العرب الخائفين . وكانت يافا في فوضى شاملة . ولم تكن هناك أية سلطة تستطيع ان تمنع الناس من الهرب واخلاء المدينة .

ولم يقذف الخوف من الموت بالمدنيين من اهل يافا فقط بل بالمحاربين ايضا. فبعد سقوط يافا وقعت منطقة «ابو كبير» بأيدي اليهود بدون اطلاق اية رصاصة . وقد اخبرني ثوار الهاغاناه بعدئذ ان « ابو كبير » كانت محصنة تحصينا قويا وتستطيع ان تقف في وجه اليهود مدة طويلة جدا .

* * *

عندما كانت معركة اليوم الثاني على اشدها ذهبت لمقابلة ممثلي الوكالة اليهودية والهاغاناه . وقد فهمت ان الهاغاناه بدأت « توافق » على عملية يافا . ورجعت الى مقر قيادتنا عندما كانت المعركة في اليوم الثاني تشرف على الانتهاء . وكنا قد احتللنا مراكز حصينة تمكننا من محاولة الاختراق واصبح رجالنا يعرفون طرق العدو وطبيعة الارض ، وتعلموا ايضا كيف يتجنبوا اخطاء اليوم الماضي . ولكنهم لم يصلوا الى الهدف بعد . لم « يفتحوا » يافا ويصلوا الى البحر ولم تتحطم للآن « عنق الزجاجة » .

ودعوت لاجتماع الضباط واخبرتهم بما دار في اجتماعنا بالهاغاناه ثم اخبرتهم ان الهاغاناه توافق على عمليتنا اذا استطعنا ان نخترق المدينة ونصل الى البحر في خلال ٢٤ ساعة . وقلت لهم : « ولكنني لا اعتقد انه يجب ان نستمر في قذف تلك المراكز القوية التي تدعمها الدبابات البريطانية . لقد قمنا بواجبنا في يومين وليس من العار ان نؤجل العملية في هذه الاحوال السيئة . سندافع عن المراكز التي وقعت بأيدينا ولكننا سنسحب القوات الاخرى » .

وساد الاجتماع سكون رهيب . وبقي « جدي » ساكتا مدة طويلة بينما ابدى غيره من الضباط رأيهم في الموضوع فكانوا بين معارض وموافق .

واخيرا قررنا ان نسحب القوات بينما نبقي قوة محدودة في مدرسة « الاليانس » . وهذا يعني تأجيل الهجوم المباشر .

وفي تلك الليلة حدث امر غريب . ففي المرة الاولى في تاريخ الارغون يتمرد رجالها ويرفضون اطاعة الاوامر . وبدأت الاخبار تأتيني الى قاعة الاجتماعات : « اننا لن ننسحب ... اننا لم نضعف ... فلنجرب مرة اخرى ... اننا سننتصر ... » .

وعاد « جدي » من جولته التفتيشية وقال لي : « لقد وجدت نقاطا

ضعيفة جديدة في خطوط الاعداء ... انني متأكد اننا نستطيع اختراقها »

ومن الجبهة وصلتني اصوات المدافع والرصاص وانا جالس وحدي في غرفة الاجتماع ... لقد كنت افكر في هذه المناقشة الحادة الصامتة بين القائد ورجاله . واخيرا انتهى النقاش ونجح تمرد الرجال . لن يكون هناك تراجع ... ستستمر المعركة .

* * *

ودبت في الرجال روح جديدة وبدأوا يستعدون لمعركة الغد الحاسمة . واستمروا باستعدادهم المندفع حتى ساعات الصباح الاولى ولكن المعركة لم تبدأ الا بعد الظهر فبدأت مدافع «المورتر» تقذف الحمم من جديد .

ومن المراكز المحتلة والمحصنة بأكياس الرمل تقدمت وحداتنا بينما كانت الطريق تسهل امامهم بواسطة « المدفعية الحية » النسافون . وبين نيراننا ونيران العدو كانت تلك الفرقة النسافة تتقدم وتضع الغامها وتعود ، ثم تتقدم من جديد نحو هدف جديد . خطوة خطوة بدأ العدو يتراجع عن مراكزه .

وفي هذه المرة لم يستطع التأييد الانكليزي ان يمنع تقدمنا . لقد صوبوا النيران على خطوطنا ولكننا بقينا صامدين اقوياء . واخيرا ... سقط في ايدينا مركز العدو القوي الذي كان يمنع تقدمنا نحو البحر لمدة يومين ... وانتقلت فرقة النسف من مكان الى آخر تقوم بعملها وتفتح الطريق الى النصر .

ولم تفتح المتفجرات وحدها الطريق ، بل استعملنا سلاحا جديدا الخطافات والقضبان الحديدية التي استعملها شبابنا للمرور خلال الابنية المهدمة .

وقد اطاع « جدي » القانون التقليدي في الاستراتيجية العصرية وهو الحفر ثم المحافظة على المكان المحتل وتحصينه . وفي داخل «النفق» الذي صنع قامت حلقات « انسانية » ، واحدة للهجوم مكونة من النسافين والجنود واخرى تضم الجرحى والاطباء وثانية للتموين وهي تحمل الاسلحة والذخائر والماء . وثالثة تحمل أكياس الرمل . وقد تشابكت هذه الحلقات ، ففي بعض الاحيان يصبح حاملو الاكياس في مكان قاذفي القنابل او حاملي المدافع الرشاشة . ولم تنقطع هذه الحلقات بل تقدمت من مركز الى مركز ومن بناية الى بناية ومن طريق الى آخر . ولم تكن في يافا « مناطق ميتة » يستطيع ان يعبرها الانسان دون خطر فاذا سقطت حلقة استبدلناها بحلقة اخرى وهكذا استمرت الحلقات في تقدمها وتراجعها المرسوم .

وهكذا امتدت حلقات النار والدم والجهد والرمل في معركة الانتصار لقد بدأت يوم الثلاثاء بعد الظهر وانتهت صباح الاربعاء خمس عشرة ساعة دون راحة وهي تتقدم بين جهد العقل والجسم والروح .

ولم تفد العدو مراكزه القوية بل بدأ يتراجع نحو البحر بينما كانت مراكزه تنسف ويتقدم فوق رممها رجالنا الذين وضعوا نصب اعينهم شعارا واحدا : الى الامام .

لقد كانت الساعة التاسعة صباحا . لقد وصل رجالنا الى البحر تاركين وراءهم خطوط العدو المحطمة .

وعندما وصلوا الى البحر تغلب عليهم شعور الفرح فراحوا يرقصون ويطلقون الرصاص في الهواء . وكان ابتهاجهم هذا مغتفرا لان يافا اصبحت ، بلا حول ولا قوة ، تحت اقدامهم .

ولم يبتهج « جدي » لانه كان يعلم انه بالرغم من اختراق خط الاعداء والوصول الى البحر فان العدو قد يقوم بهجوم مضاد جديد .

وجاء الهجوم المضاد الجديد واستمر يومين كاملين لم يكتف الانكليز بمساعدة العرب فقط ، بل بدأوا يقذفوننا بنيران دباباتهم ومدافعهم « المورتر » الثقيلة وفي بعض الاحيان بالطائرات لكي يمنعوا احتلال يافا .

كما كان هذا الهجوم المضاد هجوما دفاعيا . ففي يوم الخميس ، وهو اليوم الخامس في معركة يافا ، فتح البريطانيون علينا مدافعهم الثقيلة فقتلوا الكثير من ضباطنا وجنودنا . وبعد هذا القصف والهجوم البريطانيين اصدرت الحكومة بيانا وضحت فيه انها لا تقصد مهاجمة تل ابيب بل تريد « منع أي تقدم جديد من قبل الارغون زفاي ليومي في يافا » . ومن الناحية العسكرية تعتبر « يافا العربية » قد سقطت في ايدي الارغون زفاي ليومي يوم الثلاثاء ٢٧ نيسان . ولكن احتلالها في ذلك الحين منعته السلطات البريطانية بدباباتها ومدافعها المورتر وتهديداتها باحتلال تل ابيب . ولكن الاحتلال اليهودي ليافا لا يمكن ان يمنع بعد الآن .

ولكن القوات البريطانية ارادت اكثر من منع أي تقدم جديد ، ارادت ارجاع المنشية الى اشرافها . فوقفنا في مراكزنا نرد الهجمات المتتالية لمدة يومين آخرين ولم تتحطم خطوطنا .

وخلال الهجوم المضاد هذا تقدم رجالنا نحو المنشية واحتلوا مركز البوليس دون اطلاق أية رصاصة . وعند مسجد « حسن بك » قاومتهم فرقة صغيرة استطاعوا ان يتغلبوا عليها بسهولة ولم يصب المسجد بسوء . ثم وضعنا على مئذنته رايتنا التي رأتها تل ابيب في صباح الاربعاء فوقفت الجماهير تمتع اعينها بهذا المنظر . فقد كان ذلك المكان يرجم اهل تل ابيب بالموت لمدة ستة اشهر . وقد استراحوا اليوم منه .

* * *

وفي تلك الاثناء عقدنا مؤتمرا صحفيا في مركز القيادة الذي كانت تتساقط بجانبه القنابل والقذائف .

وكانت تل ابيب في سرور وابتهاج تحيي تقدم الظافرين . فلن تستطيع يافا بعد اليوم ان تهاجم تل ابيب ويستطيع آلاف المهاجرين الذين هربوا الى الازقة وتحت السلالم ان يعودوا الى بيوتهم . واعلنت القيادة البريطانية العليا ان هجوم الارغون زفاي ليومي على يافا ـ التي لم تعط لليهود بموجب قرار التقسيم ـ قد غير الحالة واخطر القيادة الى تقوية الجيش في تلك المنطقة . ثم اعلن راديو لندن ان القوات التي كانت قد انتقلت الى قبرص نقل اكثرها الى يافا لمنع وقوعها في ايدي اليهود . وقد كانت هذه الاذاعات تهدف الى اخافة اليهود وتشجيع العرب ولكنها لم تثمر .

ورددنا على البريطانيين ببيان صغير طلبنا منهم فيه ان يرحلوا بسلام . ثم نسفنا مركز بوليس المنشية الذي طالب به الانكليز وحولناه الى حطام . وبنسفنا لكل البنايات التي تقع على الشارع العام سددنا الطريق الى تل ابيب . وتراجع الانكليز وقبلوا بالامر الواقع ورضوا « بالخط الجديد » الذي رسمته الارغون ثم سلمته الى الهاغاناه .

لقد انتهى امر يافا . وبعد ايام هرعت لجنة من الاهالي الذين بقوا في المدينة يطلبون « شروطا » للبقاء . وفي اوائل ايار ـ في يوم غزو الدول العربية ـ الخمس وقعت تلك اللجنة على تسليم المدينة لليهود . وقد دخلت قوات « الهاغاناه » و « الارغون زفاي ليومي » معا .

* * *

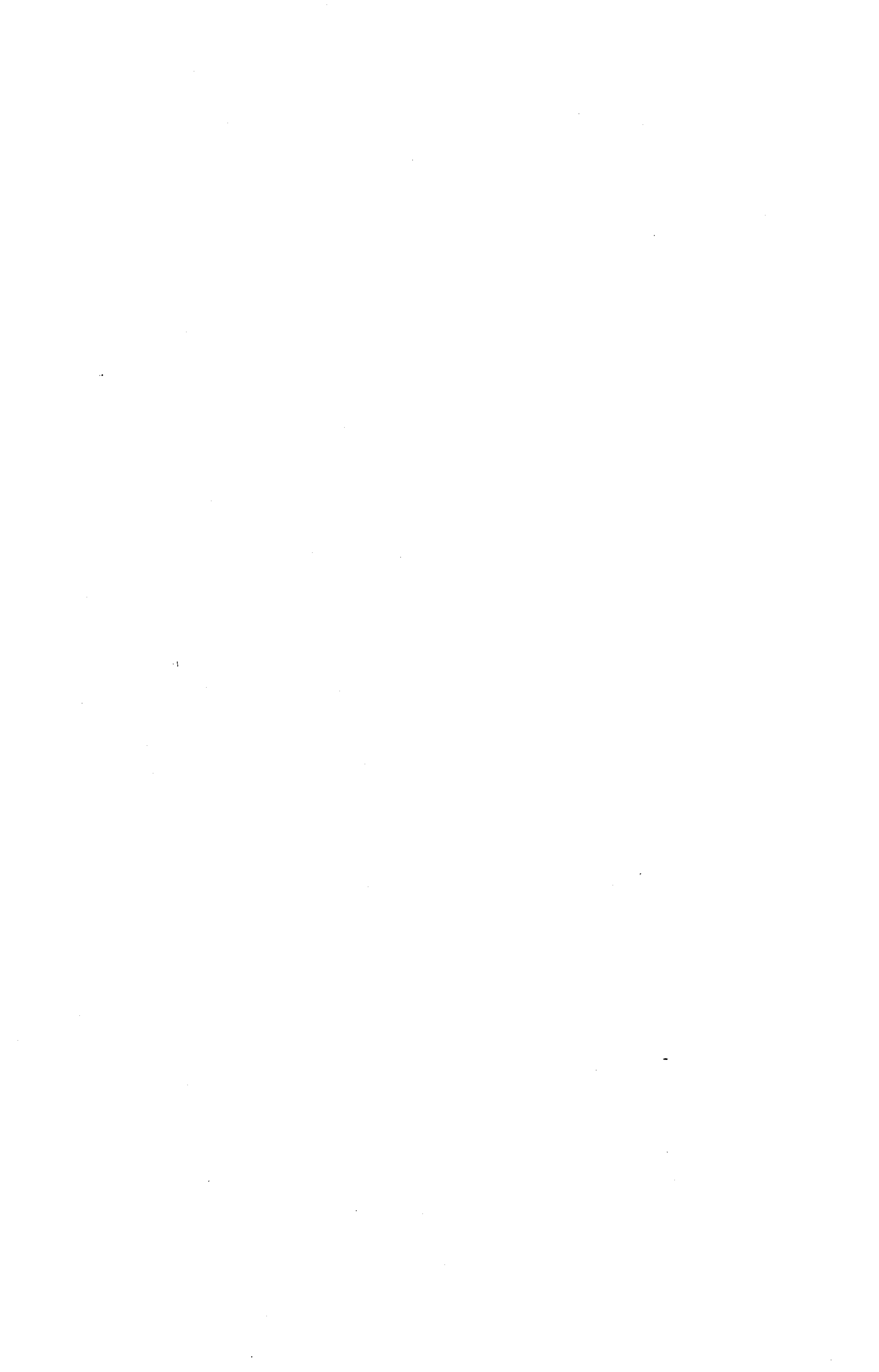
قد لا يلاحظ البعض اهمية يافا بالنسبة الينا ولكنها من الناحية السياسية والتاريخية ذات اهمية قصوى . فان بريطانيا ارادت ان تحافظ على يافا لكي تخدم خطة الانتداب المبنية على « الخروج ثم الرجوع » . فقد كان على يافا ان ترهب تل ابيب خصوصا بعد ١٥ ايار فتشل بذلك عمل القوات اليهودية . لقد كانت يافا اداة ـ بل الاداة الرئيسية ـ لاذلال اليهود ودفعهم الى طلب الحماية البريطانية . ولكننا أفشلنا هذه الخطة ، في الوقت المناسب .

ففي اثناء الثلاثة اسابيع المتبقية على الغزو العربي كان العرب يستطيعون ، بارشاد بريطانيا ، ان يغرقوا يافا بالرجال والعتاد والقنابل لقصف تل ابيب . وفوق ذلك ، لم يكن رحيل البريطانيين مؤكدا في ١٥ ايار ، فقد بقوا في بعض المناطق الى منتصف تموز .

ولكن لنفترض ان الحكومة البريطانية ستترك يافا في ١٥ ايار فاننا في ذلك لن نقابل عدوا قويا فحسب ، بل ستتغير الظروف ايضا . ففي صباح ١٥ ايار بدأت الطائرات المصرية تهاجم تل ابيب فعطلت المواصلات. ففي مثل هذه الحالة لم نكن لنستطيع تحريك قواتنا ، ونجداتنا ، وذخائرنا الى اماكن القتال .

ثم ان يافا لا تبعد كثيرا عن غزة والقوات التي نزلت في غزة كانت تستطيع ان تنزل في يافا . وفي ١٥ ايار لم يكن لدينا طائرات ولا بواخر حربية .

لقد انقذ احتلالنا ليافا شعبنا اليهودي من الدمار . لقد كان احتلال يافا حادثة عظيمة في تاريخ حرب التحرير اليهودية .



الفجـر

لقد قامت دولة اسرائيل !!

بعد سنين طويلة من النفي ، ومن الاهانة والخراب ، عـاد الشعب اليهودي الى أرضه ...

اليوم ذهبت الى مقـر « الارغون زفاي ليومي » ومن هناك ألقيت خطابي الى الشعب اليهودي قلت :

« لقد وضع الاساس ـ والاساس فقط ـ للاستقلال الصحيح ... ناحية واحدة فقط من معركة الحرية في سبيل رجـوع جميـع شعب اسرائيل الى ارضه ، في سبيل استرجاع جميع اراضي اسرائيل ، قد انتهت ... ولكن هذه الناحية واحدة فقط .

« لقد قامت دولة اسرائيل بالدم والنار ، بالآلام والتضحيات ولم تكن لتقوم بغير ذلك . لكننا لم ننته بعد . يجب ان نحارب . ان نكمل قتالنا . لقد احتجنا الى العرق والدموع والمشانق لنصل الـى مرحلتنا هذه حيث يعيش اليهود ويحكمون في جزء فقط من ارض كلها لهم . يجب ان نقوي انفسنا من الداخل ، والركن الاول لهذه السياسة هـو ارجاع اليهود الى اسرائيل . يجب ان ندخل اكبر عدد ممكن ، ولا نقيد انفسنا

بقوانين مجحفة ولا بكلام فارغ حول امكانيات البلاد في تأمين موارد رزق هؤلاء ... احضروا الآلاف من المهاجرين ، وبسرعة ، فنحن الان في حرب حياة او موت ، بقاء او عدم ، وغدنا وغـد اعدائنا متوقفـان على كسب الوقت وتركيز الجهود .

« ... ان دولة اسرائيل قد قامت ، ولكن يجب ان نعلم ان دولتنا لم تتحرر بعد . ان المعركة مستمرة والسواعد اليهودية هي التي ستحدد حدود دولتنا . وهكذا تقف الحقيقة الان وهكـذا ستكون فـي المعركة المقبلة ... ان بلادنا المعطاة لنا من الله هي وحدة لا تتجزأ وكـل محاولة لتجزئة اسرائيل ليست جريمة فحسب ، بل هي كفر وخيانة . ان الذي لا يعترف بحقنا في بلادنا كاملة ليس منا ، وليس له الحق ان يعيش في الجزء الذي نحكمه الآن . اننا لن نتنازل عن حقنا الطبيعي هذا ، بل سنظل نعمل باستمرار في سبيل وحدة اسرائيل واستقلالها الكامل » .

انتهى الخطاب وخرجت في الليل اتمشى في شوارع تل ابيب . قال لي اصدقائي : « ان كل بيت يهودي قد استمع الى خطابي ، واكثر الشعب اعجب به ... الظلام يحيط بنا ... وسيبقى برهة كذلك ... وستراق الدماء ... ولكن خلف الحزن والظلام سيبزغ فجر بهيج ... وفي الغد تطلع الشمس ... وسيضحك اطفال اسرائيل مرة اخرى ... بهناء !!

ملحق

الانتخابات الإسرائيلية

- مقدمات ونتائج
- الاحزاب التي يتألف منها تكتل ليكود
- برنامج ليكود السياسي
- صدى الانتخابات :
  - اسرائيليا
  - عربيا
  - دوليا

إعداد :

معين أحمد محمود



الإنتخابات الإسرائيلية

مساء ١٢ آب من العام ١٩٤٤ ، ارسل حاخام اليهود الاكبر احد معاونيه حاملا رسالة الى مناحيم ولفووتش بيجن رئيس منظمة « الارغون زفاي لؤمي » كانت الرسالة تشيد بالعملية الضخمة التي نفذتها المنظمة في فندق الملك داود بالقدس ، وتنتهي الى اطلاق اسم « مناحيم صهيون » أي « عزاء الصهيونية » ، على بيجن الذي تسلم الرسالة وهو داخل الصندوق الخشبي الذي كان يختبىء فيه منذ اربعة ايام ، أي منذ يوم الثامن من الشهر المذكور تاريخ الانفجار الذي اودى بحياة ٢٠٠ ضحية .

منذ ذلك التاريخ ، وحتى الاسبوع الماضي الذي اصبح فيه مناحيم بيجن زعيما لاسرائيل ، مرت الدولة الصهيونية بمراحل كثيرة ، فيما اثبت بيجن انه تفوق على مشاهير الارهابيين في التاريخ ، فهو اعطى للعنف بعداً فكريا ، فتفوق على كروتبكين الفوضوي وباكونين الفيلسوف الدموي ، وحتى على فلاديمير جابوتنسكي المخطط الارهابي الصهيوني .

واذا كان كل الارهابيين في العالم هم عناصر يلفظها المجتمع وينفر منها الناس ، فان طريق السلطة في (اسرائيل) مفروشة بالارهاب ، بمعنى ان المجتمع الصهيوني يمشي اليوم وراء قائد حفل تاريخه بالاعمال الارهابية المنكرة . والواقع ان ظاهرة بيجن في تاريخ الحركة الصهيونية ليس شيئا متفردا اذ ان الحركة المذكورة عرفت قبله ارهابيين كثيرين ، كما

عرفت بعده عددا من هؤلاء ، ولكن الظاهرة التي يعتبرها البعض مفاجئة ، هي ذلك الموقف العنيف الذي وقفه المجتمع الصهيوني باختياره بيجن زعيما للبلاد ، وفي وقت هو بالنسبة الى الكثيرين حتى من «الاسرائيليين»، وقت التسوية والحلول السلمية ، او بمعنى آخر وقت التناقض الكلي مع العنف والارهاب . من هنا فان الحديث عن موقف المجتمع الاسرائيلي والناخب الاسرائيلي يأخذ حجما وأهمية ، اكبر من حجم وأهمية الحديث عن بيجن القادم الى السلطة من صندوق خشبي كان يختبىء فيه قبل ٣٣ سنة .

لقد كان واضحا منذ حلول نهاية ١٩٧٣ ، ان الوقت والديموغرافيا في اسرائيل يعملان لصالح اليمين المتطرف الذي تقوده « ليكود » التي تضم حزب « حيروت » ، وهو الحزب الذي يرأسه بيجن ، والذي يشكل الامتداد السياسي ، لما كان يعرف في السابق باسم منظمة « ارغون زفاي لؤمي » الارهابية ، او المنظمة العسكرية الوطنية .

وبغض النظر عن التيارات المتعارضة داخل المجتمع الاسرائيلي ، فان الاهم من هذا ، هو ان الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة ، أكدت حقيقة لا مجال لتجاهلها ، وهي احساس الصهاينة بالحصار المضروب حولهم اقليميا ودوليا . وفي هذا النطاق يقول احد الدبلوماسيين العرب : « ان المواطن الاسرائيلي يحس اليوم بأن العالم قد تخلى عن تأييده السابق والمطلق لاسرائيل ، فمنذ حرب ١٩٧٣ حتى اليوم ، توفرت مجموعة من الحقائق والمواقف التي خلقت في أعماق الاسرائيلي احساسا بأن شرعية الدولة التي يحمل هويتها ، هي شرعية تتآكل يوما بعد يوم ، وبان ٢٩ سنة من حكم حزب العمل قادت اسرائيل الى هذه المواقع الحرجة ، ولهذا فان الاسرائيليين صوتوا الى جانب بيجن الذي يشكل بالنسبة الى ضميرهم السياسي مدرسة تمثل القوة والعنف ، وهما عاملان تحتاجهما النفسية الاسرائيلية اليوم وهي تواجه مآزق السلام كما لم تواجهه من قبل » .

وبغض النظر عن المشاكل الاقتصادية التي واجهت الناخب الاسرائيلي في عهد حزب « العمل » ، وعن سلسلة الفضائح التي تورط

فيها قادة الحزب المذكور ، وهي عوامل مؤثرة في الخيارات الانتخابية ، الا ان نجاح كتلة « ليكود » في الانتخابات ، يشكل الرد النفساني على حالة الحصار التي يحس بها الاسرائيليون . وفي اختيار بيجن وهو رمز العنف ، هو بالمعنى اليهودي اغراق في التعلق بالصهيونية ، التـي هي في الاساس عقيدة تمارس العنف كايديولوجية لحل المشكلة اليهودية .

ولكي لا يغرق الانسان في التحليلات ، فان الشيء الثابت والحقيقي هو ان الحديث عن التطورات السياسية في اسرائيل ، كنتائج الانتخابات الاخيرة مثلا ، يتميز عن الحديث عن اية تطورات مشابهة في أي بلـد من البلدان ، ذلك ان المعهود في المجتمعات السياسية ان الاحداث هـي التي تفرز النتائج ، بينما النتائج المخططة سلفا والاهداف الموضوعة من قبل ، هي التي تصنع « الاحداث » في اسرائيل . وليس ثمة مـن شك في ان الصهيونية العالمية التي تضع وتدعم استراتيجية الكيان الاسرائيلي ، هي التي تحرك الاحداث فوق سطح الدولة الاسرائيلية ، بمـا يتناسب مع هذه الاستراتيجية ، ومن ثم فان سقوط شمعون بيريز ، ونجاح بيجن ، وقبل ذلك احتراق اسحق رابين ، وانهيار ابا ايبان ، ما هي الا نتائج محددة سلفا من قبل الصهيونية .

ويستشهد الذين يؤكدون هذا الواقع ، بما حصل مع اسحق رابين . لقد بقي الرجل الذي اختاره كيسنجر (الصهيوني) نظيفا وصالحا وقائدا، الى ان حان الوقت الذي اصبح بقاؤه في السلطة يشكل عامل احراج لاستراتيجية اسرائيل ، أي لاستراتيجية رفض السـلام ، وعندها فتح ملفـه المصرفي تمهيدا لتبرير اقصائه عـن السلطة ، امـام الـرأي العام الاسرائيلي اولا ، والدولي ثانيا . وملف رابين المصرفي لـم يكن شيئـا جديدا اكتشفته السلطات فجأة ، وانما كان موجدا ومحفوظا بانتظار ان يحين وقت استعماله .

•

واكثر من هذا ، فان الذين تخصصوا بدراسة الصهيونية كنظرية وممارسة ، يقولون ان اسحق رابين نفسه كان يعرف ان عليه ان يحترق ،

وان شمعون بريز كذلك كان يدرك انه سيفشل ، وان بيجن عرف انه سيصيب النجاح .

ولعل افضل تشبيه للعبة السلطة في اسرائيل هو القول ان اسرائيل اشبه ما تكون بالسيارة . فالسائق هو الصهيونية والدواليب هم القادة في تل ابيب ، وكل دولاب يقطع مرحلة معينة ، والمهم ان تحافظ السيارة على اندفاعها .

نتائج الانتخابات الاسرائيلية :

كانت نتائج الانتخابات في الكنيست التاسعة كما اعلنها المسؤولون الصهاينة على النحو التالي :

اسم الحزب	عام ١٩٧٣	عام ١٩٧٧
١ ـ تكتل ليكود	٣٩ مقعدا	٤٣ مقعدا
٢ ـ تجمع العمل	٥١ مقعدا	٣٢ مقعدا
٣ ـ الحركة الديمقراطية للتغيير (داش)	لم تكن موجودة	١٥ مقعدا
٤ ـ الحزب الديني (المفدال)	١٠ مقاعد	١٢ مقعدا
٥ ـ راكاح	٤ مقاعد	٥ مقاعد
٦ ـ اغودات اسرائيل (جبهة التوراة)	١٠ مقاعد	٤ مقاعد
٧ ـ حركة الجنرال شارون	لم تكن موجودة	٢ مقعدان
٨ ـ حركة شلي	لم تكن موجودة	٢ مقعدان
٩ ـ قائمة فلاتو شاردن (مطلوب للعدالةالفرنسية)	لم تكن موجودة	١ مقعد واحد
١٠ ـ القائمة العربية الموحدة	٣ مقاعد	١ مقعد واحد
١١ ـ حركة حقوق المواطن	٤ مقاعد	١ مقعد واحد
١٢ ـ الاحرار المستقلون	٤ مقاعد	١ مقعد واحد
١٣ ـ عمال جبهة التوراة (اغودات اسرائيل)	٥ مقاعد	١ مقعد واحد

الاحزاب التي يتألف منها تكتل ليكود :

يتألف تجمع الليكود حاليا من ثلاثة حركات هي :

١ ـ حركة حيروت وتعني (الحرية !) ويرأسها الارهابي مناحيم بيجن وقد تشكلت هذه الحركة من اندماج حركة الارغون الارهابية مع عصابة شتيرن بحيث توحدتا معا بعد قيام الدولة الصهيونية تحت اسم حركة حيروت التي تحولت فيما بعد الى حزب سياسي . لعبت كلا الحركتين دورا ارهابيا كبيرا في عهد الانتداب وفي حرب ١٩٤٨ وكان يشرف على توجيهها في ذلك الوقت مناحيم بيجن . وقد اقترف رجال حيروت وزعماؤها الحاليون المذابح العديدة ضد المواطنين الفلسطينيين العزل من السلاح واشهر تلك المذابح التي قام بها بيجن وعصابته مذبحة قرية دير ياسين المعروفة التي ذهب ضحيتها اكثر من ٩٠٠ شهيد من سكان القرية الصغيرة .

٢ ـ حزب الاحرار : ويرأسه سيمحا ايرلخ السكرتير العام لتكتل ليكود . واهم مبادىء هذا الحزب اقامة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات وتهويد جميع المناطق المحتلة باعتبارها ارض (اسرائيلية) محررة .

٣ ـ كتلة لاعام ويتزعمها يغال هروفيتش وكتلة احدوت هافودا . وهما حركتان دينيتان تؤمنان بنفس الاهداف السابقة ومتعصبتان لكل ما هو يهودي باعتبار ان اليهود هم شعب الله المختار .

٤ ـ حركة غوش ايمونيم وهذه حركة استيطانية تؤمن بتهويد كافة الاراضي المحتلة باعتبارها (ارض اسرائيل الكاملة) ورغم انها اعلنت انه ليست لها اهداف سياسية وليست مرتبطة بأي حزب سياسي . الا انها تنفذ المخطط الذي يتبناه تكتل ليكود باعتبار الاراضي المحتلة اراض محررة وجزءا لا يتجزأ من ارض اسرائيل التاريخية .

برنامج الليكود السياسي :

خاض تكتل ليكود معركة الانتخابات ضد حزب العمل المنافس الرئيسي له على اساس برنامج سياسي واقتصادي واجتماعي يختلف عن البرنامج الذي تبناه حزب العمل . وقاد حملة شرسة ضد حزب العمل وقيادته التي اوصلت المجتمع الصهيوني الى الضعف والانحلال على حد تعبير قادة ليكود وكان السلاح الرئيسي في معركته حملته على السياسة الداخلية وخاصة القضايا الاقتصادية كالتضخم والعجز المتواصل في الميزانية وكذلك الفضائح والاختلاسات المالية المتكررة التي ظهرت في اعلى مراتب السلطة في عهد حزب العمل ، مما اثر تأثيرا مباشرا في الحاق الهزيمة بحزب العمل .

وما يهمنا من البرنامج الذي تبناه حزب ليكود هو ما يتعلق بالسياسة الخارجية والقضية الفلسطينية بصورة خاصة . فقد تبنى في المؤتمر الاخير الذي عقده على ابواب الانتخابات المواقف التالية : (هآرتس ١٩٧٦/١٢/٢٣ بقلم سيمحا ايرليخ السكرتير العام لحزب ليكود) .

١ ـ « ان ليكود يرفض ـ من جديد ـ تقسيم (ارض اسرائيل الغربية) أي الضفة الغربية ، ويطالب بأن لا يتخذ أي قرار بهذا الشأن في المفاوضات السلمية التي قد تجري ، بل يتم حسم ذلك من خلال استفتاء عام شامل . ورأي ليكود هو ان الشعب يجب ان يحسم هذه المسألة حتى عندما يكون الليكود في الحكم » .

٢ ـ ان (ارض اسرائيل المعروفة باسم فلسطين سابقا) « لا تمتد فقط بين نهر الاردن والبحر المتوسط بل انها تضم كذلك شرق الاردن البالغة مساحتها اكثر من ثلثي ارض اسرائيل حاليا » ، وعرب اسرائيل قدماء او لاجئون يشكلون فيها غالبية حاسمة ، وفي هذه الارض (أي شرق الاردن) يجب اعطاؤهم حق التمثيل المستقل واسكان كافة عرب اسرائيل والموزعين الان في انحاء الوطن العربي في شرق الاردن . وعليه

فان يهودا والسامرة (اي الضفة الغربية لن تسلم الى أي حكم اجنبي ، وان المنطقة الواقعة بين البحر المتوسط ونهر الاردن حق للشعب اليهودي) وتخضع للسيادة الاسرائيلية .

كما عارض البرنامج السياسي أية مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية حتى لو اعترفت بحق اسرائيل في الوجود. وبهذا الخصوص رد مناحيم بيجن على برنامج حزب العمل الذي اعلن عن استعداده لانسحابات اقليمية من بعض المناطق المحتلة بما فيها الضفة الغربية شرط عدم الاعتراف بمنظمة التحرير او القبول باقامة دولة فلسطينية مستقلة بقوله : « ان من يعارض اقامة دولة فلسطينية يتوجب عليه ان لا يسلم أي قطعة من (ارض اسرائيل المحررة) ، ومن يعلن استعداده لتسليم مناطق في الضفة الغربية لحكم اجنبي فانه عمليا يقيم الدولة الفلسطينية». واستطرد قائلا : « اننا نستطيع القول ان سياسة الليكود هي السياسة الوحيدة التي تستطيع منع اقامة دولة فلسطينية في ارض اسرائيل التي يجب عدم تسليم أي شبر منها للعدو وذلك لمنع حدوث كارثة تاريخية لاسرائيل في المستقبل » .

صدى الانتخابات الاسرائيلية

الصحف الصهيونية :

وصفت عناوين مقالات صحيفة « دافار » الموالية لحكومة العمل وصحيفة « هآرتس » المستقلة نتيجة الانتخابات بأنها زلزال كبير .

وترى صحيفة « دافار » بالنسبة لجهة حزب العمل ان الاوان قد آن لمحاسبة النفس بشكل متعمق بشأن جميع التطورات التي أدت الى هذه الهزيمة . واضافت الصحيفة قائلة : ان الناخبين الذين كانوا يساندون حزب العمل حتى الآن اضطروا جزئيا الى تغيير اصواتهم نظرا للاتجاهات الجديدة التي قررتها سياسة واشنطن ولكنه ليس السبب الوحيد ويجب ان تبحث المسألة من زوايا اكثر اتساعا .

واشارت صحيفة « هآرتس » الى ان الليلة التي شهدت فرز اصوات الناخبين لن تمحى من ذاكرة الاسرائيليين .

اولا : لان فرز الاصوات كان نفيا صارخا لكل الاستفتاءات والتكهنات فقد حصل المنتصرون على نصر اكبر من الذي كانوا يأملونه ومني الخاسرون بهزيمة ساحقة لم يدر في خلدهم انها يمكن ان تصل الى هذا الحد .

واضافت صحيفة « هآرتس » قائلة : ومنذ هذه الليلة تبدأ حقبة سياسية جديدة حافلة بتطورات لا يمكن التكهن بها وذلك في فترة تعد أقل الفترات ملاءمة لحدوث تغيير في نظام الحكم وسوف نبدأ دون ادنى شك من القلقلة ولم يتوفر لدينا بعد أي دليل على ان كتلة ليكود تستطيع تشكيل حكومة وعلى أية حال من الاحوال فان الحالة الصحية لزعيمها مناحيم بيجن الذي اصيب مؤخرا بأزمة قلبية تدعو الى التساؤل عما اذا كان سيمكنه النهوض بهذا العبء الثقيل . ومن المؤكد ان جبهة حزب العمل لن تدخر جهدا للحيلولة دون تشكيل حكومة يمينية .

وقالت صحيفة « هآرتس » في ختام مقالها : ومجمل القول يمكننا ان نتوقع سلسلة من الهزات الداخلية العنيفة تواجه اسرائيل مشكلات صعبة تتعلق بالسياسة الخارجية والامن وقد بدأت اسرائيل تجتاز اوقاتا عصيبة .

وقالت صحيفة « يديعوت احرونوت » : ان ما قام به الناخبون اكثر من تغيير فهو ثورة حقيقية ولكن ثورة هادئة جرت في جو هادىء واستطردت تقول : انها ليست ثورة سياسية فحسب بل تاريخية ايضا ثورة تمت دون اية مقدمات حيث لم يتكهن بها أي من استطلاعات الرأي التي اجريت .

وقالت صحيفة « معاريف » : ان الناخبين اقروا هذا التعبير في هدوء تام وجو من الفرح واحساس تام بالمسؤولية . وقد دفع حزب

العمل ثمن اخطائه . واذا كان حزب العمل مهتما حقا بمصالح البلاد فيتعين عليه قبول اقتراحات كتلة ليكود من اجل تشكيل حكومة اتحاد وطني ، اخذا في اعتباره جميع احتمالات تآلف اليمين .

وقد اعترف « شمعون بيريز » بأن حزبه اصيب بضربة قاسية .

اما « ابا ايبان » فقد نفى بصورة قاطعة تشكيل حكومة ما وصفه بيجن « ائتلاف وطني » وقال من المستحيل على حزب العمل التعاون مع ليكود .

وقال « يادين » : انه لن يقبل الاشتراك الا في حكومة تقبل الاحزاب التي تشكلها تأييد مبادئها الاساسية وخاصة تغيير النظام الانتخابي واصلاح الهياكل الحكومية واجراء تنازلات بالنسبة لاراضي الضفة الغربية .

وقال « مناحيم بيجن » في معرض رده على مستقبل الاراضي المحتلة : انها في الواقع اراض محررة وسوف تظل كذلك .

صدى الانتخابات الاسرائيلية عربيا :

في سوريا :

وصف راديو دمشق ، فوز تجمع حزب ليكود اليميني في الانتخابات الاسرائيلية الاخيرة بأنه « فوز الجماعة الاكثر ارهابا وتطرفا وتعنتا وعداء للسلام » ..

وعقبت جريدة « تشرين » الحكومية في عددها الصادر يوم ١٨/٥ على الانتخابات الاسرائيلية فقالت : « ان نتائج هذه الانتخابات لا يمكن ان تكون عاملا حاسما لمصلحة مساعي السلام » . ومضت الجريدة تقول :

« ان ساسة اسرائيل لا يملكون أي تصور للسلام ، وكل ما يطرحونه من حلول للمسائل الاساسية في ازمة المنطقة تتعارض مـع الاسس التي وضعتها الامم المتحدة في قرارها لاي حل في الشرق الاوسط » .

وقالت : « ان الحديث عن الصراع بين الحمائم والصقور في اسرائيل هو في واقعه صراع بين الاحزاب والتكتلات الاسرائيلية حول التمادي في التطرف والعدوان والتوسع ، لا حول مدى الاقتراب من السلام » .

ومضت قائلة : « ان جميع الاحزاب الصهيونية متفقة على مبدأ ضم الاراضي بالقوة وتعارض العودة الى حدود عام ١٩٦٧ ، وتنكر الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني » .

وقالت جريدة « البعث » : انه مـن الخطورة بمكـان ان يستسلم العرب لوهم مؤتمر جنيف الخاص بالسلام في الشرق الاوسط ، فالتحضير العسكري الذي يسبق المؤتمر ويرافقه وجوبا ، هو الذي يحدد نتائجه بالضرورة ، ويبقى صحيحا ، دائما ، أن حوار القوة اكثر حسما وفاعلية من قوة الحوار » .

ومضت الجريدة تقول : « حتـى ولـو انعقـد مؤتمر جنيف فلن تستجيب اسرائيل لمقتضيات السلام العادل وللارادة الدولية بهذه السهولة الموهومة ، ولن يكـون مؤتمر جنيف سوى بدايـة الطريـق ونهايته غير مرئية » .

وقالت الجريدة في ختام تعليقها : « ان تحرك سوريا الدولي باتجاه انعقاد مؤتمر جنيف يفضح عدوانية اسرائيل ومطاردتها سياسيا ، لان سوريا تدرك ان اسرائيل كيان يرفض السلام ويتناقض معه ، ولم يكن مؤتمر جنيف في أية حال هدفا ولن يكون ، انما هو احدى القنوات التي تتحرك سوريا مـن خلالهـا لتحقيق اهدافها القومية في تحرير الاراضي العربية المحتلة وضمان الحقوق المشروعة للشعب « الفلسطيني » .

الصحف الاردنية :

كان أهم مـا استخلصته الصحف الاردنية مـن نتـائج الانتخابات الاسرائيلية ... ان اسرائيل لن تنسحب من الاراضي التي احتلتها في عام ١٩٦٧ .

وترى صحيفة « الاخبار » : ان هذا الانتصار غير المنتظر لكتلة ليكود يشكل جزءا من الاستراتيجية الاسرائيلية التي تهدف الى كسب الوقت . وترى ان اسرائيل لن تتفاوض على الاطلاق حول موضوع انسحابها مـن الاراضي العربية التي احتلتها .

وتلفت صحيفة « الدستور » النظر الى ان « جميـع التنظيمات السياسية الاسرائيلية تعمل ، معا ، لبقاء الاراضي العربية تحت الاحتلال الاسرائيلي » .

واضافت الصحيفة : « ان الموقف لن يتغير سواء أكان الفائز كتلة ليكود او حزب العمل وعلى واشنطن ان تعمل الآن حتى لا توضع العقبات في طريق السلام » .

وفي القاهرة :

قالت صحيفة « الاخبار » : « ان نجاح الليكود المفاجىء يدخل ضمن الاستراتيجية الاسرائيلية التـي تهدف الـى كسب الوقت ، واسرائيل ، الآن ، غير مستعدة للبحث في قضية انسحابها من الاراضي المحتلة .

صدى الانتخابات الاسرائيلية دوليا :

سدني / واشنطن :

لاذت المصادر الاميركية الرسمية بالصمت ، الا انهـا أعربت فـي محافلها الخاصة عن الصدمة والاستياء . ويبدو ان هـذا ما دفع بيجـن الى القول :

« ان حكومة كارتر ليس لها ان تعلق لتغيير النظام في اسرائيل » .

الصحف الباريسية :

في باريس ، علقت صحيفتان باريسيتـان علـى نتـائج الانتخابات الاسرائيلية التي انتهت بفـوز كتلة ليكود اليمينية علـى حـزب العمل . فكتبت صحيفة « لورور » اليمينية الراديكالية بهذا الصدد تقول :

« ان منطق هذا التطـور الذي يدخل اول تغيير على نظـام الدولة اليهودية منذ قيامها عام ١٩٤٨ ، يمكن ان يتضح اذا ما فكرنا في استنزاف حزب ، وضرورة التشدد في السياسة الاسرائيلية في مواجهة الاخطار التي يتعرض لها هذا البلد الصغير ، والفضائح المختلفة المتعلقة بحسابات مختلف الشخصيات الاسرائيلية ، كما يرى جزء كبير من الرأي العام ان الآثار الدولية لهذا التغيير سوف تظهر قريبا ، سواء كان ذلك من الجانب العربي او الجانب السوفياتي ، حيث يجـب التصرف بحـذر متزايد ، وكذلك من الجانب الاميركي ، حيث لم يعد الحوار فـي اتجـاه تحقيق تسويات سلمية .

وقالت « الفيغارو » اليمينية المعتدلة ، في تعليق لها بعد اربعين دقيقة فقط من اغلاق مكاتب الاقتراع ، « كان الحزب الذي فرض سيطرته

على اسرائيل ، لمدة ثلاثين عاما ، يخسر بسرعة للمرة الاولى في تاريخ الدولة اليهودية ، وكان هناك احتمال حقيقي لتشكيل حكومة يمينية لا تضم الاشتراكيين .

الصحف البريطانية :

وفي لندن ترى الصحف البريطانية في تعليقها على النتائج الاولية للانتخابات الاسرائيلية ان فوز حزب ليكود سوف لن يسمح باجراء تسوية سلمية للنزاع في الشرق الاوسط .

فكتبت صحيفة « التايمز » المستقلة تقول : « ان هذه النتيجة تشير الى نهاية عصر من الحياة السياسية في اسرائيل ، وتطرح بشكل يثير القلق مشكلة الشرق الاوسط في مجموعها » .

واكدت الصحيفة البريطانية : « ان الحكومة المقبلة ستتخذ بالتأكيد، موقفا متشددا من مشكلة السلام والحدود » .

واشارت صحيفة « ديلي اكسبرس » اليمينية الوطنية ، الى « ان الفوز المذهل لكتلة ليكود يعد بمثابة نكسة لمبادرة السلام الاخيرة التي يقوم بها الرئيس جيمي كارتر في الشرق الاوسط » .

وترى صحيفة « دايلي تلغراف » المحافظة ، ان « قدوم مناحيم بيجن زعيم حزب ليكود الى الحكم ستكون له آثار عصيبة على جهود السلام التي يقوم بها « الرئيس كارتر » الذي ترى الصحيفة انه يمكنه منذ الآن ان يلغي مبادرة السلام التي كان يعتزم القيام بها » .

البرافدا :

وذكرت صحيفة البرافدا الناطقة باسم الحزب الشيوعي السوفياتي في اول تعليق لها على نتائج الانتخابات الاسرائيلية ان برنامج ليكود « برنامج

توسعي سافر واكثر تشددا من برامج من سبقه في الحكم ولن يمهد لايجاد تسوية في الشرق الاوسط .

وذكرت وكالة « تاس » التي اذاعت نص تعليق صحيفة البرافدا : ... ان الانتخابات الاسرائيلية التي اجريت في ١٧ ايار الماضي قد دلت بصفة خاصة « على خيبة الامل العميقة التي يشعر بهـا الناخبون تجاه سياسة زعمائهم » وان كتلة ليكود والاحزاب الاشد يمينية قد استغلت هذه الظروف الى حد كبير » .

وذكرت الصحيفـة ان هـذه الاحزاب استغلت انتقادات الناخبين للحكومـة ونجحت فـي اكتساب مزيـد مـن المؤيدين بفضـل برنامجها الديماغوجي ولكن هذه الكتلة الرجعية ليست بالقادرة على حل المشكلات الحيوية التي تثير قلق الاسرائيليين .

يوغسلافيا :

قال متحدث باسم الحكومة اليوغسلافية ان يوغسلافيا تـرى ان نتائج الانتخابات الاسرائيلية تأتـي بتهديدات واخطار ومزيد مـن عـدم الاستقرار فيما يتعلق باحتمالات التسوية السلمية لازمة الشرق الاوسط والمشكلة الفلسطينية .

واضاف المتحدث ان أية محاولة لتأخير تسوية الازمـة او لفرض تسوية معينة لا يمكن الا ان تزيد من خطورة الموقف وتوسيع نطاق نزاع مسلح جديد في الشرق الاوسط له عواقب ضارة بالنسبة للمنطقة ولغيرها من مناطق العالم .

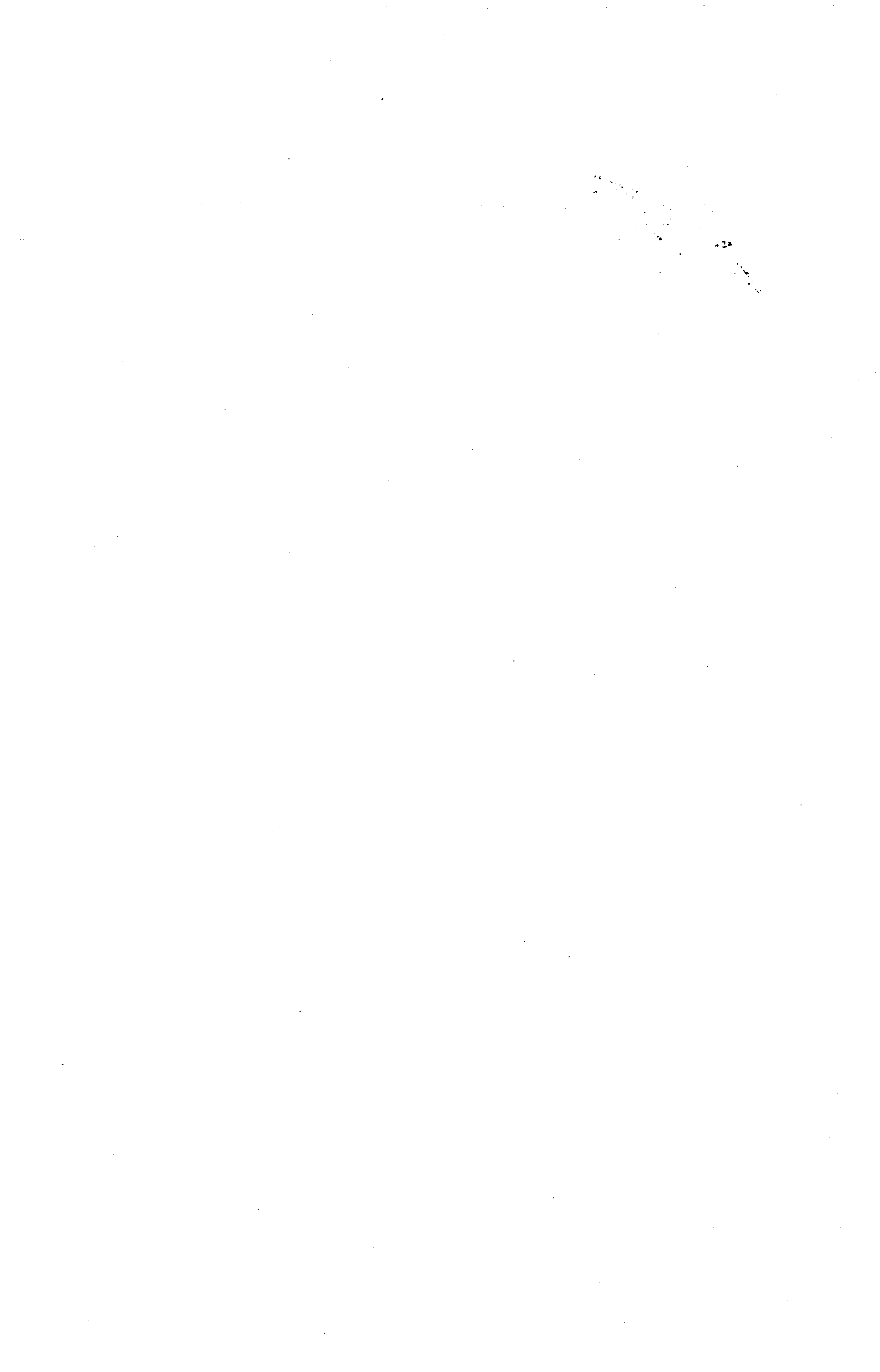
تشيكوسلوفاكيا :

واعربت صحيفة « رودو برافو » التشيكوسلوفاكية عـن اعتقادها بأن نتائج الانتخابات الاسرائيلية تنذر بالخطر بالنسبة لاحتمالات التوصل الى تسوية سلمية لنزاع الشرق الاوسط .

وترى الصحيفة الناطقة باسم الحزب الشيوعي التشيكوسلوفاكي ان نظرية اسرائيل التي تدعو اليهــا كتلة ليكود نظريــة خطيرة . وقالت الصحيفة ايضا ان باقي برنامج حزب بيجن لا يتفق مطلقا مع حل مشكلات اسرائيل الداخلية .

وركزت الصحيفة بعد ذلك علــى ألنجاح الــذي حققــه راكاح في الانتخابات بالرغم من الظروف الصعبة التي نجمت عن التطرف في القومية ومناهضة الشيوعية .

واختتمت صحيفة «رودو برافو» مقالها قائلة : ان الحزب الشيوعي الاسرائيلي هو وحده الذي قدم خطة مسؤولة وواقعية لتسوية النزاع مع الاخذ في الاعتبار المصالح المشروعة لجميع بلدان ودول هذه المنطقة .



فهرست

	صفحة
ـ مقدمــة	٥
ـ نذير .. ووعيد	١٥
ـ الطريق الى الحرية	١٧
ـ ارض آبائنــا	٢٣
ـ نحن نكافــح .. فنحن اذن نحيا	٢٩
ـ الاستراتيجية اليهودية	٣٣
ـ الجيش السري	٣٥
ـ النظام الداخلي	٣٧
ـ رجل ... واسماء كثيرة	٣٩
ـ الحرب الاهلية ... مستحيلة	٤٥
ـ هل لنــا الحق ؟	٤٧
ـ حادثة « التلينا »	٥٥
ـ عندما يبكي القلب	٦٥
ـ المقاومة الموحدة	٧٣
ـ الانفصــال	٨٩
ـ فندق الملك داود	١٠١
ـ الجلد بالسياط	١١٩
ـ حكم المشانق	١٢٥
ـ « باستيل » يسقط	١٣١

- الاجتماعات السرية ١٤١
- طريق النصر ١٥١
- على عتبة التاريخ ١٥٧
- خطـر جديد ١٦٣
- الاتفاقية ١٦٩
- احتلال يافا ١٧٣
- الفجـر ١٩٣
- ملحق الانتخابات الاسرائيلية ١٩٦

مؤلفـــات : معين احمد محمود

١ ـ الطريق الى فلسطين		١٩٦٥
٢ ـ قضية فلسطين : قضية العرب اجمعين		١٩٦٦
٣ ـ اسرار العسكرية الاسرائيلية الطبعة الاولى	دار الصادق	١٩٦٨
الطبعة الثانية	دار الصادق	١٩٦٩
الطبعة الثالثة	دار الصادق	١٩٧٢
الطبعة الرابعة	دار المسيرة	١٩٧٧
٤ ـ العمل الفدائي : ومراحل حرب التحرير الشعبية	المكتب التجاري	١٩٦٩
٥ ـ بيت المقدس : مدينة كل الاديان	دار الصادق	١٩٧٠
٦ ـ الصهيونية والنـازية	المكتب التجاري	١٩٧١
٧ ـ فتح والثورة الفلسطينية (من الرصاصة الاولى الى مشاريع التصفية)	دار الكاتب العربي	١٩٧١
٨ ـ الجديد في العسكرية الاسرائيلية	دار عويدات	١٩٧٢
٩ ـ الفلسطينيون في لبنان (الواقع الاجتماعي)	دار ابن خلدون	١٩٧٣
١٠ ـ صناعة الاسلحة في اسرائيل	دار المسيرة	١٩٧٧

مناحيم بيجن

* رئيس عصابة (الارغون زفاي ليومي) ومعناها (المنظمة العسكرية القومية لاسرائيل) .

* أحد المسؤولين عن التخطيط لمذبحة دير ياسين .
* يهودي من (بولندا) دخل فلسطين بطريقة غير شرعية عام ١٩٤٢ من شرق الاردن حيث كان جنديا في الجيش البريطاني .

* كانت له فلسفة في الحرب تتمثل في قوله (نحن نحارب ... فنحن اذن نكون) .

* يعتبر في اسرائيل (صقر) ويعلن ثقته دائما في ان اسرائيل تستطيع ان تهزم الدول العربية شرقا وغربا وفي ذات الوقت .

* كان عضوا في كل برلمانات اسرائيل الستة وفي اول يونيو ١٩٦٧ عين وزيرا للدولة في حكومة الحرب الاسرائيلية .

* رئيس التنظيم الحزبي الاسرائيلي المعارض (ليكود) .

الثمن : ٧ ليرات لبنانية أو ما يعادلها